عَلَى بَصِيرَةٍ

تأمُّلاتٌ في الدِّينِ والحياةِ

الدكتور: يحيى أحمد المرهبي

على بصيرة

تأملات في الدين والحياة

الدكتور يحيى أحمد المرهبي

الجمهورية اليمنية ــ محافظة عمران
الطبعة الأولى
رمضان 1440هـ -مايو 2019م

المقدمة:

الحمد لله وحده، فقد وفق وأعان على إخراج هذه التأمُّلات إلى النور، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهدى للعالمين.

وبعد

فالعلم وليد الدهشة، لكن الدهشة تترك المرء مذهولا عاجزا عن الفهم إذا لم يشعر بعد الدهشة الأولى برغبة في تأمُّل الأشياء بعين جديدة. هناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحثُّ المسلم على التفكر والتأمُّل والتدبر والاعتبار في أحوال الوجود وسير الأمم السالفة، وذلك كله يستهدف إبعاد الاعتباطية عن حياتنا، وتعميق فهمنا للسنن الربانية في الخلق، وجعل وعينا يتمدد باستمرار إلى مواطن لم يتعرف عليها من قبل.

وعند تأمُّلنا في سير الناجحين في الحياة نجد أنهم استطاعوا أن يسألوا أسئلة ذكية، هيأتهم لاستقبال أجوبة ذكية نفعتهم في حياتهم.

وتأمُّل معي رؤية أحد المفكرين التربويين، الدكتور عبدالكريم بكار وهو يضعنا في صورة تجربته الحيَّة في القراءة فيقول: حين اقرأ كتابا وأخرج منه بعشرين إلى ثلاثين فائدة ومعلومة جديدة ومهمة، فإني أستطيع من خلال التأمُّل النشط والمكثف أن أوزعها على الخطوط والقناعات الرئيسية لدي، فهذه ملاحظة أو معلومة تعزز رؤيتي للإصلاح في المجال التربوي، وتلك فكرة أو معلومة تجعلني أخفف من تقديري وانحيازي للاتجاه الفلاني، وهذه ملاحظة ثالثة تؤشر إلى قلة خبرتي بالقضية الفلانية، وتلك معلومة رابعة تدلني على تفاؤلي المبالغ فيه بالنسبة إلى الموضوع الفلاني وهكذا.

وفي تجربة فريدة عاشها أحد المفكرين الأفذاذ هو الدكتور عبد الوهاب المسيري قال عنها: جعلني التأمُّل قادرا على الانفصال عما حولي، وأن أنظر إلى نفسي من الخارج، وألا أقبل أي شيء إلا بعد تفسيره، الأمر الذي ولَّد فيَّ مقدرة غير عادية على تغيير الذات بناء على تصورات عقلية مسبقة. وقد لازمني التأمُّل عبر حياتي، ولم يولد الإيمان داخلي إلا من

خلال رحلة عقلية طويلة، ولذا فإيماني إيمانٌ تأمُّلي عقلي، لم تدخل عليه عناصر روحية. وكأني بالدكتور المسيري يشير إلى أن هناك من يؤمن ثم يبحث عن الدليل ليطمئن القلب، وهناك من يسير وراء الدليل باحثا ومتطلعا حتى يؤمن.

كما يلفت نظرنا المفكر المسلم علي عزت بيجوفيتش إلى ما يمكن أن يحدثه التأمُّل من ثراء داخلي بالنسبة للإنسان، فيحدثنا عن صلاة الروح أمام بديع صنع الله فيقول: إذا كان من الحقيقي أن الصلاة في الداخل، وليس في الخارج فقط، في الروح وليس في الكلمات والحركات، فإن هذا التأمُّل بزهرة الهندباء كان يعني بالنسبة لي وفي كل مرة صلاة حقيقية وصادقة، أكثر من أي صلاة قمت بها في حياتي. وكأنه يريد أن يقول لنا أن السعادة فيض من الداخل، وإن معرفة الله تتم بتأمُّل العالم من نور الداخل، إن الانكفاء للداخل هي عملية اكتشاف الذات، لأنه من وعي الذات يحدث وعي العالم، فمعرفة الله فيض السعادة.

ولا يخفى أن علاقتنا بالماضي علاقة حفظ وتذكر، وليست علاقة اعتبار وتدبر، فالفتن والملاحم التي ميَّزت تاريخنا السياسي لم تنل منا ما تستحقه من التحليل والتأمُّل، وكنا نردها باستمرار إلى اتباع الهوى أو قلة التقوى أو دسائس الأعداء أو حدوث فتنة، وهكذا اختصرنا أحداثا عظاما في كلمات قليلة. ولعل ذلك يعود إلى أن من ضرائب التخلف فقد الحس والحدس التاريخي. وكثير منا يذكر الماضي بصورة جيدة، لكنه يمر على دروسه بسرعة غريبة. وبعض الأفراد والمؤسسات والجماعات لا ترضى عن أي عمل أو فكر، وهي طول عمرها تنتقل من إخفاق إلى إخفاق دون أن يكون ذلك حافزا لها نحو أية وقفة تأمُّل! إنها تملك مناعة خاصة ضد آلام التجربة.

لقد اغتيلت عند البعض روح الدهشة في تأمُّل العالم، لأنه مع وأد روح الدهشة، تتوقف آلية الفضول، فيقتل النمو وروح البحث العلمي عنده دفعة واحدة، وبالتالي لذة الجِدَّة في الحياة، التي تخلع على الحياة معنى، وتشحنها بالاستمرارية والنمو، وبكسب العادات العقلية الجديدة.

تعلمت من التأمُّل في سنن الله في الخلق وفي الطبائع التي فطر الله الأشياء عليها أن القوة موصولة بالبغي والعدوان وتجاوز الحدود، ومهما كان المرء تقيا وورعا ونبيلا، فإن القوة والمكنة تدفعه في اتجاه البغي والظلم. وكأن الله جل جلاله يريد منا أن ندرك أن الميزة الأساسية التي في حوزتنا، لا تكمن في أن لنا أدمغة ذكية وعقول جبارة، وإنما تكمن في استثمار تلك العقول وتحريكها عن طريق النظر والتبصر والتذكر والتأمُّل، وفهم الجذور والأسباب وإدراك العلاقات والخصائص والميزات للأشياء التي نحتك بها أو نستخدمها.

إنني مدين في هذا الكتاب وهذه التأمُّلات إلى مئات المفكرين والفلاسفة والعلماء والمثقفين، فقد أخذت عنهم الكثير، وتشكَّلت من خلال رؤاهم وأفكارهم ملامح شخصيتي الفكرية، ولأن المجال لا يتسع لذكرهم في هذه المقدمة، إلا أن أرواحهم تحلِّق في ثنايا هذه التأملات على طول صفحات هذا الكتاب، فلهم الفضل بعد الله، ولهم عظيم الجزاء والمثوبة منه سبحانه. ولا أنسى أن أقدم الشكر الجزيل للأخ والزميل العزيز أ. بكيل المراني الذي وضع لمساته الفنية في تصميم الغلاف وتنسيق هذه التأمُّلات، فله خالص الشكر وعظيم الامتنان.

د. يحيى أحمد المرهبي

غرة رمضان 1440 هـ

محافظة عمران

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	1
من ذاق عرف ... ومن عرف اغترف.	3
تربية الأجيال .... متى يستقيم الظلُ والعُودُ أعوجُ؟!	4
جماليَّة الدِّين ... جمال التُقى يا جميل العيون	7
حصاد تجارب السابقين .... ثروة للنابهين	11
القيم ... الحارس الأمين على بوابات الأمم.	14
مدرسة الحياة. ... دروس حقيقية راسخة.	17
النور الخالد ... بين حقيقة الحب ووجوب الإتباع	18
دعوة للتواضع ... ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾	22
سؤال الذات ... من أنا؟!	24
رمضان فرصة للصمت ... والتدبر ... والإنصات.	26
تحت راية القرآن ... رؤية إحيائية مختصرة	27
التوحيد ... بداية حرية الإنسان ونهايتها	30
البداية على بصيرة. ... بداية مشرقة	32
المواطنون في العالم الثالث... متساوون دستورياً... رعايا وأتباع واقعياً	34
عقلي ليس للبيع	26
ليسوا سواء...بعيدا عن التعميمات الجائرة	38
التفكير بعقلية ساذجة ... لا يُوجِدُ وضعاً جديداً	40
الإنسانية لا تتجزأ... معا ضد التحيُّز	42
جسم الأمة المريض... التشخيص يسبق العلاج	43
قوة التسامح... يمكن أن تصبح ضعفاً	45

الجمل ... سفينة الصحراء!!	47
أوطان بلا صاحب. ... هموم مواطن عربي	49
هل الطبع يغلب التطبُّع فعلاً؟!	51
القواعد الذهبية في سياسة عنترة بن شداد	53
ما يطلبه المستمعون	55
حروب الجيل الرابع ...المواطن جندي في جيش عدوه	57
المواطنة المتساوية .... كثيراً من الأقوال ... قليلاً من الأعمال	59
تقارير مؤسسة راند ... طبخ العالم الإسلامي على نار هادئة	61
توم وجيري ...نموذج ترويجي للصراع والعنف	63
الأنانية القاتلة ...مصلحتي أولاً وأخيراً	65
التدين الزائف ... رؤى نقدية حادة	67
التربية والتعليم ... طريق إجباري للنهوض الحضاري	70
السياسة والحب التقاء وافتراق	73
العبادة.... روحٌ وشكلٌ وثمار	75
العلمانية ليست حلا ... هذا ما يقول العقلاء	78
الفكر كالعسل... فيه شفاء للناس	81
بين التشدد والتطرف الإسلامي والصهيوني	83
جسدٌ يبحث عن رأس...	85
عجينة الدكتور المسيري	87
متوالية الظلم التاريخية ...لا الظالم ارتدع ولا المظلوم اقتنع	90
خواطر رمضانية ... 1437 هجرية	92
تأملات فكرية	104
تجديد الوعي ... رسائل قصيرة	127

الخروج عن القطيع	137
رُقيُّ النقد...	137
عدوى الأخلاق...	138
أنواع الحبال....	138
الجنون فنون وكمان أدب..... من لطائف الأدب العربي	139
الشهوات... زيت الإنسان	139
أبو حامد الغزالي والبحث العلمي	140
عطاء بلا حدود	141
الحدث الواحد برؤيتينً	142
سفينة المجتمع	142
سيكولوجية الإنسان المتعصّب...	142
عندما تغيب الحكمة على المسلم ويجدها غيره...	143
افعل على أيّة حال...	144
أما لهذه السذاجة من آخر.	145
والله يعلم وأنتم لا تعلمون	147
الأزمة المالية "العقلانية (عقلان الراشدي)"	149
الدين المعاملة...	150
قاعدة: شاحنة النفايات	151
أيها اليمنيون ... تعالوا إلى كلمة سواء.	152
صناعة الأعداء ... كيف تصنع عدوا في خمسة أيام بدون معلم؟	154
المشائخ ..... سم اليمن القاتل.	155
أعداء الحوار...	156
الصراحة راحة...	157

الوحدة يصنعها ويحافظ عليها الكبار فقط...	158
أنا أرفض ..... أنا موجود	159
كيف تبيع أمريكا أصدقاءها؟!	160
المواد الحافظة لكل طاغية...	162
سؤال من يبحث عن التقدم...من أين نبدأ؟	163
ذلك فضل الله .....يؤتيه من يشاء	167
المسلم الحزين. ...	169
قصة المساعدات... نسمع جعجعة ولا نرى طحيناً	170
إدراك الفرق بين الابتلاء والعقوبة...تصحيح للحاضر والمستقبل	171
بذور الماضي .....ثمار الحاضر والمستقبل	172
البكاء على الأطلال...والصنمية القاتلة.	172
كن لها رجلاً .... تكن لك كل النساء	173
ألغام في طريق عودة الأمة	174
النحت على الورق.... الكاتب الحر في زمن الزيف	175
لا إكراه.....	177

من ذاق عرف ... ومن عرف اغترف.

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامَ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». رواه مسلم.

في الحديث دليل على أن للإيمان حلاوة ولذة، يحس بها المؤمن ويذوقها. فللإيمان طعمًا يفوق كل الطعوم، وله مذاق يعلو على كل مذاق؛ لأن حلاوة الإيمان حلاوة روحية نفسية قلبية، تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدم في العروق، فتشع على صاحبها بالأنوار والأمان، فلا قلق ولا أرق ولا ضيق ولا نكد، بل رحمة واسعة ورضا ونعمة. وإذا ذاق المؤمن طعم الإيمان، وخالطت بشاشته قلبه، اغترف وطلب الزيادة، ولم يعد يكفيه أن يأخذ الأمر رشفة رشفة، ولا رشحة رشحة، ولا نقطة نقطة، بل يريد أن يغترف من المعرفة، وأن ينهل من هذا الجمال الرباني، وهذه الحلاوة الربانية.

إن لذة الإيمان هي لذة تراكمية، وليست كلذات الدنيا الرخيصة، التي سرعان ما تخبو بانقضاء لحظتها، بل إن لذة الإيمان تحثك وتدعوك لعيش سعيد، ولذة غامرة، بل وإلى حياة ودار عامرة.

ما أروع تلك (السجدة) التي نستشعرها بكل كياننا، حينما نقبل بكامل جوارحنا وعواطفنا على الله، ومن ذاق طعم الركعات والسجدات في صلاته عرف، ومن عرف اغترف. ألا ما أبهى دعوة السر التي انطلقت من خبايا القلب وحنايا الفؤاد، ليعلن المخلوق أمام خالقه جل جلاله، فقره وحاجته، ومن ذاق طعم وحلاوة المناجاة لربه ذكراً وشكرا ودعاء، وتلذذ بحلاوة التلاوة للقرآن عرف، ومن عرف اغترف.

وكم هي بيضاء تلك اليد التي تعطي، وتقدم العون للآخرين، وكم هو نقي وصاف ذلك القلب الذي لا يحمل الحقد، ولكنه يتسع للطمأنينة والصبر والرضا، ألا فمن ذاق طعم هذه المشاعر عرف، ومن عرف اغترف.

لقد سُئل الجنيد عن محبة العبد لربه، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله، وبالله، ومع الله). حقا "من ذاق عرف ... ومن عرف اغترف!".

تربية الأجيال .... متى يستقيم الظلُ والعُودُ أعوجُ؟!

أخبرنا أحد التربويين الغربيين المشهورين (جان جاك روسو) عن واحدة من تجاربه المريرة في التربية فقال: "قبل أن أتزوج كان لدي ست نظريات في تربية الأطفال، أما الآن فعندي ستة أطفال وليس عندي نظريات لهم". وهذا يشير إلى أن تجارب الآخرين التربوية تؤخذ (للاستئناس) وليس (للتطبيق)، بل إن المربي نفسه لا يستطيع أن يطبق نفس التربية على ولده الصغير كما طبقها على الكبير، لتغير طبيعته هو، وتغير طبيعة من يربيه، وتغير طبيعة البيئة التي يعيشون فيها.

إن التاريخ يحدثنا، أن الملجأ الوحيد عندما تتعرض الأمم للأزمات السياسية أو الاجتماعية أو العسكرية، هو التربية والتعليم. وأعتقد أن التربية التي تلقاها جيلنا لم تكن هي التربية الملائمة، بدليل الواقع الذي نعيشه اليوم، وسيقول الأبناء والأحفاد مثل قولنا، إذا لم نسارع إلى تدبر أمورنا، وإصلاح ما لدينا من خلل في تربيتنا وعلاقاتنا وسلوكنا.

وإن مما يُزهِّد الناس بالاهتمام بالتربية وجود فجوات زمنية كبيرة بين الجهود التي تبذل فيها، والثمار التي تُجنى منها، مما يولِّد نوعا من الترهل النفسي والشعوري لديهم، ولا سيما عند الشعوب التي أصيبت بمرض (الآنيَّة) ، وفقدت فضيلة الأناة والصبر. كما يقول د. عبد الكريم بكار.

إن من أحبك سيبحث عن الأسباب ليبقى معك، ومن لم يحبك سيبحث عن الأعذار ليبتعد عنك، وهذا حالنا مع من نربيهم، فنحن غالبا ما نبحث عن (الأعذار) لنعفي أنفسنا من المسؤولية، بدلا من أن نبحث عن (الأسباب)، التي غالبا ما تكون عندنا وبسببنا، ونتحمل المسؤولية بكل اقتدار.

والتربية عملية تفاعلية، والطفل لا يتفاعل مع (المعلومات) التي لدينا، وإنما يتفاعل مع ما لدينا من (اتجاهات ومشاعر وسلوكيات)، وما نتخذه من مواقف، ولهذا فإن ما نحصل عليه من معارف ومعلومات وخبرات تربوية ليس من أجل (وعظ) الأطفال، ولكن من أجل (تقويم) سلوكنا وتحسين إمكاناتنا في توجيههم وتربيتهم.

وهذا هو الذي يفسر لنا ما يحدث أحيانا، من أن أمّاً أو أباً لم يحصلا على الشهادة (الثانوية العامة) يحسنان تربية أولادهما أفضل من أمّ أو أبٍ يحملان شهادة (الدكتوراه) في التربية، وذلك لأن الأطفال لا يتفاعلون مع الشهادات ولكن مع من يحمل الشهادات.

والتربية الحقيقية تقوم على رعاية الخصائص والصفات الجيدة لدى الصغار والعمل على تزكيتها، إلى جانب تلقينهم المبادئ والقيم والمفاهيم والأعراف الصحيحة. ومعقد نجاح التربية يكمن في الفهم الدقيق لما نريده من الطفل، وما يريده منا، والعمل وفق ذلك الفهم. فنحن في التربية نقدم (خدمة) ولا نستعبد الآخرين.

ويمكن تشبيه التربية كنوع من الحرب الدائمة على كل أشكال الانحراف والتبلد والقصور الذاتي، والتربية كالحرب تحتاج إلى الرجل المكِّيث (المتأنِّي)، الذي يملك فضيلة الصبر على بذل الجهد المستمر، مع التطلع إلى الفرص المواتية. ومن لا يملك فضيلة الصبر والتأني وسعة الصدر وطول البال، لا أعتقد أنه يصلح للتربية، أو أنه سيكون مثالا للمربي الجيد.

إن غاية التربية والتعليم هي تمكين الإنسان من أن يكون إنسانا حقيقيا، أو تمكينه من أن يكون عبدا صالحا، لأن العبودية هي جوهر الإنسانية، والإنسان كلما ارتقى في سلم العبودية، ارتقى في سلم الإنسانية.

والتّربية الدّينيّة (الإسلامية) الّتي يتلقّاها الإنسان في مرحلة طفولته، تترك آثارها العميقة في نفسه طوال حياته. ولذلك ينبغي أن تقدّم له هذه المعرفة منذ الطّفولة. وينبغي ألاّ ننسى أن الغصن إنما يُلوى وهو لا يزال غضّا طريّا.

إن التربية على تحمل المسؤولية عن التصرفات التي يقوم بها الطفل، نوع من الاستمساك بالحق وتعزيزه وإقامته. وهذا الخُلُق ينمو لدى الطفل حين يسمع الثناء على ما قام به من خير، وحين يُنبَّه بلطف على ما بدر منه من خطأ. كما يتعزز حين يرى الطفلُ الكبارَ يعترفون بأخطائهم ويتحملون المسؤولية عنها بطيب نفس.

إن احترام آراء الأطفال لا يتنافى مع مبدأ الحزم في التربية، فالحزم المبني على المحبة يغرس في نفوس الصغار محبة الآخرين، ويعوّدهم الطاعة وأداء الواجبات بدوافع ذاتية وبتوازن عقلي ونفسي.

وكما نكون تكون تربيتنا، فالأطفال أذكى مما نظن، وهم يلاحظون أشياء كثيرة، نعتقد أنهم غافلون عنها، ولذا فإن تأثير الأستاذ في الطالب أعظم من تأثير الوالد، لأنه يرى أستاذه في أحسن أحواله، على حين يرى أباه في جميع أحواله. والذي مورس في تربيته نوع من القسوة، يجنح إلى أن يعامل من يربيهم بالأسلوب عينه، أي أن الثمار التي نحصدها، هي من نوع البذور التي بذرناها في أبنائنا.

وفي تربية الأجيال، تعد التربية الأسرية هي الأساس، حيث لا يكاد علماء النفس وعلماء التربية يختلفون في أن الأسرة هي التي تقود عملية التربية الأساسية، حيث تثبت دراسات كثيرة أن الخطوط الأساسية في شخصية الطفل، يتم رسمها في السنوات الأربع الأولى من عمره، وأن ما يأتي بعد ذلك من مؤثرات تربوية مختلفة، إنما هو تعميق وتفصيل وتكميل، وهذا يعني أن الأسرة هي صاحبة التأثير الأكبر في شخصيات الناشئة.

وبما أن النبل ثقافة، فبإمكان من قصَّر به نسبه أن يستدرك، ويشيِّد لأبنائه وأحفاده ما يمثل تأسيسا لصلاحهم ونجاحهم. ويظل المهم في مثالية الأسرة اجتماع أمرين: صلاح الوالدين واستقامتهما، ثم تحلِّيهما بالوعي الكافي، الذي يمكنهما من حسن التعامل مع طفلهما، والموازنة بين الأساليب التربوية المختلفة.

إن التربية عبارة عن جهود متتابعة لا ندري على وجه التحديد متى تثمر الثمرة المرجوة، ولا بد من الصبر، وعلى الله المثوبة والأجر. فالتربية تتم في وسط مجموعة من النظم المفتوحة، ولا ندري على وجه الدِّقة نتائج تفاعل جهودنا التربوية مع تلك النظم.

وحين يكون المربون مذبذبين مضطربين يتصرفون بأشكال مختلفة تجاه السلوك الخاطئ نفسه، فمرة يكافئون ومرة يعاقبون ومرة يصرخون ومرة يتوعدون ويهددون، فإن الطفل ينشأ شديد التناقض دائم القلق لا يستطيع تمييز الخطأ من الصواب.

لقد أدرك د. مسلم تسابحجي، في كتابه الرائع أبناؤنا جواهر ولكننا حدادون (وأنصح كثيرا بقراءته)، أدرك ما يعانيه الأبناء، فتحدث بلسان الآباء، الذين يدركون رسالة التربية فقال:

مساكين أنتم يا أبناءنا ما أكثر ما عوقبتم بسبب أخطائنا.

مساكين أنتم يا أبناءنا ما أكثر ما ظلمتم بسبب تقصيرنا.

مساكين أنتم يا أبناءنا ما أكثر ما عاقبناكم على ما تعلمتموه منا.

مساكين أنتم يا أبناءنا كثيرا ما نلومكم على أشياء نفعلها أكثر منكم.

مساكين أنتم يا أبناءنا كم نضغط عليكم للقيام بأمور فشلنا نحن في تحقيقها.

مساكين أنتم يا أبناءنا كم مرة نحاول كسر المرآة لنرتاح من رؤية الخطأ المعشش فينا.

مساكين أنتم يا أبناءنا كم نحملكم أوزارنا ثُم إنكم بعد ذلك تحبوننا، وتصفحون عنا.

إن التربية رسالة عنوانها (الحب غير المشروط)، فلسان حالك مع من تربيه يقول: أحبك لأنك ابني. أحبك مهما فعلت. أحبك مهما كنت. واحتساب الأجر من الله هو الذي يعين على هذا الطريق الصعب.

جماليَّة الدِّين ... جمال التُّقى يا جميل العيون

الجمال على أنواع، وعلى درجات، وعلى طبقات، وعلى مراتب متنوعة، كتنوع الألوان والأنوار والظلال، التي يزخر بها هذا العالم، وكل منا يأخذ منه حسب استيعاب روحه وقلبه، وغِنَى فؤاده وقدرته على تذوق الجمال، وكلما ارتقى الإنسان زادت قابليته على تذوق الجمال. فمنَّا من لا تحرك مشاعره أجمل المناظر، ولا أحلى الأصوات والألحان، ولا أرق الأشعار. ومنا من يحسُّ بدبيب قليل في قلبه تجاه الجمال، ومنَّا من يظل قلبه عطشا على الدوام لا يشبع من الجمال، كلما شرب منه ازداد عطشا. لقد لاحظ العلماء أن الجمال صفة من صفات الكون، بل صفة من صفات قوانين هذا الكون وهذه الحياة كذلك.

والقرآن يعرض لنا هذا الكون كلوحة بديعة، من بدائع الخلق الرباني ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (النمل: ٨٨) . لقد حدثنا القرآن عن:

جمال السماء فقال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ (الصافات: ٦).

وحدثنا عن جمال الأرض فقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ (ق: ٧).

وحدثنا عن جمال النبات فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٩٩).

وحدثنا عن جمال الإنسان فقال:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ (التغابن: ٣).

وحدثنا عن جمال الحيوان فقال:﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ ﴾ (النحل: ٦).

والقرآن يربط بين أمرين اثنين، ربطا وثيقا محكما، بين الانتفاع المادي بحقائق الأشياء، وبين الاستمتاع بالقيم الجمالية المودعة في الخلق، فيقول تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ ﴾ (النحل: ٦).هنا يحضر الجمال. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ (النحل: ٨). هنا الفائدة والمنفعة . "تـ" وهنا يحضر الجمال. وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ (الأعراف: ٣١). وهنا تحضر المنفعة والستر والجمال. والأمثلة أكثر من أن تحصر.

وقد جاءت دعوة القرآن بلغة الخطاب العربية داعية إلى التدين بآيات الجمال في الكون ودلالاتها، وبالنعم الجميلة وواجب شكرها، وبآيات الله البديعة المعجزة في كتابه، وبالآخرة الجميلة وواجب ابتغائها. كما يقول د. حسن الترابي.

وقد اتخذ المؤمنون من الجمال وصنعته سببا للدعوة إلى هذا الدين، فكما كان الفن المفتون يحمل دعوة الباطل -وكان الشعر أبلغ فن يحمل الرسالة في ذلك العهد - كان الشعر الإسلامي يقوم بدوره على أكمل وجه، يزكيه القرآن، ويحرض عليه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. والجمال ارتبط بالقيم السامية، فقد حدثنا القرآن عن: الصبر الجميل ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ٥ ﴾ (المعارج: ٥).

والصفح الجميل ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الحجر: ٨٥).

والهجر الجميل ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾ (المزمل: ١٠).

والسراح الجميل ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأحزاب: ٤٩).

قال ابن القيم:

الصفح الجميل هو الصفح بلا عتاب.

والهجر الجميل هو هجر بلا أذى.

والصبر الجميل هو صبر بغير شكوى.

والسراح الجميل هو سراح بمعروف.

إن الله خلق الحياة على مقاييس الجمال الإلهية الباهرة، الساحرة، وأرسل الرسل بالجمال، ليتدين الناس على ذلك الوزن وبتلك المقاييس، ولذلك قال النبي محمد، سيد الأتقياء، وإمام المحبين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : "إن الله تعالى جميل يحب الجمال" (رواه مسلم) . وفيه زيادة صحيحة (رواها الطبراني): "ويحب معالي الأخلاق ويكره سِفسافها".

مما يشير إلى أن الجمال مطلوب في أداء المسلم شكلا ومضمونا، مبنى ومعنى، رسما ووجدانا. وإن الله الذي جعل الدين جميلا، قصد أن يكون التدين جميلا أيضا، قصدا تشريعيا أصيلا.

إن الإحساس بالجمال فطرة في الإنسان، وتحريك هذا الإحساس مدخل إلى عمقه النفسي والفطري، ويتم التحريك بطرق متعددة: منها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل، وشكل جذاب، وكساء أنيق. ومما يؤسف له ويحزُّ في النفس أن الإعلام المعاصر يبثُّ من الباطل أكثر مما يبث من الحق، وهو يخدع الناس بهذا الباطل، إذ يزينه لهم بالصورة، واللون، والحركة، والإخراج، والمكياج، والبسمة، والتظرُّف. والشيطان ذاته

يفعل نفس الشيء فهو يزيّن لأوليائه أعمالهم ويجمّلها. ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النمل: ٢٤).

والجمال بُعْدٌ أصيلٌ من أبعاد الحقيقة، كما أنه بالمقابل مطلب فطري للبشر بأجمعهم على امتداد الإنسانية، وهو سمة من سمات العصر، وإن اختلفت المعايير المحددة لهذا الجمال. والإسلام دين يحضُّ على الجمال مطلبا وغاية، وخلقا وسمتا، ووسيلة وأداة. وهناك اقتران بين الجمال والسلام وبين القبح والعنف، ولا يمكن أن يؤدي عنف إلى سلام أو خير.

ومادام عنصر الجمال عميقاً في الوجدان البشري كما يتبدى في كل كائنات هذا الكون، وما دام الإنسان منفتح الأحاسيس لتلقي هذا الجمال ليصل مع هذا الكون والقرآن إلى رحابة الأفق الأعلى، فلن يصادر الإسلام فناً هادفاً، يستمد مقوماته من قيم الإسلام. ولذلك فإن جمال (مكة) عند المؤمن الذي تهفو روحه إلى البيت العتيق، ليس جمالاً عادياً ، إنه جمال خفيّ محيَّر يفوق كل حد.

إن الجمال في الإسلام أصل أصيل، سواء من حيث هو قيمة دينية: عقدية وتشريعية، أو من حيث هو مفهوم كوني، وكذا من حيث هو تجربة وجدانية إنسانية. ومن هنا كان تفاعل الإنسان المسلم مع قيم الجمال ممتدا من مجال العبادة إلى مجال العادة، ومن كتاب الله المسطور (القرآن الكريم)، إلى كتاب الله المنظور (الكون).

والله قد فتح أمام البشرية معرضين فسيحين للجمال، معرضين دائمين، يتنفسان الحياة، وينبضان بالحسن المتجدد أبد، أولهما: هذا القرآن المجيد، وما يتضمنه من حقائق إيمانية خالدة، تصل الإنسان بمنابع الجمال الحق، ومصدر النور الأعلى.

وثانيهما: هذا العالم الطبيعي الكوني، بما فيه من مخلوقات وفيوضات نورانية، وتجليات روحانية خارقة، لا تنتهي استعراضاتها أبدا، امتدادا من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. كما يقول د. فريد الأنصاري

إن الجمالية الإسلامية تنبع أولا من حقائق الإيمان، إذ تشكل الوجدان الإنساني بما يتلقاه من أنوار عن رب العالمين، سائرا إلى الله عبر أشواق الروح، مبدعا ومتبعا لسيد الكائنات -صلوات ربي وسلامه عليه. إن تجميل التدين وتحسينه، حتى يكون غاية في الحسن والجمال، هو قصد مبدئي أصيل في الإسلام.

ولهذا فإن الجمالية في الدين لا تدرك من خلال ألفاظ بعينها في الشرع فحسب، بل هي مفهوم مبثوث في أصول الدين وفروعه، إنها تؤخذ من كل معاني الخير، والتخلق والتجمل، والتزين والإحسان، ونحو هذا من معاني الجمال، المبثوثة في القرآن والسنة، والإحسان هو عنوان الجمال في الدين، وهو الذي عرفه الحبيب -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -عندما سئل عنه بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(رواه مسلم).

ومنذ آلاف السنين، والشعراء والأدباء والفنانون وأصحاب الحسِّ المرهف، يتغنون بالجمال، وينبهرون به، ويحاولون التعبير عنه، وعن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاهه، فلا يَملُّون، ولا يسأمون، ولا يكتفون، إذ لا تزال في قلوبهم المُترعة بنشوة الجمال، أشياء وأشياء، تحاول الإفصاح عن نفسها، وحق لهم هذا، فهم يعيشون في عالم نثرت على جوانبه آيات من الجمال والحسن عديدة. كما يقول د. أورخان محمد علي.

لقد تلقى الشاعر والأديب والسفير السوري عمر بهاء الدين الأميري سؤالا في إحدى المؤتمرات، بعد محاضرة ألقاها حول الأدب والجمال، على شكل بيتين من الشعر هما:

خلقت الجمال لنا (فتنة) وقلت لنا يا عبادي اتقون.

وربي جميل يحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون.

فرد على البيتين بداهة وعلى الفور قائلا:

خلقت الجمال لنا (رحمة) وقلت لنا يا عبادي اتقون.

وربي جميل يحب الجمال جمال التُقى يا جميل العيون.

تأمَّل في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ (الحجرات: ٧). أن تحب الإيمان يعني أن الدين سكن قلبك، فتعلقت به كما يتعلق المتيم بمحبوبه! والحب لا يسكن قلبا إلا إذا شاهد مباهج الجمال التي تسحره وتأخذ بمجامعه، ولذلك قال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ فإذن كيف يصدر عن مسلم هذا شأنه قبحٌ في التعبير أو قبح في السلوك؟! إذن يكون خارج معنى (العبادة) حينئذٍ، وخارج مقاييس الدين، إذ الله جميل يحب الجمال.

إن إشباع الحاجات الجمالية لدى الإنسان لو تأملتها تجدها لا تخرج عن معنى حاجة الإنسان الفطرية إلى التعبد والسلوك الروحي! ولذلك فإن الإنسان الغربي إنما يمارس بإبداعه الجمالي ضربا من العبادة الخفية أو الظاهرة، التي يوجهها نحو الطبيعة حينا، ونحو ذاته أحيانا أخرى، إنه بدل أن يسلك بإنتاجه الجمالي مسلك التعبد لله الواحد الأحد، مصدر الجمال الحق، وغايته المطلقة في الوجود كله، ينحرف بها إلى إشباع شهواته أو أهوائه. ثم يمارس نوعا من الوثنية المعنوية أو المادية، ولذلك كانت فنونه الجميلة تميل إلى التجسيم والتشكيل، محكومة بمثل قوله تعال: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨ ﴾ (الأعراف: ١٤٨).

إن العمارة الإسلامية . رغم ثرائها الجمالي الرفيع . هي آخر ما ينبغي الاشتغال به لمن أراد أن يدرس الجمالية الإسلامية في مصدرها الأولي، لأن حصون المدائن وجدرانها إنما هي التجليات المادية المعبرة عن أشواق الروح الفياضة، عبر القباب والمآذن، مندفعة بقوة

نحو السماء، وإنما هي صورة التعبير الرمزي عن معاني الاحتضان العاطفي، وقيم الأخلاق الاجتماعية والحنان الريان، بما امتازت به من حياء، وتستر، وانحناءات، تتلوى أضلاعها الخفاقة بالمحبة بين الدروب، تسلك بالرجال والنساء مسالك الحشمة الرقيقة والوقار العالي، إلى المساجد والغرفات والشرفات الكاشفة الساترة! ثم تنشر أسرارها نقوشا وزخرفة تتبادل الأدوار مع أحرف الخط العربي بشتى أشكاله، في كلمة ناطقة حينا، وناظرة أحيانا أخرى، كلها تتدلى مثل العناقيد من بين الأقواس، تستقبل مواجيد المحبين وترد سلام المتبتلين، لتتوحد معهم في صلاة أبدية خالدة. كما استشعر ذلك د. فريد الأنصاري ولأن أهم عناصر الجمال البساطة. فإن الكلمات الجميلة التي نوجهها لبعضنا أشبه بالطيب، حيث أنك لا تستطيع أن ترشه على من حولك دون أن يصيبك منه شيء، والكلمات الجارحة والقاسية أشبه بالريح المنتنة يستنشقها كل من في المكان. كما يقول د. عبد الكريم بكار.

إن درجة الانبهار بالشيء الجميل، تتطابق مع (المسافة الجمالية) بين المختزن في الخبرة، وبين المستوى الذي يُشِعُّه الشيء الجميل. فما يأتي الجميل ... سوى الجميل.

إن قيمنا الجمالية تستمد أيضاً من نفس المصدر وترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام قيمنا الأخلاقية، وعلى القيم الجمالية والقيم الأخلاقية معاً تنهض قيمنا التربوية.

إن التماس الجمال وصناعته من حيث المبدأ سنة مسنونة في الشريعة، تبصرا لآيات الله وشكرا على آلائه الجميلة، وتعبيرا عن العبادة، وتزيينا لها وتيسيرا، ثم ترويحا مباحا، يهيئ النفوس للإقبال على سائر الحياة العابدة.

حصاد تجارب السابقين .... ثروة للنابهين

عجيب أمر هذا الإنسان، فما إن يتعلم الحكمة ويعرف طريقها، حتى يكون العمر قد انقضى، وخياراته قد تحددت، ولو أنصف بنو آدم أنفسهم، لأدركوا أن الحكيم من ينتفع بمن سبقه، وينفع من لحقه، فلو كان قادرا على نفع نفسه دون غيره لما كان إنسانا.

إن الحكمة لا تتأتى إلا بالتجربة، والتجربة تلتهم العمر مخلفة ندوبا غائرة في الروح. لكنها تورث راحة لا يدركها كثيرون، ولعلها راحة (اليأس) المكلل بالإدراك. وصار حال الإنسان كما قيل في تعريف الخبرة أنها: (المشط الذي تعطيك إياه الحياة ... عندما تكون قد فقدتَ شعرك).

إن الإنسان لا يكتمل، ولا يترقى في مدارج الإنسانية إلا بمقدار ما يتعلمه، وما يستفيده من أنواع الإدراك والخبرة في جوانب الوجود المختلفة. وما يقدمه الذكاء في فهم الواقع ضئيل بالنسبة إلى ما تقدمه الخبرة المتراكمة والتجربة الحياتية.

والانطلاق الواعي في هذه الحياة يولِّد الخبرة، والخبرة تولِّد الثقة بالنفس، والمنغلقون على ما لديهم لا يستطيعون إلا أن يكونوا خائفين، ولا يستطيعون إلا أن يكونوا غرباء، والخوف والغربة عاملان من عوامل الاضمحلال.

وليس من الحكمة . كما يقول باومان . أن يتعلم المرء من التجربة ليعتمد على استراتيجيات وتكتيكات نجحت في الماضي. فتجارب الماضي لا يمكن أن تستوعب ما يطرأ على الظروف من تغيرات سريعة غير متوقعة إلى حد كبير (وربما لا يمكن توقعها). بمعنى أن تكون الاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم بما يتناسب مع الواقع الذي يعيش فيه الإنسان، وليس تكرارا للتجارب والخبرات السابقة بحرفيتها.

ومن خير الوسائل لاكتشاف القدرات التجربة الشخصية، فممارسة الأنشطة المختلفة تساعد الإنسان على بلورة ميوله، ومعرفة قدراته. والممارسة تكسب الخبرة، ومقاومة التحديات تصلب الإرادة، وتستنفر الطاقات الهاجعة، وتكشف عن الامكانات الكامنة. وكثيرا ما يتأثر حكم الإنسان على الأشياء ومحاكمته للأحداث بعوارض الحب

والكره والخوف والغضب، والتجربة تظهر ميل المرء لتصحيح ما يعجبه وتقبيح ما يكرهه، والتشكيك فيما يتعارض مع مصالحه الآنية والقريبة.

إن موقف الإسلام من موضوع التجربة والخبرة يوضحه قول الرسول الأعظم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . : "أنتم أعلم بأمر دنياكم". (رواه مسلم)، فقد وكَّل الإسلام إلى العقل البشري والتجربة البشرية، مهمة التعرف على ذلك والقيام به، دونما حجرٍ أو تقييد، بل دعم لذلك وحث عليه، فالناس من خلال عقولهم وتجاربهم أعلم بهذه الأمور.

إذن هي دعوة قوية وصريحة إلى استخدام كل ما يمتلكه الإنسان من خبرة ودراية وتجربة وفكر. وبهذا فالفرد المسلم ليس فقط حرًّا في استخدام قدراته وملكاته في هذا الجانب، بل هو مأمور إسلاميًّا ببذل كل جهد وطاقة في سبيل التعرف على هذه القوانين وحسن الاستفادة بها.

ألا ما أجمل العبارة التي لا نمل من تكرارها: (السعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره). بمعنى أن السعيد هو من استفاد من تجربة غيره، بينما يشقى من لا يستفيد من تجارب الآخرين، ويكرر كل فعل مرات ومرات، وكأنه لا يوجد في هذه الدنيا ماض يمكن أن يستفاد منه.

ويمكننا القول أن كل إنسان مفكر اجتماعي على وجه من الوجوه، وقد تتجمع الخبرة الاجتماعية في الناس فتظهر على شكل (أمثال) شائعة أو (حكم) مأثورة أو أبيات (شعر) أو (نوادر)، يتداولها الناس فيما بينهم، وتحفظها بطون الكتب، وهي متفرقة، وتختلف من مجتمع إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى، وقد لا يوجد فيما بينها ارتباط عام أو منطق واضح، إلا أنها خلاصة تجربة طويلة تمَّ اختصارها في هذا المَثل أو تلك الحكمة.

والعلم له ركنان متلازمان لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر هما: النظرية والتطبيق، أو هما بعبارة أخرى التجربة الموضوعية والاستنتاج المنطقي. فالعلم يختبر

الشيء أولا، ثم يستنتج الفكرة منه ثانيا، وهو في نموه المتصاعد لا يتوانى عن الاختبار والاستنتاج مرة بعد مرة. كما يقول الدكتور علي الوردي

إن الاستمداد من التاريخ يأتي أحيانا في صورة (مَرَضيَّة)، في شكل هروب إلى الماضي من أعباء الحاضر، هذا الاستمداد للماضي يحوله من تاريخ لبشر من (لحم ودم)، إلى تاريخ ملائكة يستحيل الاقتداء واللحاق بهم.

وخطر هذا النوع من التناول للتاريخ أنه يحول ماضي الأمة من تاريخ حيٍ نابض، إلى تاريخ جامد مقدس، يثير (الحماس) لكنه لا يمنح (الخبرة)، يحرك (الهمَّة) لكنه لا يقدم (العبرة)، يظهر تقصير الخلف، لكنه يُقنِّطهم من اللحاق بالسلف. كما يؤكد على ذلك د. محمد بن المختار الشنقيطي.

والخبرة والعبرة من التاريخ موصولة بالكسب الحاضر والمستقبل القادم، والمعاني الخالدة في حياة الإنسان والمجتمع أساس للحياة التي لا تتبدل، والباقي يتجدد حتى يحفظ الوتيرة الدَّوارة عبر الحياة. وعُمرُ المؤمن ينبغي أن تثبت أصول سيرته وتتجدد وتحيا وتزكو وترقى أبداً، لا يهمل عهد الشباب إباحة ومتاعاً وعربدة، ليستدرك عند شيبه تزهداً وتبتلاً وترهباً.

إن سفينة المجتمع التي جعلها النبي . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . مسؤولية الجميع، هي السفينة التي ستقلُّ الجميع إن كانت صالحة، وسيغرق كل من على متنها جميعا إذا هي غرقت :(مَثَلُ القَائِم في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِع فيها، كَمثل قَومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، فَأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أَسْفلَهَا، فكان الذي في أَسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فَوقَهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنا؟ فإن تَرَكُوهُمْ وما أَرَادوا هَلَكوا وهلكوا جَميعا، وإنْ أخذُوا على أيديِهِمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعا)[رواه البخاري عن النعمان بن بشير]. فهل يعي من يخرقون "سفينة الأمة" المآل الذي يقودون إليه أنفسهم ومجتمعهم. إن بعضًا من "أمَّة الإسلام" لا يَعُون الدرس، ولا

يتخذون العبرة من الخبرة والفكرة، ألا ما بالهم لم يتعرَّفوا على درس مصطفى صادق الرافعي حينما بحث في متتابعات منظومة السُّنن فوجد أن: "أصغر خَرْق يَعنِي أوسعَ قَبْر"؟ لقد علمتنا التجربة أن العدو الجاهل ينفخ فيك روح المقاومة والاستبسال، من خلال حماقاته وقِصر نظره، فهو يجدد دماء الشباب في عروقك من حيث أراد هزيمتك! أما العدو المتعلم فإنه يصطادك بشباك من حرير ويجعلك تخدمه، وأنت تشعر له بالامتنان! ومما استفدناه من التجربة التاريخية أن الناس يميلون بطبعهم إلى جعل الدين جزءا من ثقافتهم عوضا عن أن يكون مهيمنا عليها، وموجها لها.

وتوضح التجربة أن بعض الأشخاص والمؤسسات والكيانات لا ترضى عن أي عمل أو فكر، وهي طوال عمرها تنتقل من إخفاق إلى إخفاق دون أن يكون ذلك حافزا لها نحو أية وقفة (تأمل ومراجعة)! إنها تملك مناعة خاصة ضد آلام التجربة.

لقد أثبتت التجربة التاريخية أنه لا شيء يضيع، فالفكرة مهما كانت، تترك انطباعا معينا سلبيا أو إيجابيا. وأن الفكرة الأصيلة لا تضيع أبدا، فهي إن لم تُورقُ اليوم أورقت غدا. كما يؤكد على ذلك د. عبد الكريم بكار.

القيم ... الحارس الأمين على بوابات الأمم.

يشكو كثير من الناس من أن القيم السائدة في مجتمعاتنا المعاصرة أخذت تهتز، وهذا راجع في الحقيقة إلى طبيعة العصر، فإنه عصر صراع فكري وعقيدي حاد؛ وخصوصا حول قضايا المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية.

وغياب القيم الأخلاقية أو تدهورها يؤدي بالضرورة إلى تصدع المجتمع وانهياره وتداعيه. ولا يمكن أن تقوم للمجتمع قائمة من غير القيم الأخلاقية والفضائل التي تغذيه بالتماسك والوحدة والقوة والانسجام، وقد عبر أمير الشعراء أحمد شوقي خير تعبير عن هذا التصور للعلاقة بين الحضارة والأخلاق بقوله:

وليس بعامرٍ بنيان قومٍ إذا أخلاقهم كانت خرابا.

والقيم لا تُحسُّ، ولكنها موجودة بوجودٍ أقوى وأغنى من وجود الأشياء. فهي فاعلة مُحرِكة، بينما الأشياء والطبيعة جامدة مُحرَّكة. وليس صحيحا: أن القيم لا تعرف يقينا. بل إن لها علما لا يقل شأنه عن العلوم الطبيعية: له ضوابطه ومنهجه، وله أحكامه وله تاريخ حافل طويل، كما يؤكد على ذلك د. إسماعيل الفاروقي.

ويمكننا تعريف القيمة بصورة مختصرة بأنها: وصف معياري متعلق بالأفعال والأفكار نستطيع من خلاله تمييز الحسن من القبيح، وميزان لما يجب أن تكون عليه الحياة العامة والخاصة.

والذي يحدث عادة في الأمم أن تبرز بعض القيم وتسود وتضعف قيم أخرى. والأمة تنهض وتتقدم بغلبة تأثير مجموعة معينة من القيم مثل التمسك بالقيم الخالدة في ثقافتها، إضافة إلى الثقة بالنفس والطموح والجد والاتقان واليقظة والنظام و ...، فإذا برزت هذه القيم وسادت امتد دورها إلى التخفيف من ظهور أثر بعض الانحرافات الخلقية كالزنا والخمر والرشوة وغيرها من الانحرافات في المجالات الاجتماعية والسياسة والاقتصادية.

أما أهمية القيم فتنبع من كونها تضبط سلوك الفرد من الداخل (الضمير أو الوازع الداخلي)، حيث تعجز الأنظمة والقوانين والأعراف عن ضبط تصرفات الإنسان في خلواته وشؤونه الخاصة. والقيم الخيِّرة -عامة - لا تُفرض على الناس فرضا، لكنها تجذبهم إليها جذبا فيتمثلونها، ويضحون في سبيلها عن طيب خاطر وخضوع تام. والإجبار علي الفضيلة لا يخلق مجتمعا فاضلا بل مجتمعا منافقا، والقيم كبصمات الأصابع لا يتشابه فيها اثنان، لكنها تترك أثرها في كل عمل يقوم به الإنسان.

وقد شبَّه د. علي الوردي القيم الاجتماعية في الجماعة بـ(العقد النفسية) في الفرد - وإن اختلفنا معه في التشبيه -، كلاهما يوجِّه سلوك الناس ويقيِّد تفكيرهم من حيث لا يشعرون. ونحن العرب تكاد القيم (البدوية) تؤلِّف جزءا لا يستهان به من نظامنا الاجتماعي. وفي رأيي أننا لا نستطيع أن نفهم الأخلاق العربية في وضعها الراهن، قبل أن ندرس أخلاق أجدادنا (البدو) وكيف كانوا ينظرون في شؤون الحياة.

وعلى الرغم من هذا فإن للعقل ميزة عجيبة في كونه يفهم القيم الاجتماعية، ويعرف كيف يراوغها، أو تجنب الاشتباك بها. إنه بعبارة أوضح مجنون لا يحب إظهار جنونه. حيث يتم انتهاك القيم في الواقع العملي مع زعم احترامها، وذلك بسبب شوائب الممارسة.

وقد أورد المفكر الألماني المسلم (مراد هوفمان) رؤيته لعلاقة القيم بالإلحاد، كون القيم لا تختفي فجأة، بل تواصل عملها لفترة ليست بالقصيرة في واقع مغاير لطبيعتها، فقال: " إن المجتمع الذي أصابه الإلحاد سيستفيد لفترة من القيم المتوارثة والسلوكيات التي تمرَّس الإنسان عليها، وكذلك بعض المعتقدات التي تمتزج فيها الخرافة مع الأساطير المتوارثة".

ولكن سرعان ما ينتهي هذا الرصيد، فمن طبيعة القيم الاجتماعية بوجه عام أنها تبقى فعالة زمنا بعد ذهاب الظروف المساعدة لها. ولكن سرعان ما يبدأ البشر في البحث عن اللذة ومحاولة الحصول على كل ما يمكن من ملذات الحياة في عمرهم المحدود، ويتزايد بالطبع إهمالهم للصالح العام.

ولن أكون مبالغا إذا قلت بأن العالم الإسلامي يعيش في مثل هذه الحالة، بمعنى أنه يتواصل مع بعضه (ببقايا قيم)، حيث تتوفر القيم في علاقاته على المستوى الفردي أكثر منها على المستوى الاجتماعي. والقيم عندما تتم خيانتها تنتقم أشد انتقام من العابثين والمتلاعبين بها ولو بعد حين.

ورغم المكانة التي يتبوأها العلم في الحياة، إلا إنه لا يستطيع إنتاج القيم ولا حتى حمايتها، ذلك لأن القيم . بالتعريف الذي يقول به العلم . لا عقلانية بالكلية، أي لا يمكن إخضاعها للتجريب كما في العلوم الطبيعية.

فالعلم ليس لديه ما يقوله عن غايات الحياة وأهدافها وعطائها ومبرراتها، وأصبحت المقولة العامة هي أن العلم لا يخبرنا عن لماذا؟ وإنما يقتصر على كيف؟ وثمة مقولة أخرى هي أن " العلم ليس أيديولوجية أو قواعد أخلاقية أو نظم قيم، وهو لا يستطيع مساعدتنا على الاختيار بين الخير والشر ". وهذا يقودنا إلى القول بأن مصدر القيم الحاكمة لحياة الفرد والمجتمع مستمدة من الوحي بالنسبة لنا كمسلمين، وكل أمّة تستمد قيمها من تراثها الذي تعتزُّ به سواء كان إلهيا أو وضعيا.

إن القيم الإسلامية تبدأ مع الناس من الحالة التي هم عليها، وترتقي بهم من خلال تطوير استطاعاتهم، بوضع البرامج والخطط الملائمة لكل مرحلة من مراحل الترقي، وما يناسبها من الوسائل والأحكام.

وكما نردد باستمرار المقولة الصائبة، التي يحسبها البعض حديثا نبويا ، وهي: "الدين المعاملة"، فإن هذا يعني أن القيم العليا قد وُجدت لتكون أساسا تقام عليه الحياة الفعلية التي يحياها الناس في كل ميدان. وإن كنا نجزم أن القيم وحدها ليست قاطعة للصراعات والتدافعات، فالتدافع قانون كوني، لكن القيم تخفف حدة هذه الصراعات وتكون وسيلة للعودة إلى الرشد، وتنشئ حالة من التفاهم ولو نسبيا.

إن عالم اليوم لا تحكمه (المبادئ) ولا تحركه (القيم)، ولكن الذي يحكمه ويحركه هو (المصالح) و(المنافع) و(شهوة النفوذ)، لكن حين نكون أقوياء بما فيه الكفاية، فإننا

ندفع عن أنفسنا الكثير من الضرر والحيف، الذي يمكن أن يصيبنا من أصحاب الأطماع الذين لا تحكمهم قيم.

ولقد حل محل القيم المحلية المنهارة قيم جديدة يمكن أن نسميها (قيم المصلحة)، وهي قيم تشبه مناديل الورق (كلينكس) التي يستعملها الإنسان للحظات أو دقائق، ثم يلقي بها في سلة النفايات وبراميل القاذورات.

وحين تتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، تصبح الأفكار والقيم بعض (سلع) التجارة ومواد الاستهلاك، المعروضة في مزاد البيع والشراء، ومن يدفع أكثر. كما يشير إلى ذلك د. ماجد الكيلاني.

إن القيم لن تصبح ذات قيمة راسخة في نفس الإنسان، إلا إذا تكرر حدوثها في سلوكه وأصبحت سجيَّة وجِبلَّة لا تفارقه، فلا يقبل من الإنسان أن يكون صادقًا حينًا وكاذبًا حينًا، كما لا يقبل منه أن يكون عادلاً وظالمًا في مواقف مختلفة.

إن الخصائص الأساسية في القيمة، هي تكرار حدوثها بصفة مستمرة؛ فمن يَصْدُق مرة أو مرات، لا يوصف بأنه فاضل في سلوكه، وإنما تتأكد القيمة وتبرز الفضيلة الخلقية في سلوك الإنسان إذا تكرر حدوثها بصورة تجعلها عادة مستحكمة أو جزءًا من النسيج العقلي والسلوكي لصاحبها وعنوانًا لهويته. والقيم دواء، ولا يمكن للدواء أن يكون مفيدًا ما لم يجد لدى من يناوله أو يتناوله من الخبرة ومن الاستعداد النفسي ما يجعل الجسم يقبل المداواة بارتياح.

والدعوة إلى التمثل الوسطي المعتدل كما في توجيه النبي . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" (رواه البخاري)؛ إذ ليست العبرة بكثرة العمل، ولكن بنوعه والمداومة عليه، والوسطية والاعتدال في تمثل الأحكام الشرعية سبيل لاستمرار القيم واستقرارها، بل يمكننا القول إن الوسطية والاعتدال دليل قائم على هذا الاستقرار، كما يقول د. خالد الصمدي.

إن مسؤولية تعليم القيم مهمة يجب أن تعنى بها كافة القوى التربوية فى المجتمع: الأسرة، والمدرسة، ومؤسسات المجتمع المختلفة: السياسية، والإدارية، والإعلامية، في جميع المراحل العمرية، وخاصة السنوات الأولى من حياة الإنسان، ومن الضروري أن تُنسِّق كل هذه القوى التربوية في أهدافها وأنشطتها بحيث لا تناقض مؤسسات المجتمع . مثلاً . ما تقوم به المدرسة أو تناهضه.

وينبغي ألا يكتفي المربي بالتذكير بالقيمة والتوعية بها، دون أن يرعاها ويتابع نموها وتطورها في وجدان المتعلم، عن طريق القدرة على صياغة مؤشرات للتقويم، يتابع تكرر حدوثها في سلوك المتعلم، حتى تقوم دليلاً على تمكُّن القيمة من وجدانه، أو حاجتها إلى مزيد من الجهد.

وفي ضوء ذلك يقرر السبل الكفيلة بدعم ما كان إيجابيًّا وعلاج ما كان سلبياً، عن طريق التجديد في طرق وأساليب ووسائل التربية. والأصل أن يتشرَّب الصغار القيم لا عن طريق النصح والتوضيح فقط، ولكن عن طريق المعايشة والاحتكاك بالكبار والعدوى الروحية.

إننا مطالبون بترسيخ القيم الفاضلة، التي تكرم الإنسان كإنسان، وتعمل على تماسك المجتمع وعدم تمزُّق علاقاته الاجتماعية، مالم فإن القيم المنحرفة ستجد لها سبيلا لتحل محل القيم الفاضلة، وعندها لا نلوم إلا أنفسنا.

فالقيم المنحرفة التي قتلت عثمان واغتالت عليا . رضي الله عنهما .، وصنعت معركة الجمل ومعركة صفين، وحرب إيران والعراق وحرب الخليج، وغيرها من الحروب المستعرة، إنَّ هذه القيم لا زالت حيَّة، وعندها استعداد أن تكرر نفسها مضروبة بتزايد عدد السكان وتقدم التقنية، لأن الفكرة الأساسية التي أنتجتها لم تتغير. كما يقول جودت سعيد

مدرسة الحياة. ... دروس حقيقية راسخة.

حملتني الأقدار إلى بلاد شتى، فتعلمت أن اللغة الأم للتواصل بين البشر كافة هي بسط الوجه، وابتسامة صادقة، تفتح لك القلوب الموصدة، وإن جهلت اللغة فَلَكَ في الإشارة البسيطة والحركة الرفيقة سبيل.

وتعلمت أن الناس يتشاركون الهموم نفسها فتجمعهم على اختلاف ألوانهم ومشاربهم، والفقر في كل البلاد واحد يُذلُّ النفوس ويكسر الهمم، والمرض واحد يؤلم الجسد ويستدعي الرفق والرحمة، والميلاد واحد مصدر للبُشرى ومدعاة للاحتفال بقدوم الوافد إلى عالمنا، والموت واحد فراق وحزن وأسى.

تعلمت أن الناس أسرى ثقافاتهم، وأن بإمكاننا أن نردهم إلى الفطرة لو فهمنا مفاتيح كل ثقافة لنرتب عليها أولويات التواصل معهم، وقد رأيت كيف اختلت الأولويات لدى المسلمين، فصدوا عن سبيل الله، بدلا من أن يكونوا قدوات، يحسنون تمثيل دينهم على أحسن وجه.

تعلمت أن الفرد قد ينوب عن أمّة من الأمم، وأن الانطباعات الأولى قد تدوم، وأن كل حركة في الغربة تحسب عليك أو لك، وأن المسلم بالبِر والفضل أولى، وهو لهما أهل.

تعلمت أنه من الطبيعي أن يغطي الناس أعمالهم بكل أنواع التبريرات، مفترضين على الدوام أنهم قد تصرفوا بدافع من الطيبة، وعليك أن تتعجب وتضحك بشكل سري كلما سمعت ذلك.

تعلمت دروسا لم أجدها في الكتب، وفهمت أمورا في كتاب الله وهدي نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - لم أسمعها في المساجد، ولم يذكرها لي شيخ أو إمام.

لا تصدق أبداً أن بإمكانك أن تتعلم دروس الحياة وخبرتها مجاناً.

النور الخالد ... بين حقيقة الحب ووجوب الإتباع

لا يعلم أقدار النفوس إلا بارئها . كما يقول الشيخ محمد الغزالي . والذي يريد هداية العالم أجمع يختار للغاية العظيمة نفساً عظيمة، وقد كان العرب في جاهليتهم يرمقون محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . بالإجلال، ويحترمون في سيرته شارات الرجولة الكاملة، إلا أنهم لم يتخيلوا قط أن مستقبل الحياة قد ارتبط بمستقبله، وأن الحكمة ستتدفق من ذلك الفم الطهور.

إنهم لا يرون منه إلا ما يراه الطفل من سطح البحر، تشغله الصفحة الهادئة عن الغور البعيد. لقد كان اصطفاء الله لمحمد بن عبد الله (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم) مفاجأة لم تلبث روعتها أن تكشفت عنه، ثم ثبَّت الكاهل والعزم لما ألقي عليه، ومضى على النهج مسددا مؤيدا.

إن الاصطفاء للرسالات العظيمة ليس بالأمل فيها، ولكن بالطاقة عليها. وكم في الحياة من طامحين لا يملكون إلا الجرأة على الأمل، وكم فيها من راسخين يطويهم الصمت، حتى إذا كُلِّفوا أتوا بالعجب العجاب.

إن هناك فرقاً واضحاً بين الدين المُنزَّل من عند الله، الذي لا يتغيَّر ولا يتبدل، وبين التَّدين المتمثل في واقع الناس، والذي يقترب من الدين المنزَّل أو يبتعد عنه، ولا يطابقه تماما إلا في شخص الرسول . صلوات ربي وسلامه عليه . الذي جاء به، والذي صدق في قول زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق الرسول، فقالت: "كان خلقه القرآن"، كما في البخاري ومسلم، أما غيره من الناس فمنهم من يقرب منه قربا شديدا، ومنهم من يبتعد عنه بعدا شديدا، وإن كان منتسبا إليه.

وقد ربط الله جل جلاله بين حبه واتباع نبيه المصطفى برباط وثيق وعروة لا تنفصم فقال جل من قائل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران: ٣١). وعلى رغم المكانة العالية التي يحتلها النبي

الكريم عند ربه إلا إنه . صلى الله عليه وسلم . لا يستطيع إدخال الهدى في قلوب الناس ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص: ٥٦) ، وبالمقابل، وردا على من يرمي سبب ضلاله على جهة ما، فإن الشيطان لا يستطيع إدخال الضلال في قلوب الناس، وأن مقدرته محصورة في الدعوة إلى الضلال وتزيينه، وأن الهداية والضلال قرار شخصي، تحفُّه عناية الله وتوفيقه في الهداية، وعدل الله في حال الضلال.

يقول محمد إقبال: إني استفدت من معراج الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "أن الإنسان ليس بعيداً عن السماء". فالله . سبحانه وتعالى . يتصل بنا عبر الوحي وبعض الشواهد الطبيعية، ونحن نتصل به عبر الدعاء والذكر والصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم المساعدة للناس.

نحن نتواصل مع الله ولا نمتزج به، كما في المذاهب الحلولية، والرسول . صلى الله عليه وسلم . وهو (أشرف المخلوقات، في أشرف اللحظات، في أشرف الأمكنة)، في ليلة الإسراء والمعراج لم يصل، بل ظل كما وصفه ربه في القرآن: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ (النجم: ٩) ، أي أن هذه هي أقصى حالات الاقتراب التي يمكن أن يصل إليها أي مخلوق. إن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ولكنه قُربٌ لا يصل إلى الاتحاد والحلول، فالله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: ١١) إن الرسول . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . لم يصنع (نفوساً) مؤمنة تقية فحسب . كما يقول مالك بن نبي ، وإنما صنع (عقولاً) مستنيرة، وطرق (إرادات) فولاذية، لكي يعزز الشعور بالمسؤولية، ويشجع المبادأة (المبادرة) في كل إنسان، ويعظِّم الفضيلة في أبسط صورها، وإن التأسي والمسارعة لهما رائد كل عضو من أصحابه . رضوان الله عليهم أجمعين . إذ يرى

كل صحابي نفسه في سباق إلى الخير، بحسب أمر القرآن الكريم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٦١).

ومن هنا فاتباع هدي الرسول الكريم ليس بالأماني والانتظار الغيبي، وإنما هو خطة عمل؛ وخطوات ثابتة على درب الاستقامة، تقوم على فنِّية المؤاخاة بين المؤمنين، واستعدادا لمهمة في مستوى الرسالة، في عالم جديد.

والمسلمون في عصرنا الحاضر، لا يعرفون عن السيرة النبوية إلا قشورا خفيفة، لا تحرك القلوب ولا تستثير الهمم، وهم يعظمون النبي وصحابته عن تقليد موروث ومعرفة قليلة، ويكتفون من هذا التعظيم بإجلال اللسان، أو بما قلَّت مؤنته من عمل. ومعرفة السيرة على هذا النحو قد تساوي الجهل بها، إنه من الظلم للحقيقة الكبيرة أن تتحول إلى أسطورة خارقة، ومن الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة أن تعرض في أكفان الموتى.

إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغني عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة. وما أرخص الحب إذا كان كلاما، وما أغلاه عندما يكون قدوة وذماما. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١) ، وكما قيل: (إن المحب لمن يحب مطيع).

إن رب العزة ـ جل جلاله ـ كان يُعلِّم رسوله الكريم، والرسول الأمين -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -يتلقى هذه الآيات الحيَّة، فيديرها في نفسه حتى يحيلها جزءا من كيانه، ثم يعلِّمها الناس ويأخذهم بها أخذا. ونزول القرآن على هذه الوتيرة مقصود للشارع الحكيم، فإن الزمن جزء من علاج النفوس، وسياسة الأمم، وتقرير الأحكام.

لقد كان الرسول . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . قدوة متعددة (الأبعاد والمستويات)، وقد أنتجت هذه القدوة الواحدة للنبي الكريم النماذج المختلفة والمتنوعة لأصحابه، ضمن الإطار الفكري والقيمي الواحد للإسلام.

وكان - صلوات ربي وسلامه عليه . يُفَرِّغُ صحابته ثم يملؤهم بالفعل، كما قال أحدهم، لكنه لم يكن يفرغهم ويملؤهم، (وهو ما يسمى في التراث الإسلامي بالتخلية والتحلية) بنفس الطريقة، بمعنى أنه كان يقوم بإزالة تراكمات الجاهلية، ويستبدلها بقيم الإسلام، التي تجعل وجهة المسلمين واحدة، ولكنها تصنع منهم شخصيات متعددة القدرات والمواهب والتخصصات.

وعليه فلا بد من توحيد الطلب في شخص الرسول الكريم، وتحويل ذلك إلى تخصصات متكاملة في الأمة، فالنبي الكريم (أمَّةٌ) تجتمع فيه جميع التخصصات وسنته جامعة لمختلف الإنجازات والتطبيقات. ولكنها تتفرع في الأمة لتكون هناك سنة للحاكم، وسنة للعالِم، وسنة للتاجر، وسنة للعامل، وسنة للمربي، ... وهكذا، والمطلوب أن تتواجد هذه السنن كلها ثم تتكامل وتتوحد في إنجاز الأمة مجتمعة. (محمد رشيد رضا، تفسير المنار).

وفي ضرب المثل تقريب للمعنى، فقد تقع أحيانا في مزالق مهلكة، فيقول لك ناصح أمين: أغمض عينيك واتبعني، أو لا تسلني عن شيء يستثيرك؟ وربما تكون السلامة في طاعته. فأنت تمشي وراءه حتى تبلغ مأمنك، إنه في هذه الحالة رائدك المعين، الذي يفكر لك، وينظر لك، ويأخذ بيدك، فإن هلك هلكت معه. أما لو جاءك من أول الأمر رجل رشيد فرسم لك خط السير، وحذرك مواطن الخطر، وشرح لك في إفاضة ما يطوي لك المراحل ويهون عليك المتاعب، وسار معك قليلا ليدربك على العمل بما علمت. فأنت في هذه الحال رائد نفسك، تستطيع الاستغناء بتفكيرك وبصرك عن غيرك، لأنك عرفت أساسيات المنهج وعلامات الطريق، الذي منحك إياها رائدك، وهو في هذا الحال المعصوم -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -.

إن الوضع الأول أليق بالأطفال والسذج وأما الوضع الأخير فهو المفروض عند معاملة الرجال وأولي الرأي من الناس. فإذا رأيت بعض الناس يتناسى دروس الأستاذ، ويتشبث بثيابه وهو حي، أو يتعلق برفاته وهو ميت، فأعلم أنه طفل غرير. ليس أهلا أن يخاطب بتعاليم الرسالة فكيف له أن يستقيم على نهجها. كما يقول الشيخ محمد الغزالي.

وهذا الإمام أبو حنيفة يدعو تلاميذه أن يكونوا على مستوى دينهم وعصرهم، وأن يجيبوا على من سألهم: أليس يسعك ما وسع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بالقول: "بلى يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم، وليس بحضرتي مثل الذي كان بحضرتهم". إنه بمقولته هذه قد أسس لفقه التمسك بالأصول الحاكمة للدين، والاجتهاد في المتغيرات، فمن لا يتصدى لمشكلات عصره ظنا أن في اعتزالها نجاة منها، لم يُطق أن يكفَّ قلبه عن التأثر بها، وخير له أن يواجهها ويؤثر فيها بدل أن يتأثر بها ولا يؤثر فيها.

إن قصور الفهم لهذا الدين العظيم هو ما أدرك جانبا منه . الدكتور عبدالوهاب المسيري . عندما سأل مجموعة من الناس جَمَعَته معهم جلسة واحدة، وهم يشاهدون على شاشة التلفزيون (مصارعة حرة)، فقال لهم: لو كان الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -معنا، ماذا تتصورون سيكون رأيه فيما يعرض على شاشة التلفزيون؟! فقال أحدهم على الفور: كان لا يقبل هذا. قال: فسررت كثيرا وسألته: لماذا؟ فقال: لأن المصارعين لا يرتدون مايوه (سروالا) شرعيا يغطي الركبتين والسرة!!. وهكذا لم ير صاحبنا النموذج الصراعي الكامن وراء المصارعة، من وحشية وحيوانية وعنف، وغَرِقَ في التفاصيل والقشور والسطح، وغابت عنه روح الدين الحنيف، الذي يدعو إلى الرحمة والرفق.

ودعونا نأخذ نماذج يسيرة من منهجه-صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -في بناء الشخصية المسلمة، هذا المنهج المتجاوز للزمان والمكان، والذي نحن بأمسِّ الحاجة إلى استنطاقه من جديد، لكي ننزله على واقعنا الذي نعيش فيه.

ففي قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها". (صحيح، رواه الإمام أحمد) تطالعنا شخصية المسلم الإيجابية المعطاءة حتى في أصعب

اللحظات، إنها إرادة العطاء وفعل الخير، وتحسين فرص العيش حتى عند النفخ في الصور، ووقوف البشرية على عتبات الآخرة.

وكان -صلوات ربي وسلامه عليه -يدعو إلى تأسيس فقه (حسن المجاورة لنعم الله وحراستها)، ومن توجيهاته ذات الدلالة في هذا الشأن ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فرأى كسرة (خبز) ملقاة، فمشى إليها فأخذها فمسحها ثم أكلها، ثم قال: يا عائشة: أحسني جوار نعم الله، فإنها قَلَّما تزول عن أهل بيت، فكادت أن تعود إليهم ". (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

كما يوجه الأمة إلى الاهتمام بـ (بالكيف) بدلا من الاهتمام بـ (الكم)، ويضرب لها مثلا من حالها المستقبلي: "... أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل". (صحيح، أخرجه أبو داوود). فالغثاء قد يغطي وجه الماء، ويُظهر حضوره في كل مساحة منه، لكنه يفقد الترابط، ويفقد الوزن، ومن ثم فإنه عاجز عن تقرير مصيره، وإنما يقرره الماء ذو التيار المتدفق. ألا ترون أن هذا يشبه حال أمة الإسلام اليوم؟!.

ويشجِّعُ أصحابه على (التعليم المستمر)، والتعلم مدى الحياة، ويحذِّرهم من (التعالم) بقوله فيما روي عنه -صلوات ربي وسلامه عليه: " لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل". (وقيل هو قول لعبد الله بن المبارك). وهو قول يقطع بأن العلم طريق يسار عليه، وليس نهاية يوصل إليها. فالعلم منهاج قبل أن يكون نتيجة مقطوعا بصوابها، العلم تيار متدفق، كل موجة فيه تتبعها موجة، في حركة تدوم ما دام للعقل نشاطه. كما يقول د. زكي نجيب محمود.

وفي قصة المتسول (رواه أبو داود وابن ماجة) الذي جاء يعرض حاجته على الرسول الكريم، وكيف تعامل معه الرسول، توجيه للأمة . وخاصة ولاة الأمر فيها . على إيجاد حلول في إطار المجتمع وبأصحاب الحاجات أنفسهم، وإذا حلَّلنا هذه القصة من حيث أبعادها الخُلقية نرى كيف يحلُّ الرسول أزمة اجتماعية تعرض عليه في صورة متسول من

المساكين، فيفضل الرسول حلَّها في نطاق (الواجب على الحق)، أو إذا قدرنا الأبعاد الاقتصادية فإننا نراه يفضل الحل في (نطاق الانتاج).

إننا في حاجة إلى أن نعيد النظر في تواصلنا مع ديننا ونبينا - صلوات ربي وسلامه عليه . ، وأن نتأمل بعمق في الكنوز التي بين أيدينا، حتى لا نُسيء إلى قيمنا، ونكون قطَّاع طرق على غيرنا للتعرف على هذا الدين، فقد صار حال بعضنا كما قيل:

لدينا أحسن مُنتَج وأسوأ مُسوِّق.

ولدينا أعدل قضية وأسوأ محامي.

ولدينا أحسن نموذج وأسوأ مُمثل.

دعوة للتواضع ... ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾

يأتي الإنسان إلى هذه الدنيا وهولا يملك من أسباب القوة شيء، كما قال تعالى : "وخلق الإنسان ضعيفا" النساء: ٢٨، فهو الضعيف بدنا، والضعيف عقلا، والضعيف نفسا، والجاهل جهلا مطلقا، كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (النحل: ٧٨)، وهو أيضا المحتاج كأشد ما تكون الحاجة إلى غيره، ولولا اهتمام غيره به لما كانت له على هذه البسيطة حياة أو بقاء.

ولكنه مع مرور الأيام والشهور والسنوات، يبدأ في اكتساب أسباب القوة، ومفردات المعرفة، ويبدأ بالاعتماد على نفسه رويدا رويدا، وتقلّ حاجته واعتماده على الآخرين ولكنها لا تنقطع، ويبدأ مع كل اكتساب جديد للقوة والمعرفة والثقة بالنفس نسيان ما كان عليه قبلها من ضعف وجهل وحاجة، وتبدأ نفسه تنازعه، كما يشرع عقله يزين له ويبرر له التصرفات والسلوكيات غير السويَّة.

وهذا النسيان يكلفه الكثير، وقد لا يعود إلى رشده إلا عندما يدركه الضعف الثاني، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الروم: ٥٤).

ولأضع بين أيديكم مثالا حياً أعيشه بنفسي، فأحد أبنائي غالبا ما يضحك ويعيّر أحد إخوته الأصغر منه سنا، لأنه لم يفهم أمرا ما، أو لم يكن ماهرا في الكلام، أو لأنه تصرَّف تصرفا قد تجاوزه هو، فأتأمَّل الموقف بدهشة، وأخاطب ابني هذا بالقول: أي بني لقد مررت أنت بنفس المراحل التي تعيّر بها أخاك ... ثم أقول له تذكر قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ

كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ (النساء: ٩٤)، وينتهي الموقف في حينه، ولكنه يعود للظهور في مناسبة أخرى، وأعاود تذكيره من جديد، فلا هو أقلع، ولا أنا يئست من التكرار حتى يقتنع ويدع.

إن الإنسان يعيش بين ضعفين إذا طال به العمر، ولو تأمَّل البداية التي مر بها، وشاهدها فيمن يولدون بعده، وشاهد النهاية فيمن سبقوه، لكانت له عبرة في ترك الغرور والكبر، ومن ثم الجنوح إلى ظل التواضع، التواضع الذي لا يقود إلى الذلة، والعزة التي لا توصل إلى الكبر.

فالتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقة، فإنه قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائما أقل من حقيقته، فيظل يكبر في عيون الناس دون أي جهد يبذله. والتواضع هو (أبٌ) لكل الفضائل.

وكثيرا ما يُذهِب بعض ما نستحدثه في حياتنا بجوهر الأعمال، فقد كان أسلافنا يطلبون العلم في المساجد، ثم فتحت المدارس فذهبت (البركة)، ووضعت الكراسي فذهب (التواضع)، ووضعت الشهادات فذهب (الإخلاص)، كما قال أحدهم، وإن لم نوافقه في ما قال إجمالا.

إن من معاني التواضع، إنَّه يدلُّ على الجدِّية الكاملة، فالسنبلة الممتلئة لا تشمخ بأنفها إلى السماء وإنما تنحني تواضعًا بعكس السنبلة الفارغة، والإناء الفارغ أعلى صوتًا من الإناء الممتلئ.

وقد كانت هيبته -صلوات ربي وسلامه عليه-في تواضعه، وارتفاعه في بساطته، لأن الهيبة من مصدر الهيبة والجلال سبحانه، لكأن السماء أصبحت أرضه التي يسير عليها بقدميه.

والتواضع يعني الاعتراف بأن هناك قوانين طبيعية أو مبادئ تحكم هذا الكون. إنها المسؤولة عن إرادة هذا الكون ولسنا نحن. والغرور يعلمنا أننا نحن من يدير هذا الكون،

بينما التواضع يعلمنا أن نفهم المبادئ التي نعيش وفقا لها، لأنها في النهاية هي التي تتحكم في عواقب أفعالنا.

تأمَّل معي هذه النماذج الخمسة التي قد تمرُّ علينا خلال رحلتنا في هذه الحياة:

1. ذلك الإنسان القوي، الذي يفتخر بقوته، وبشدة بأسه، وفتوة عضلاته، وكيف ينظر إلى الضعيف الذي سُلِب بعض أسباب القوة، ينظر إليه من أعلى في شموخ وخيلاء الطاووس، ونسي أو تناسى أنه لا زال خارجا من حالة الضعف الأولى، وصائر إلى حالة الضعف الثانية إن مدَّ الله في عمره.

2. ذلك الإنسان صاحب المعرفة الواسعة واللسان الفصيح، الذي يزهو بسعة علمه وفصاحة لسانه، وكيف ينظر إلى الجاهل، الذي قد يعجز عن نطق جملة مفيدة، أو تبيان حاجة في نفسه، فينظر إليه بكبرياء من يملك كل شيء في مقابل من لا يملك شيئا، ونسي أو تناسى أن الذي منحه هذا العلم الواسع واللسان الفصيح قادر على أن يسلبه، ولكن النسيان آفة المغرورين والمستكبرين.

3. ذلك الإنسان الغني، الذي يستفزَّ الآخرين بنعم الله عليه، ويخرج على الناس في زينته، مُقلِّدا سلفه في ذلك (قارون) ونسي أو تناسى أن المالك الحق هو الله ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (الفاتحة: ٤) الذي ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾ (طه: ٦) ، ولكن هذا حال الدنيا كما قال عنها ربها ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ (الحديد: ٢٠).

4. ذلك الإنسان الذي يملك النفوذ، ويصرِّف الأمور، كأبٍ أو كقائدٍ أو مسؤولٍ ....، وكيف ينظر إلى ذلك العاجز حتى عن تصريف أمور نفسه وشؤون حياته، فيحتقره ويزدريه، وينسى أو يتناسى، أن الذي يعطى هو نفسه الذي يبتلي، ولو كانت له بصيرة لأدرك أن المُبتلِي واحد (وهو الله جلّت قدرته)، ولو شاء لغيَّر المواقع، فصار هذا مكان ذاك، وصار ذاك مكان هذا، ولكنها حكمة الله البالغة في هذا وذاك.

5. ذلك الإنسان الذي يؤدي بعض شعائر الدين، ويظهر التزامه بالعبادات، كيف ينظر إلى الإنسان العاصي والمقصر والمسرف في حق ربه، إنه ينظر إليه نظرة من يعتقد أنه قد ضمن الجنة وأن مصير هذا العاصي النار، نظرة فيها إعجاب بالنفس وتزكية لها، واستهانة واتهام للنفس الأخرى، ونسي أو تناسى، أن الهداية توفيق من الله، وأن القبول مربوط بالإخلاص، وربما أن هذا العاصي تنبه في لحظة من اللحظات وتاب فتاب الله عليه وقبل منه، لأن عودته كانت صادقة، وأحبط عمل الأول لأن الرياء هو الذي يُغلِّف تلك العبادات. البركة يؤذن لها أن تستمر ما كان الناس على سنة البساطة والتواضع وابتذال النفس، لكن مع كل جزئية تكبر وإدلال وإظهار استاذية وفوقية ورسوم رئاسية، ترتفع مثاقيل من البركة الربانية، حتى يسود العجز، وتكون يبوسة العلاقات، ويسومنا جفاف المشاعر أنواعا من العذاب. وكل فضيلة إنما تحطم نفسها إذا فقدت التواضع.

سؤال الذات ..... من أنا؟!

من أنا؟! ...سؤال فلسفي عميق قد أوجِّهه لنفسي في لحظة من لحظات الوعي والإدراك.

من أنت؟! ... سؤال فلسفي عميق يواجهك به الآخرون.

أحاول أحيانًا أن أفلت من مأزق سؤال الآخرين لي من أنت؟ لأبادرهم أنا بالسؤال عن أنفسهم. وبالفعل يجيبون ... ويستفيضون بالحديث في كلام كثير عن كل ما حولهم، لكن ... لا شيء عن أنفسهم. ثم يذهبون ... ويقولون بعد ذلك إننا نعرفه جيدا ... فلا هم عرفوني ولا أنا عرفتهم.

من أنا؟ من أنت؟ سؤال مفتوح على الكون ومبني للمجهول، ونريد من خلال هذه التأملات أن نحوله للمعلوم.

إننا نختزل الإجابة إذا سئلنا هذا السؤال بقولنا: أنا ... (فلان بن فلان)، أو نعرف أنفسنا بالدوائر التي ننتمي إليها (الأسرة، القبيلة، الوطن، القومية، الدين، الإنسانية ، ...).

هل أنا وأنت هذا الجسد الظاهر للعيان، الذي يسعى ويتحرك، وما علاقتنا به؟ وهل علاقتنا بهذا الجسد علاقة توازن أم تجاهل، أو تمركز حوله؟

هل أنا وأنت هذا العقل الذي يستكشف العالم، ويضع لنفسه تصورات عن البشر والأشياء؟ هل أنا وأنت هذه الروح الإلهية التي تكسبنا الحياة؟ تلك النفخة القدسية التي منحنا الله إياها لفترة قد تطول أو تقصر ثم يستردها منا عندما ينتهي أجلنا. هل أنا وأنت تلك النفس التي نحن وإياها في سجال وعراك، نغلبها مرة وتغلبنا مرات، ونعود بعدها تائبين على أبواب رب البرية سبحانه وتعالى.

هل أنا وأنت كل الأمور التي سبق ذكرها؟!

هل نوافق على ما قاله الشاعر في إجابة محتملة على هذا السؤال؟ عندما قال:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على الروح واستكمال فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان.

بناء على ما أثرناه من تساؤلات، يعود السؤال ليحتل محل الصدارة من جديد .. من أنا؟! ... من أنت؟!

أنا وأنت (ذات) لها وجود متفرد، خريطة من المفاهيم والمشاعر والأحاسيس التي قد لا يعرفها أحد سوانا، لذا قد يصدمنا تصرف البعض بعد عدة أعوام من التعارف، فقد كانت له ذات متخفِّية وراء حجاب المظهر والمجاملة، لكن الأيام كشفت وجوها أخرى لم يكن أحد يتخيلها، كشفت طبيعتها المواقف والأزمات.

أنا وأنت تاريخ مركب، مسيرة من العمر لها أيضا طابعها الفريد، وعلاقتها بأزمنة متراكمة، وذكريات تحدد التصورات، وخبرات تصوغ المواقف والقرارات، بوعي أو من دون وعي. وما بين التاريخ الفردي والاجتماعي وطبقاته العميقة وقشرته الخارجية، والتعامل مع الزمن والوقت، والرؤية المستقبلة، تتشكل شخصية الإنسان.

أنا وأنت ذات تدور في مكان، بل في أمكنة صنعت تلك الشخصية في بعدها المادي، من بادية أو ريف أو حضر...، مساحات تنوعت ونحن نحبو ونمشي ونجري ونسافر، مجالات للبصر، وفضاءات للعقل، تتشكل منها مساحات النفس في أعماقها، وينمو مفهوم البيت والوطن والعالم ... وينمو معه مفهوم الهوية.

أنا وأنت كتلة من المشاعر، تنقسم حول تركيبها أنماط من الشخصيات، بعضها بارد وبعضها متدفق دافئ، وبعضها نفعي أناني بخيل، وبعضها مفرط في الكرم والعطاء، ذاتنا العاطفية هي القلب النابض فينا، قد نترقى في العلم والعمل، لكننا نظل فقراء في عواطفنا، لدينا هشاشة في مشاعرنا، وربما نكون أطفالا في انفعالاتنا، وقد تغنينا ذاتنا العاطفية برأسمال من العلاقات يعوضنا عن قلة المال أو فقر الأمكنة.

من أنت عند نفسك؟ ومن أنت عند الآخرين؟ والسؤال الأكثر أهمية من أنت عند رب العزة جل جلاله؟

إذا عرفت نفسك حق المعرفة، فستعرف الآخرين، وتعرف ربك الكريم أيضا (من عرف نفسه عرف ربه). إنه تعرُّفٌ على الذات يبدأ منك أنت، ثم ينعكس تعرفا من الله

عليك، وتعريفًا بك، ومن أحبه الله وضع له الحب عند أهل السماء، والقبول عند أهل الأرض، كما في معنى حديث الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه.

هناك من عرَّف نفسه بطريقة مغرورة منتفخة أنانية، فجاءت (أنا) الإبليسية ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾ (ص: ٧٦). و(أنا) و(لي) الفرعونية ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾ (النازعات: ٢٤). ﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ ﴾ (الزخرف: ٥١)، و(أنا) النمرودية ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). كما جاءت (عندي) القارونية ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ ﴾ (القصص: ٧٨).

ودعني أسوق لك ذاتا لأحد عظماء الإسلام (شيخ الإسلام بن تيمية) تظهر فيها الـ(أنا) في صورتها المشرقة وإيجابيتها المثمرة:

(أنا)الفقير إلى رب البرياتي (أنا) المسيكين في مجموع حالاتي
(أنا)الظلوم لنفسى وهي ظالمتي والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة ولا عن النفس لي دفع المضراتي
وليس(لي) دونه مولى يدبرني ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتى
والفقر(لي) وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم وكلهم عنده عبد له آتي.

قد نتحدث عن أنفسنا، ونحن لم نعرفها بعمق بعد، وقد نسعى إلى الإمساك بالمعنى لكنه يفلت منا، ونتغير وتتغير اللغة، ونحاول من جديد، ومع كل هذا يكفينا شرف المحاولة.

رمضان فرصة للصمت ... والتدبر ... والإنصات.

أفقدنا العصر الحديث مهارات ولغات كان الإنسان يجيدها، وأورثنا الافتتان بزخرف القول وبهرج الصورة، والتبعية للآلة، والخضوع لثقافة الشاشات، والانبهار والولع بالصور. تأمَّل في مسارات الناس في دروب الحياة، بعضها يتوازى، وبعضها يتقاطع، وبعضها يفترق، لا يبقى أمر على حاله، ومن يبدأ مسيرته لا يعرف مآله، وأقدار الله نافذة، وحكمته قد تكون جليَّة، وقد تبقى خفيَّة. العقل آلة، والجسد دابة، والروح من أمر ربي.

تأمَّل في مسار الكلمات، تخرج من أفواهنا أو تخطها أقلامنا، فتجد لها مسارات لا نعلمها، قد تصيب في مقتل، وقد تحيي قلبا مواتا، قد تكون بذرة تبقى في جوف أرض جدباء فيأتي غيث من زمن آتٍ فيسقي الأرض ويحييها، وقد تنبت في زمننا فنراها قد أزهرت وأورقت، هناك كلمات نطلقها كرصاصات في صدور العدو، وقد يغدو بعضها من دون قصد (نيران صديقة)، تصيب الأحبة.

إن فقدت مكان البذور التي بذرتها يوما ما، سيخبرك المطر أين زرعتها، لذا أبذر الخير فوق أي أرض، وتحت أي سماء، ومع أي شخص. فأنت لَا تعلم أين تجده ومتى تجده! ازرع جميلاً ولو في غير موضعه ... فلن يضيع جميل أينما زرع، فما أجمل العطاء. فقد تجد جزاءه في الدنيا أو يكون لك ذخراً في الآخرة.

تحت راية القرآن ... رؤية إحيائية مختصرة

القرآن الكريم .والكريم هنا تعني تجدد العطاء.كان شغل المسلمين الشاغل وقضيتهم الأساسية الكبرى في عصر التنزيل، وظل الرسول الكريم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . يُرشد إلى منهج التعامل معه، ويحث على تفهم معانيه والعمل به، ولم يكن أحد من أصحابه يُفرِّق بين القراءة والفهم والعمل؛ فتحقق في جيل الصحابة قدر كبير من فهم حقائق القرآن ومعانيه، مكَّنهم من إقامة الحياة على أسس القرآن وهديه.

وظل هذا المنهج على مستوى الجيل أو مجموع الأمة تختفي معالمه تدريجيًا حتى شُغِلَ الناس برسم القرآن، والنظر في ظاهر معانيه، وتتبع غريبه، أو الاشتغال عنه بغيره.

وعلاقة المسلم مع القرآن هي علاقة (عضوية وحيوية) حيث تؤثر هذه العلاقة على قدرات الإنسان البصرية والفكرية، ومن خلال الصلوات الخمس وقراءة القرآن الكريم وتكرار بعض العبادات، كشكل من أشكال الذكر، يتم إعادة هيكلة روح المسلم إلى مجموعة من المواقف الروحية التي تؤكد على عظمة الله.

والقرآن ينزع المسلم من همومه اليومية وتفاصيل حياته الصغيرة، ليضعه في صورة الحقائق الكبرى، صورة الكون والناس والخلق، معركة الحق والباطل المستمرة منذ آدم والممتدة في نهر الزمان مع كل نبي والتي لا تزال فصولها تتجدد وتتكرر ... فيجد أنه قد صار أوسع صدرا، وأهدأ نفسا، وأرحب فكرا، وأطول صبرا.

لقد فرَّق المفكر الجزائري مالك بن نبي -رحمه الله -بين من يعيش القرآن، وبين من يكون القرآن على شفتيه وثيقة باردة فقال متحدثا عن أحد هؤلاء الذين عاشوا القرآن في حياتهم، وذكر من صفاته أنه:" لم يكن فيلسوفا أو عالم كلام، وما كان له من نظرية يركن إليها سوى القرآن نفسه، ولكنه (القرآن الذي يُحرِّك الحياة)".

وهذا هو منهج الأنبياء عليهم السلام، فموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لم يكونوا علماء كلام، ينطقون أفكارا مجردة، ولكنهم في الحق كانوا مُجمِّعين لتلك الطاقة الأخلاقية، التي أوصلوها إلى نفوس فطرية، ثم قال مالك بن نبي: " لم يكن هذا الرجل يفسر القرآن الذي يقرؤه، فلقد ترك التفسير لشيوخ الأزهر، وهم أكثر

منه علما به، ولم يكن يفسر القرآن كما هو المعتاد في هذا المجال، بل كان يوحيه إلى الضمائر. فالقرآن لم يكن على شفتيه وثيقة باردة، أو قانونا محررا، بل كان يتفجَّر كلاماً حيَّاً، وضوءاً آخَّاذا يتنزل من السماء فيضيء ويهدي ".

بناء على ما سبق في منشور الأمس، فإن القرآن ليس مجموعة أفكار... القرآن فوق كونه حقا، فهو يُنشئ حالة نفسية في قارئه، والمداومة على تلاوته تصنع (ذائقة) فكرية وشعورية يميز بها الإنسان بين الحق والباطل، حتى وإن لم يتمكن من التعبير عنها.

إن القرآن دليل المؤمنين الشاهد لهم وعليهم، في الدنيا والآخرة، وهو ربيع قلوبهم ينبت العواطف الزكية، ونور عقولهم يُشعُّ الخواطر الرشيدة، وطريق حركتهم بعلامات الهدى في الحياة.

إن الأخلاق في التصور الإسلامي تُستمدُ من القرآن، ومما صح من السنة النبوية، فالأخلاق في القرآن، ما لم يعمل بها، فهي (أخلاق نظرية)، والأخلاق في السنة المطهرة (أخلاق عملية)، فهي مرتبطة بالأولى لأن النبي، . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم -، (كان خلقه القرآن) (رواه مسلم)، وأخلاق الناس في المجتمع هي (أخلاق واقعية) يراد لها في التصور الإسلامي أن تكون (أخلاقا تطبيقية)، فإذا كانت الأخلاق الواردة في السنة مبنية على الأخلاق التي أتى بها القرآن، فإن أخلاق الناس يجب أن تُبنى على هذين الأصلين لتكون أخلاقا تطبيقية بالفعل.

لقد قال والد محمد إقبال لابنه: " يا بني إقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك". فقال محمد إقبال: " ومنذ ذلك الحين بدأت أتفهَّم القرآن وأُقْبِلُ على دواخل كلماته ومعانيه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن بحره ما نظمت".

والعلم ليس مجرد معارف يتم تكديسها في العقل، بل هو منهج متكامل لقراءة "آيات الأنفس" وآيات الآفاق" في ضوء "آيات القرآن" وحقائق العلم، والعلم الذي يتم تحصيله وفق هذا المنهج يثمر خشية الله. أليس من أكبر الخذلان للدين وأعظم جناية عليه . كما يؤكد النورسي ألا ينظر المنتسبون إليه، ومن خلاله إلى آياته التي يوجههم إلى النظر فيها

كتابه (القرآن)، ويرشدهم إلى استخراج العبر منها، أليس من أشدّ المصائب على المِلّة أن يهجر علماء الإسلام العلوم التي تشرح حِكَمِ الله وآياته في خلقه ...ألا إنَ لله كتابين: (كتاباً مخلوقًا وهو الكون)، و(كتابًا منزلاً وهو القرآن)، وإنّما يرشدنا هذا إلى طرق العلم بذاك، بما أوتينا من العقل. والقرآن المقروء، هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه، لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم منظور.

والقرآن هو (كلمة الله) في صورة كتاب، كما أن المسيح هو (كلمة الله) في صورة بشر. كما تقول المفكرة الألمانية آنا ماريا شمل. ومن العجيب أن العديد من الناس يجتاحهم القرآن الكريم عند أول لقاء، فيعيشون به وله، وهناك منهم من لا يحرك فيه ساكنا، الإيمان هو في الواقع هبة من الله سبحانه وتعالى.

إن القرآن الكريم ليس كتاب المسلمين وحدهم، إنه (كتاب الإنسانية كلها)، لأنه تنزيل رب العالمين، على قلب الذي أرسله الله رحمة للعالمين، ولن تجد كتابا يحتضن العقل وينميه مثل القرآن، ولو بحثت في القرآن عن أيَّة إدانة يوجهها القرآن إلى العقل تُسوّغ التوجُّس منه، فلن تجد فيه غير التمجيد له، والحث على إعماله، والنهي عن تعطيله، بل والمسؤولية عن إهماله.

والقرآن حينما يعرض علينا بعض القصص، فهو لا يريد تسليتنا، بل توعيتنا، بكشف المجال أمام الوعي، لإدراك سنة الله في المجتمعات والتاريخ.

كما أن منهج البكاء على الأطلال والتحسر على ما فات والوقوف عند لحظة الحزن ليس مذكورا في القرآن ... بل القرآن دائم الحث على المراجعة والتصحيح والجهاد، وبذل الوسع والأخذ بالأسباب ... مع الوعد بالنصر والتمكين والهداية لمن سعى وعمل: قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ

سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

إن هناك مئات الألوف من المدارس التي تُعنى بحفظ القرآن الكريم، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبره وفهمه والتفكر فيه! وفي الحفظ خير كثير، ولكن القرآن يدعو المؤمنين به. قبل الحفظ وبعده وأثناءه. إلى التفكر والتأمل والتدبر فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد: ٢٤).

لقد صار حال كثير من المسلمين كما قال أحد الشعراء:

وتحفيظٌ لقرآن ... وويل للذي فسَّر ... وإدغام وإخفاء ... وويل للذي أظهر.

ألا وإن مشكلة المسلمين مع كتاب ربهم، هو ما أشار إليه القرآن بصراحة ووضوح بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الحجر: ٩١). أي أجزاء مقسمة، وأعضاء مقطعة، وأشلاء متناثرة، تفرقوا بها بدلا من أن يتجمَّعوا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وتراجعت مكانتهم وذُلوا، بدل أن يتبوأوا المكانة العالية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠).

وشَقُوا بدلا من أن يسعدوا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ (طه: ٢).

ودخلوا في الظلمات بدلا من العيش في النور الذي دعاهم إليه القرآن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢).

ودخلوا في حالة موات مؤسفة بدلا من أن يَحْيَوا بالقرآن ويُحْيُوا معهم الإنسانية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢).

وأصيبوا بالأمراض النفسية والفكرية والثقافية، ولم يتناولوا الشفاء من كتاب ربهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٢).

وتلفتوا يمينا وشمالا يبحثون عن منابع ومصادر الهدى، وكل الهدى في كتاب ربهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٩).

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول.

إنّ عطاء القرآن متجدد لا ينضب ولا يخلق، ومادام عطاؤه متجدداً فستبقى فرائض التدبر والتأمل والتفكر قائمة حتى قيام الساعة، ومع تنوع وتجدد مداخل القراءة والتدبر يتنوع ويتجدد عطاؤه أبد الدهر.

التوحيد ... بداية حرية الإنسان ونهايتها

التوحيد هو أصل الإسلام كله. وإدراج الفروع تحت الأصول واحدة من سمات الإسلام العظيمة، كما أن إدراج الأصول كلها تحت الأصل الأكبر ألا وهو (التوحيد)، تُعدُّ خاصية الإسلام الحاكمة لجميع شؤون الحياة. والتوحيد الذي جاء به محمد بن عبد الله . صلوات ربي وسلامه عليه . طراز نقى فريد لا تناقض فيه ولا وهم, ولا تجسيد ولا تعديد! أو كما يقول محمد إقبال:" التوحيد ليس ضد الكثرة فقط، وإنما هو ضد الشرك أيضاً ".

والتوحيد أعظم وأجل علم يسعى للحصول عليه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ (محمد: ١٩).

والآية التي تتحدث عنه (أي التوحيد) أعظم آية في كتاب الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

والقرآن الكريم . كتاب التوحيد بلا منازع . بجملته يقوم على أعمدة ثلاث: التوحيد والتزكية والعمران بشكل عام، وعلى مستوى السورة نجد أنّ التوحيد يشكل العمود الأساس لمعظم سور القرآن المجيد، وحوله تدور أوتاد التزكية والعمران، وقد يكون عمود السورة التزكية وتُربط بالتوحيد والعمران، وقد يكون عمودها العمران ويُربط بالتزكية والتوحيد، وهكذا نجد أنّ الأعمدة الثلاثة حاضرة في القرآن كله.

والتوحيد هو إيقاظ ملكة العلم والتحرر من التبعية للأصنام والتقليد، فالعلم والإيمان مترادفان عند من يتذوق كنه الأمور، كما أن الشرك والجهل مترادفان وعلى سواء.

إن التوحيد خروج من الآبائية، وتعبير عن توق الإنسان إلى الحق وجعله مسؤولاً أمام الحق سبحانه وتعالى، إنه ملة أبينا إبراهيم الذي سمانا المسلمين.

وقد كان الآباء في عصور التخلف يحيلون الإنسان إلى شيء أو أداة مسخرة، وكان التوحيد دعوة لتحريره. إن تتبع التاريخ الإنساني، وملاحظة ما كابدته الإنسانية من انسحاق كرامة الإنسان يؤكد أن التوحيد (حاجة إنسانية) كما يؤكِّد المفكر الإسلامي جودت سعيد، يرتفع بها الإنسان لتحمل المسؤولية، مسؤولية كل فرد عن الإنسانية. إنه السلوك الذي يضمن النجاة الأخروية، ويضمن خلاص الأفراد والمجتمعات من التخلف والإذلال وسلطان الاستضعاف والاستكبار، وهنا تبدو وظيفة التوحيد الاجتماعية في خلق السلوك الذي تتحقق به إنسانية الإنسان ووحدة الكرامة البشرية.

والمسلم عبد لله وحده، وسيد لكل شيء بعده، وهو في صلاته، وفي صيامه، وفي زكاته، وفي حجه ونحره لأضحيته، ليس حاضرا بروحه وعقله وقلبه فقط، وإنما بلحمه ودمه أيضا، فهو إما أن يكون هو كله حاضرا وإما ألا يكون حاضرا البتَّة. وهذا ناتج عن التوحيد بوصفه مبدأ جامعا كما في المنظور الإسلامي، كما يقول المفكر الألماني المسلم مراد هوفمان.

والاستقامة الكاملة مربوطة بالتوحيد الكامل. وفضلاً عن أن الكون مصدر للعطايا، فهو إضافة إلى ذلك مرايا التوحيد، حتى صارت عناصر الكون شهوداً كثيرة على التعريف بالله . سبحانه وتعالى . من خلال نظامه المتجلي في السنن المبثوثة في الآفاق والأنفس، والتي لها أهميتها الإيمانية في حياة المسلم. وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

يقول ابن خلدون مبيناً حقيقة التوحيد:" إن المعتبر في التوحيد ليس هو الإيمان فقط، الذي هو تصديق حكمي فإن ذلك من حديث النفس، وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس". فتكيُّف النفس بالتوحيد معناه: تفعيلها لقيمه، وانطلاقها في تحريك الحياة من خلال مقتضياته، استخلافا في الأرض، وتزكية للنفس وتعميرا للأرض، وشهادة على الخلق.

والعلم بغير قيم التوحيد يصنع الفراعنة والقوارين (نسبة إلى قارون)، وهو في هذه الحال لن يزيد فرعون وقارونَ إلا علوا واستكبارا، إذ هو في هذه الحال علم مُدمِّر، ألا ترى أتباع فرعون وقارون في عصرنا وقد صنعوا أسلحة الدمار الشامل ومحَوا بها أقواما من البسيطة، ولعبوا بالجينات في غياب الأخلاق؛ فخلطوا الأنساب واستغلوا الصناعات الفضائية للجاسوسية وقهر الشعوب، فكشفوا بذلك عن الوجه البشع للعلم حين ينفصل عن قيم التوحيد.

وصورة ذي القرنين الذي نجح في بناء سد من زُبَر الحديد وقِطر النحاس، وجعله حائلا بين إفساد يأجوج ومأجوج والقوم الصالحين الموحِّدين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَا ٱسۡطَـٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف: ٩٧). وحين عجب الناس من صنيعه وعلمه قال:﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾ (الكهف: ٩٨). فربط المعرفة بقيم التوحيد وإجلال العليم الجليل سبحانه وتعالى، فكان صنيعه حائلا بين الحق والباطل إلى أن يشاء الله.

والتوحيد من شأنه تحرير الإنسان عقلاً ونفساً وقلباً ووجداناً من الخرافة والأوهام وسائر الضغوط والتحيزات التي من شأنها أن تقلل الطاقات المعرفية الواعية لدى الإنسان مما يؤهله لممارسة التزكية في مجتمعه والعمران في الكون الذي استُخلف فيه، وبذلك أسس القرآن للعقلانية التوحيدية.

إن غياب الحرية يؤدي إلى ضعف القدرات العقلية وضمورها -إن كانت موجودة- مما يمهد لعودة الصنمية والوثنية والتخلف. فالحرية هي مظهر التوحيد، والتوحيد في جوهره حرية؛ لأنه تحرر من عبودية الأشخاص والأشياء، والأفكار الخاطئة أو الخرافية، كما يذكر الدكتور ماجد الكيلاني، وعندها تنتقل الأمة من صفاء التوحيد إلى شرك الصنمية: صنمية الأشخاص التي أطلق عليها القرآن اسم -صنمية الأنداد-والتي تبتكر رموزا جديدة للصنمية تتلاءم مع روح العصر وثقافته واتجاهاته.

وعندها تتحول الأمة من "أمة رسالة" إلى "أمة سدنة". والفرق بين النوعين من الأمة أن الأولى تضحي بالأموال، والنفوس في سبيل الرسالة بينما "تنفق" أمة السدنة أفكار الرسالة لتنال السلطان، وتجمع المال وترفِّه النفوس، ويتحول فيها العلماء ورجال الفكر، ومؤسسات التربية إلى التعلق برسوم العلم ومظاهره، ويشتغلون بـ"فقه" الأشكال بدل "فقه" الأعمال.

ومن هنا كانت التربية الإسلامية التوحيدية متعلقة بتصحيح التصورات، ثم تصحيح التعبدات، ثم تصحيح السلوك الاجتماعي.

البداية على بصيرة. ... بداية مشرقة

تكتسب العبادات في الإسلام قيمتها بمقدار حضور الإنسان وشهوده فيها، والحضور والشهود فيها يتطلب حضور القلب والعقل، ثم تأتي بعد ذلك عبادات الجسم، وأي غياب أو قصور في حضور وشهود العقل والقلب، فإن الأعمال تصبح مظاهر جوفاء، وصورا صماء، وأشكالا لا روح فيها، لأنها خَلَتْ من المقاصد الحقة.

إن النيات الخالصة تحول العادات إلى عبادات، ومن طبيعة العادات أنها تسلب من الإنسان متعة الحضور والشهود في جميع المشاهد التي يقفها بين يدي الله، والمؤمن في كل شؤونه وَقْفٌ لله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، كما أن العادات تحول الأعمال إلى عمل آلي، يغيب عنه العقل والقلب، وهما ترجمان الأعمال وأساس قبولها، وحالة الحضور والشهود هذه (جَمْعَة الحس) يثاب عليها الإنسان الذي أدرك قيمتها، بينما هي عند غيره (عادة) يتمتع بها دون أن ينال أجرها، وبالمقابل، فإن العبادات التي تغيب عنها النيات تتحول إلى مجرد (عادات) يؤديها الإنسان جسما، ويغيب عنها عقلا وقلبا، وعندها يكون الشيطان قد وجد مبتغاه، فهو لص يسرق ما استطاع الوصول إليه ، خاصة عندما يغيب حارسي العمل، العقل والقلب.

نعم ... (إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها)، هكذا أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فيما رواه (أبي داوود والنسائي) و (عقل منها) هنا هو الحضور والشهود لا الغياب والفناء، إنه التركيز على نقطة الحضور المشهودة، التي يؤدى العمل فيها على أكمل وجه. ويمكننا أن نوسع مدلول قول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه فنقول أيضاً: وليس لابن آدم من صيامه وقيامه وتلاوته للقرآن وذكره ودعائه وعطائه ... إلا ما عقل منه.

إنها قاعدة نبوية حاسمة (إنما الأعمال بالنيات ...) (رواه البخاري ومسلم)، فما يجعل العمل عملا ويكسبه قيمة، هي حالة الحضور والشهود (النيات والمقاصد)، وإلا صار هذا

العمل كالعملة التي ليس لها غطاء من الذهب، إنها مجرد أوراق (والإخلاص ذهب الأعمال)، أو يصير كالشيك بلا رصيد، إنه مجرد ورقة، (والإخلاص رصيد الأعمال).

والإسلام يطالبنا بالحضور والشهود في الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والعطاء، يطالبنا بالحضور عقلا، لنتأمل ونشهد آيات الله في الآفاق والأنفس، ويطالبنا بالحضور قلبا، يفيض خشوعا وتبتلا، ورحمة وسلاما، وحبا وعطفا يسع البشرية بأسرها، ويطالبنا بالحضور جسماً، يؤدي كل عضو فيه شكر المنعم المتفضل، ويستمد من حضور العقل والقلب النور والبصيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

إذا غابت المعاني في العبادة حضرت الأشكال، وعندها تتحول الصلاة إلى حركات روتينية، ويتحول الصيام إلى تعذيب بالجوع والعطش، ويتحول الذكر إلى هذيان، ويتحول الدعاء إلى كلمات جوفاء، وتتحول تلاوة القرآن إلى مجرد قراءة عادية ... وقِسْ على ذلك.

إن التعبد في الإسلام تصور يجمع شتات الإنسان، ليعيش لحظة العبادة بكل كيانه، فالعقل يفكر ويتأمل، والقلب يخشع ويطمئن، والجوارح تخضع وتسكن، والروح تسمو وتحلّق إلى باريها، إنها لحظة تقرب فيها السماء من الأرض، وبهذا القرب تتقلص المسافات إلى حدود الصفر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٨٦).

والحضور والشهود ليس بالأمر اليسير، ويحتاج إلى مجاهدة طويلة الأمد، فالنية خير ما تعاهده الناس من أنفسهم. والأخلاق الحقيقية تنبع من النية الخالصة الخيرة، وهي قوة حقيقية في البشر تنبع من الإنسان نفسه وليس من خارجه.

المواطنون في العالم الثالث... متساوون دستورياً... رعايا وأتباع واقعياً

الحقيقة أن القيمة ليست في المصطلحات والمسميات بذاتها وإنما في المضامين التي تحملها، ثم في تجلِّيها في الواقع العملي في الحياة، فقد يكون المصطلح أو المسمى ذو اسمٍ برّاق ولكنه بلا مضمون قيِّم أو صعب التحقق في الواقع، وهذا ينطبق تماماً على الدساتير العربية على وجه الخصوص، فنصوصها صارمة وقطعية أن المواطنين سواسية أمام القانون، ولكن الواقع العملي يقول غير ذلك.

فالمواطن العربي الذي تزخر دساتير بلاده بالنصِّ على المساواة بين المواطنين، يعيش في مجتمع مُقسَّمٍ إلى درجات، فهناك مواطن درجة أول، وهناك مواطن درجة ثانية وثالثة، وهناك مواطن درجة رابعة وخامسة، وربما هناك من هو دون هذه الدرجات، في صورة صارخة ومتناقضة تماماً مع ما هو منصوص عليه في هذه الدساتير.

ولعل الدساتير العربية كمثيلاتها من المواثيق والعهود الدولية جُلُّ اهتمامها مُركَّزٌ على مجرد النصوص الدستورية والقانونية الداعية إلى المساواة، والتي ما رأتِ النور في واقع الحياة العملي، فكما أن المواطنين في الوطن العربي مُقسَّمُون إلى درجات نجد بالمقابل أن العالم نفسه مقسم إلى (عوالم)، فهناك مواطنون يعيشون في دول العالم الأول والثاني، كما أن هناك مواطنون يعيشون في دول العالم الثالث، وبالتأكيد هناك مواطنون يعيشون في دول العالم الرابع والخامس وربما ما دونها.

والعجيب في مثل هكذا (عوالم) أنك تجدُ حيواناتٍ تعيش برفقة مواطنين من دول العالم الأول أو الثاني لها من العناية والاهتمام في المأكل والمأوى والتأمين الصحي مالا يجده المواطنون في دول العالم الثالث وما دونه.

ومن المضحك والمبكي في آنٍ واحد أن نجد دول العالم الأول وكذا مواطني الدرجة الأولى في بعض دول العالم الثالث يشدِّدون على أهمية الرفق بالحيوان، وتكوين الجمعيات والهيئات والمنظمات التي تُعنى بشؤون الحيوانات وتدافع عن حقوقها، وتُجرِّم صيد بعضها

خشية انقراضها، بينما يعيش عشرات إن لم يكن مئات الملايين من البشر (تحت مسمى مواطنين) في ظروف لا تسمح لهم بالعيش الكريم.

بل ربما البقاء على قيد الحياة، ويتمنى أحدهم أن يصبح مواطناً بدرجة (حيوان) ليحصل على الحقوق التي نالها الحيوان في دول العالم الأول وغابت عن المواطن في(العالم الثالث)، أَمَا كان من الأولَى أن يتمَّ الاهتمام بجمعيات الرفق بالإنسان (المواطن) قبل أو على الأقل (مع) الاهتمام بجمعيات (الرفق بالحيوان)، وهي دعوة للمساواة مع الحيوان بعد أن غابت حقيقة أن (المواطنين متساوون) في عالم الإنسان.

إلى متى ستظل الدساتير العربية والمواثيق والعهود الدولية تُوزِّعُ الوهم على الناس بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات، والجميع يدرك أنه لا وجود في الواقع لمسمى المساواة بين المواطنين ولا بين الدول كذلك، وإنما الموجود مجرد رعايا وأتباع سواء كان مواطناً أو دولة.

فالمواطنون في العالم الثالث يتطلَّعون إلى المساواة كما هو منصوص عليها في دساتير دولهم، ولكنهم لا يجدون في الواقع إلا السراب الذي ﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (النور: ٣٩)، بل وصل حال تبعية المواطن في دول العالم الثالث إلى كونه قد صار مِلكاً لحكومته وليس العكس كما هو الوضع الصحيح، ففي دول العالم الأول هناك (حكومة الشعب)، أما في دول العالم الثالث فهناك (شعب الحكومة)، وحالة دول العالم الثالث من التبعية والارتهان للغرب أو الشرق واضحة للعيان ولا تحتاج إلى دليل.

هذا الزيف والخداع الذي يعيشه المواطن العربي يُعدُّ تناقضاً فاضحاً، فهناك دساتير تُمنِّيه بالمساواة وواقع يعكس حجم التفاوت واللامساواة في كثير من مناحي الحياة، وهي نفس الصورة من التفاوت واللامساواة على مستوى دول العالم (بعوالمه) المتعددة الطوابق.

وعند البحث عن هذا المواطن الذي له حقوق وعليه واجبات متساوياً مع غيره من المواطنين، نكاد لا نجده فعلاً إلا في الدساتير الوطنية والمواثيق والعهود الدولية أمَّا على أرض الواقع فلا نرى إلا الأتباع والرعايا، هذا إذا استثنينا الكثير ممن يعيشون في دول العالم الأول، وبعضا ممن يعيشون كدرجة أولى في دول العالم الثالث.

هذا الإنسان (المواطن) الذي تُكتبُ الدساتير الوطنية والمواثيق والعهود الدولية باسمه، وتُصنَّف المؤلفات والنظريات والمقالات دفاعاً عنه، وتُعقد المؤتمرات وتدار الجلسات، وتُعدُّ ورش العمل، وتُنشأ مراكز الأبحاث والدراسات للتعريف به، وإبراز مكانته وكرامته، هذا الإنسان (المواطن) الذي يتحدث باسمه القادة والزعماء السياسيون، وبصوته تفوز الأحزاب وتُشكَّل الحكومات.

هذا الإنسان (المواطن) متعدد المهام والواجبات لا نراه إلا ضمن رعايا الدولة لا ضمن مواطنيها، وضمن الاتباع الذين يعيشون على هامش الحياة وربما يموتون على هذا الهامش أيضاً لا ضمن المواطنين الذين يشعرون بالاستقلالية لا بالتبعية، وبكونهم مواطنين لا رعايا، هؤلاء هم المواطنون المتساوون (بالاسم) ولكنهم الرعايا والأتباع (بالفعل).

لقد أدرك الغرب قيمة الإنسان (كمواطن)-وإن كان هذا مقتصراً على دولهم-فرفعوا من شأنه ومنحوه حقوقه، وأصبحت رتبة (مواطن) أعلى رتبة يتسمّى بها الإنسان، وهذا ما قاله إبراهام لنكولن في مقولته المشهورة: (أنه لا يجوز لأي شخص أن يطمح في أن يكون أكثر من مواطن، وألا يرضى لأي شخص أن يكون أقل من ذلك). فجاء من بعده في دول العالم الثالث فجعلوا المواطنين درجات، وجاء القابضون على مراكز القوي في العالم الأول فجعلوا العالم (عوالم) متعددة الطبقات.

سيظل الإنسان يحلم ويتطلّع للوصول إلى حالة المساواة مع بني جنسه في الحقوق والواجبات، تدفعه إلى ذلك رغباته وأشواقه، وسيستمر الأحرار يبشرون بإمكانية أن يأتي عصر (المواطنة المتساوية) وانتهاء عصر (الرعايا والأتباع) ورغم صعوبة ذلك وربما

استحالته عند البعض إلا أنه سيظل (الحلم المستحيل الممكن) أو (المُحال) كما أراده الشاعر الفيلسوف محمد إقبال وهو يبحث عن إنسان:

رأيت الشيخ بالمصباح يسعى له في كل ناحية مجال

يقول: مللت أنعاماً وبُهماً وإنساناً أريد فهل ينال؟!

فقلنا: ذا محال قد بحثنا فقال: ومنيتي هذا المحال.

عقلي ليس للبيع

عندما وضع الشيخ البشير الإبراهيمي قاعدته في التحرير، كان يدرك أهمية تحرير العقول، وأن عبودية الأجسام تأتي تبعا لعبودية العقول، فقال: "إن تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا."

وهناك من يعتقد أن العقول الحرة الأصيلة هي دائما تلك التي أكثرت من القراءة، دون أن يدركوا أن العقول القارئة، إن لم تحررها القراءة، وتوسع مداركها، فهي قيود عبودية جديدة، تكبل العقل والجسد. إن النصر الحقيقي الذي افتتحت به الحضارة الإسلامية انطلاقتها، كان على مستوى العقول؛ بتحريكها وتشغيلها، وفك إسارها من أغلال الخرافة والوهم والتقليد، كما كان على مستوى النفوس؛ بتحريرها من حب الدنيا، ومن الطموحات الصغيرة.

وكم يتعجب المرء كثيرا عندما يرى أناسا يدخلون في حوارات كثيرة، ومع ذلك لا يصلون -غالبا-إلى قواسم مشتركة، وإن وصلوا إلى ذلك، فلا توجد لديهم قناعات لتطبيقها وتحويلها إلى أمر واقع، وتبحث عن الأسباب فتجد أن من بين هذه الأسباب أنه من الصعب تغيير قناعات أشخاص، لا يملكون إدارتها أو حرية التصرف فيها، فهم فقط يتلقون وينفذون ما قيل لهم من أفكار خاطئة، أو أوامر غير صائبة، وإن حاولت إقناعهم ضاعت جهودك سدى، ولم يستجيبوا لك.

ولن تدرك إلا في الأخير أن هؤلاء الذين تحاورهم -لتصل معهم إلى قواسم مشتركة - "مرمّزون" بكلمة سر، وكلمة السر هذه (الباسورد) لا يعرفها إلا من يتحكم بهم. لقد باع هؤلاء عقولهم وسلموها ليتصرف بها غيرهم كيف شاء. كم من مرة التقينا بأصحاب عقول مجدبة، مشحونة بالأقوال والأفكار المتضاربة والمعلومات المتناثرة والمتضاربة (كالأدوية النفيسة في صيدلية)، كما التقينا بأصحاب عقول ثرية تملك المقولات المرتبطة بالسنن وطبائع الأشياء، كما تملك الملاحظات الذكية على الظواهر العامة.

أتمنى أن نتقدم بالحوار لا على أساس أن أجذبك أو تجذبني، ولكن على أساس أن نأخذ بأيدي بعضنا بعضا، لنخرج من المصيبة التي تعمُّنا جميعا إن كنا من أصحاب العقول الحرة، فالمصائب -كما قيل-يجمعن المصابينا. والسؤال الذي يُلح علينا ويحتاج إلى إجابة هو: متى نصل إلى ساحة الأخذ بالفكر الحر الذي يصدر عن قناعات الإنسان ولا يخضع لثقافة التابع والقطيع؟

وهل أنا إلا من غزية إن غوت*** غويت وإن ترشد غزية أرشد.

ومتى نصل إلى قناعة أن تربية الجيل على الفكر الحر هو ضمان للمستقبل الآمن؟ الجيل الذي يتحمل كل فرد فيه مسؤوليته، دون أن يكون أسيرا لهذا الاتجاه أو ذاك، عندها يمكن أن يطلق على هذا الشخص مسمى "الإنسان الحر" لا التابع، هذا الإنسان عقله معه وتحت تصرفه وليس معروضا للبيع.

إننا بحاجة إلى أن نشجع الناشئة على دحر الشر والزيف والفساد قبل أن تتفاقم المشكلات، ونجد بالتالي الطريق نحو الخروج من الطرق المسدودة. إن السكوت عن المنكر هو في الحقيقة نوع من الترويج له، والدفع به إلى الأمام، وإن الأفكار حين تدور في العقول، ولا تستطيع أن تجد لها منفذا، ولا طريقا إلى الآخرين، إما أن تذبل وتتلاشى، وإما أن تصبح زاخرة بالعوج والتعصب. وصدق من قال: "إن الزيف يغتصب الحقيقة، ولكن الصمت يغتالها".

إن أحرار العقول يعشقون المقارنة، لأنه ثبت أنها تكسر حدة التعصب، وأنها تزيل عن العقول الكثير من الأوهام، كما تزيل عن الأعين الكثير من الغشاوات. وكم هناك من مثقفين يدَّعون استقلالية عقولهم، ولكنهم على طرفي نقيض في التعرف بمشاكل مجتمعاتهم، فتجد منهم من لا هم له إلا تحذير الناس من الهلاك الوشيك الذي سيحيق بهم، وبالمقابل هناك مثقفون آخرون على النقيض، ينشرون البشائر بالنصر القريب الباهر. إن أمثال هؤلاء المثقفين لا يستحقون هذا اللقب، لأنهم لا يقفون موقفا موضوعيا

من مشكلات مجتمعاتهم، بل ينحازون إلى هذا الطرف أو ذاك، في تبسيطية مخلة، وهم في الغالب من أصحاب العقول المستريحة، لا من أصحاب العقول الحرة.

ليسوا سواء...بعيدا عن التعميمات الجائرة

عندما يتابع الواحد منا مواقع التواصل الاجتماعي أو المواقع والقنوات الإخبارية يجد استخداماً مفرطاً للألفاظ التعميمية والأحكام المسبقة، فما أكثر ما تجد مثل هذه الألفاظ (جميع) و(كافة) و(كل) كثيرة التداول على ألسنة كثير من الناس، وفي كثير من كتاباتهم، وأغلبية هذه التعميمات قد تكون جائرة، وغير حقيقية ولا منصفة، ولا تسندها أي حقائق أو وثائق أو أدلة، إنما هي أحكام مسبقة وتعميمات مستقاة من واقع لم يعد فيه أي ضوابط أو قيود.

وعند استخدام عبارات كالتي ذكرت سابقاً، يتطلب الأمر أن يكون لدى قائلها أو كاتبها من اليقين بصحتها وعدم تطرق الشك إليها الكثير والكثير، كما أن لديه من الدلائل والحقائق والوثائق ما يثبت هذا التعميم أو الحكم المسبق، وإلا صار تعميمه ادِّعاء واتهامه لغيره باطلاً.

وكم نسمع أو نقرأ أن (جميع أو كافة أو كل) اتباع هذا التيار أو الجماعة أو المذهب أو الحزب أو البلد أو الديانة أو الحضارة أو... ليسوا على شيء، وأنهم سيئون، وعلى معتقد أو مذهب أو طريقة باطلة، هذا في حال الذم.

أما في حال المدح فـ(جميع أو كافة أو كل) اتباع هذا التيار أو الجماعة أو المذهب أو الحزب أو البلد أو الديانة أو الحضارة أو... على الحق المبين، وأنهم يملكون الحقيقة المطلقة، وأن معتقدهم أو مذهبهم أو طريقتهم هي الحق الذي ما سواه باطل، هكذا على نوع من التعميم والإجمال، ولو كان هناك تفصيل وشرح لهان الأمر.

لقد علَّمنا القرآن استراتيجية التعامل مع الآخرين، قريبين كانوا أو بعيدين، فأتت القاعدة القرآنية لتقول لنا: إياكم والتعميم، فالآخرين مهما كانوا ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٣)، كما استخدم القرآن خطاب التفصيل والتخصيص في تقييمه للآخرين، فكان النص

القرآني يستخدم لفظ (منهم) في كثير من أحكامه على الآخرين سواء كانوا قريبين أو بعيدين، فنجده يقول: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨ ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (التوبة: ٧٥) ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة: ٦١ ﴿ وَمِنْهُم ﴾ وحتى مع من أورثهم الكتاب قال عنهم: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فاطر: ٣٢)، والشواهد القرآنية كثيرة بحيث يصعب حصرها في هذا المقال.

وهناك كثيرون، يعتقدون أن التعميمات والأحكام المسبقة والجاهزة سهلة، نعم، هي سهلة في اللفظ، والخروج من صعوبة التفصيل والتخصيص، ولكنها تخفي وراءها ظلماً لمن أطلقها، وظلماً لمن أُطلقت عليه، أما الجور الذي يتحمله قائلها فإنه قد عمَّم وأصدر حكماً دون حيثيات صادقة وتحمَّل وزر ما قال، وهو أيضاً يخسر من ناحيتين:

الأولى: أنه بتعميمه هذا قد صنع له أعداء ما كان لهم أن يكونوا كذلك لولا أنه عمّم ذلك عليهم، وتعامل معهم على هذا الأساس، والثاني: أن تعميمه هذا قد يحرمه أي خير أو صواب لدى الآخر، لأن تعميمه قد سلبه ذلك سلفاً.

أما الجَور والظلم الذي يقع على من أُطلق عليهم التعميم والحكم المسبق فالأولى: أنهم قد اتُهموا بتهمة بعضهم منها بريء، وإن كان بعضاً من بني قومهم أو مذهبهم أو ديانتهم واقعون فيها، وأنهم كأبرياء لا يعنيهم جرم غيرهم، وربنا يقول: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النجم: ٣٨)، والثانية: أن هؤلاء المُتهَمون (بحكم التعميم)، ووفقاً للحكم المسبق

الجاهز الذي صدر بحقهم، يصبح لزاماً عليهم في الغالب، أن يقفوا مع بني قومهم أو مذهبهم أو جماعتهم... سواء كانوا محقين أو مبطلين، كما نقول في أمثالنا: (بين إخوتك مخطئ ولا وحدك مصيب)، وفي هذا دفعٌ لمن لا يريد أن يكون عدواً أن يكون عدواً وخصماً رغماً عنه.

لماذا لا يتم التعامل مع الآخرين بالسياسة اليوسفية التي ذكرتها سورة يوسف في قوله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ (يوسف: ٧٩).

لماذا لا يتم التعامل مع العدو والخصم بالتجزئة والتبعيض (مأخوذة من بعض) لا بالجملة، وبالتفصيل لا بالإجمال والتعميم، حتى يؤخذ المجرم والمتهم بجريرته وحده فقط ﴿ مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ ﴾ (يوسف: ٧٩). حتى لا نكون من الظالمين.

إن الخروج من (جميع) و(كافة) و(كل) إلى فضاء التفصيل والتجزئة والإنصاف والموضوعية، يحتاج إلى تجرد صادق، وعدم وضع كل البيض في سلة واحدة كما يقال، ففي كل خير شر، وفي كل شر خير، وبين الأشرار أخيار وبين الأخيار أشرار... وليس هناك خير مطلق أو شر مطلق.

وهناك ألفاظ وعبارات تُخرج المنصف من ظلمة ووحشة التعميمات والأحكام المسبقة (جميعهم كذابين، الغرب كلهم متآمرون علينا، اليهود والنصارى عنصريون، كافة المسلمين ارهابيون، كما يقول متشددوا الطرف الآخر، وغيرها من التعميمات...) إلى فضاء البحث والتخصص العلمي والإنصاف والموضوعية من أمثال ألفاظ (من الناس، أغلب أصحاب هذا الاتجاه، أكثر القائلين بهذا الرأي، على وجه التقريب، وهكذا ....).

ونُذكّر في النهاية بحديث المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه الذي يحذِّر فيه من كارثة التعميمات وخطورتها بقوله: (من قال هلك الناس فهو أهلكهم (بفتح اللام وضمها أهلكهم).

نعم... سنقولها عن صدق ويقين ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ ﴾ آل عمران: ١١٣، وإن كان صوت التعميمات والأحكام المسبقة الجائرة هو الأعلى صوتاً والأكثر انتشاراً. اللهم أرزقنا الإنصاف في القول والفعل، مع القريب والبعيد والعدو والصديق.

التفكير بعقلية ساذجة ... لا يُوجِدُ وضعاً جديداً

يَعتبرُ أينشتاين أن: «الجنون هو أن تفعل نفس الشيء مرة بعد أخرى وتتوقع نتائج مختلفة!».

ومن هذا المنطلق فلا يمكننا حل المشكلات المستعصية إذا ظَلَلْنا نفكر بنفس العقلية التي أوجدت تلك المشكلات، وهذا ما نحن واقعون فيه الآن، نفكر (بالحل) ولا زالنا بنفس عقلية صناعة المشكلة، ونفكر (بالسلام) ولا زلنا بعقلية عصابات الموت وتجار السلاح، ونفكر بإمكانية (جمع الكلمة) ولا زلنا بعقلية قاطع الطريق، الذي يُقسِّم الناس وفقاً لانتماءتهم المناطقية، أو المذهبية، أو الحزبية، أو غيرها.

العقلية التي نفكر بها عقلية ساذجة وسطحية، تؤمن بالخوارق والأساطير والمعجزات والحلول السحرية لكل المشكلات، وبالمقابل يتراجع إيمانها بأهمية القيام بالأسباب، وبذل الوسع والاستطاعة التي كلفنا بها رب العزة والجلال.

نعم نريد تغييراً في حالنا إلى الأحسن ... ولكن دون أن نُوجِد تغييراً في أنفسنا وواقعنا نحو هذا الأحسن، نريد النصر والعزة والكرامة و..... ونحن نسير في الطريق الخطأ الذي سيوصلنا إلى عكس ما نرجوه ونؤمله ... حتى (الفَرَجْ) الذي كثيراً ما نسأله من الله في كلامنا وكتاباتنا، يتطلّب أسباباً لحصوله... وهكذا بقية الأمور الأخرى.

وربنا جلت قدرته عندما وضع الأسباب تعبَّدنا بها، وجعل هذه الأسباب شرطاً لحصول مسبباتها، كما جعل المقدمات شرطاً لحصول النتائج، والبدايات شرطاً للوصول إلى النهايات، والأصل هو بذل الأسباب وانتظار نتائجها إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، وهذا هو ما سيَّر الله عليه الكون وطبع عليه الحياة، وإن اعتقد أصحاب التفكير بعقلية ساذجة غير ذلك.

إن من التفكير بعقلية ساذجة القول (شاتسبر، ستفرج، الوقت جزء من العلاج، دعها فإنها مأمورة...)، هكذا، دون بذل أي جهد لإصلاحها أو حلها أو علاجها أو توجيهها... ودون أن يدرك أصحاب هذا التفكير أن ترك الأمور هكذا دون تدخل وبذل للأسباب

سيفاقمها، ويجعل ضريبة إصلاحها أو حلها أو علاجها أو توجيهها باهضة الثمن، وربما تحوّلت مع طول المدة إلى مشكلة عويصة ومرض مُزمن.

ومن التفكير بعقلية ساذجة التقديس (وليس التقدير والاحترام) للأشخاص والجماعات والأحزاب والمذاهب والقبائل والمناطق، واعتبار أن مربط الفرس عندها، ومكمن الحلول لديها، وقد تكون هي بذاتها جزء من المشكلة لا جزءاً من الحل، ومع هذا لا ينفكُّ عنها (عبَّادها) من أصحاب هذا التفكير، بل يزدادون لها تعصباً ولها اتِّباعاً، ويمكن أن ينطبق على هؤلاء السؤال الذي طُرِح على أسلافهم كما في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ ﴾ الأنبياء: ٥٢

لنكن أكثر صراحة فيما بيننا كيمنيين وكعرب وكمسلمين، أننا فعلاً جزء من مشكلاتنا إن واصلنا التفكير بهذه العقلية الساذجة، وستستمر مشكلاتنا في التفاقم إن استمرينا كذلك، وأننا كذلك جزء من الحل إن تخلينا عن هذا التفكير، وتجاوزنا عقدة انتظار الخوارق والمعجزات، واعتمدنا بعد الله على أنفسنا، وهنا سنتصالح مع أنفسنا ومع العالم الذي نعيش فيه.

كما أننا ببذلنا الجهد لتحصيل الأسباب، وكذا بذل الوسع والاستطاعة، ودون انتظار لاختلافات الدول الكبرى على مصالحها لدينا، أو تحالفات الدول الإقليمية لإضعافنا وتأمين مصالحها وحدودها من جهتنا، عندما نفكر بهذه السطحية وأنها ستحل مشاكلنا (وهيهات !!!)، عندها لا بد أن نطلِّق التفكير بهذه السذاجة أن أردنا أن نخرج إلى بر الأمان.

ما حك جلدك مثل ظفرك فتولَّ أنت جميع أمرك

إن بذل الجهد في تحصيل الأسباب، وتقديم الوسع في الاستطاعة ليس ترفاً ولم يتعبَّدنا الله به عبثاً، وأن قول ﴿ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ البقرة: ١١٧ لله وحده واضع الأسباب والمسببات، ولا يمكن أن يكون هناك تناقض بين هذه وتلك، وأننا مطالبون ومتعبدون

بالأولى كقوانين وسنن ربانية لا تتغيّر ولا تتبدّل، وأن المشيئة الإلهية هي تتويج وتأكيد لهذه القوانين والسنن وليست مناقضة لها.... فهل من مدكر.

تَرجو النَّجَاة ِوَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إنَّ السَّفِينَة ِلاَ تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ

نوَّر الله قلوبكم لاستقبال آياته، ووسع الله مداركم لفهم سننه وقوانينه في خلقه وكونه، وطهر الله ألسنتكم من قول مالا يحبه ولا يرضاه.

الإنسانية لا تتجزأ... معا ضد التحيُّز

نتابع بين حين وآخر مشاهد لجرائم تُرتكب ضد الإنسانية، (الإنسانية في شمولها واتساعها، وفوق أي أرض وتحت أي سماء)، وتأخذنا الدهشة حين نرى التباين الفاضح للأفراد والتيارات من كون هذه جريمة أم لا!

دعاني للكتابة حول هذا الموضوع ظاهرة الازدواجية في الإدانة، فهذا الطرف يلزم الصمت إن لم يكن مُرحِبا بما حدث، بينما الطرف الآخر يُقيمُ الدنيا ولا يقعدها ويُشنِّع بالجريمة ومرتكبها ويستغرب صمت الآخرين عن إدانتها.

والغريب في ظاهرة الازدواجية هذه أنه لو تغيّر مكان وأشخاص الضحايا لرأيت عجباً في تبدل المواقف فمن كان صامتاً في الأولى نطق ورفع الصوت في الثانية، ومن كان مُشنِّعا في الأولى صمت إن لم يكن قد بارك في الثانية، على الرغم من كون الجريمة هي الجريمة في الحالتين.

الإنسانية الصادقة لا يمكن أن تتجزأ فتدين جريمة هنا وتسكت عن أخرى بنفس مستواها أو أقل أو أكثر في مكان آخر، لأنها تتعامل مع قيمة إنسانية لا مجال فيها للحياد أو التحيُّز.

الضحايا (المدنيون) في أي صراعات يجب أن يتضامن ويقف معهم جميع حَمَلة الإنسانية الحقة في أي زمان وأي مكان، بغض النظر عن دين ولون وجنس وعرق الضحية. فالضحية سواء كان أسوداً أو أبيضاً، يجب الوقوف معه، وسواء كان بعمامة أو كرفته، أو صليب أو زنار أو بدون، يجب الوقوف معه.

وبالمقابل يجب إدانة المجرم والوقوف ضده سواء كان متقدما أو متخلفا، وسواء كان يقترف جريمته تحت اسم القرآن، أو التوراة، أو الانجيل، أو أي كتاب، أو مذهب آخر.

النفس البشرية نزَّاعة إلى إدانة الجريمة والمجرم إذا كان أذاه يمسَّها، وهي أيضا نزّاعة إلى التبرير للجريمة والمجرم وربما التسامح معه إذا كان أذاه يمس من تعادي وتخاصم، وهذه هي قمة التحيُّز.

لا مجال أمام البشر في هذا الكوكب إلا الاعتراف بقدسية إنسانية الإنسان بدون أي تفاصيل أخرى. عندها يمكن أن تقف البشرية على طريق الرشد الذي غادرته وتركت السير في صراطه المستقيم منذ أمد طويل.

قد يكون مثل هذا الطرح مثالياً في ظل هكذا أوضاع، ولكن الطرح الآخر يبدو أكثر تحيزا مهما كانت المبررات التي يبديها، والفلسفة التي يتدثر بها.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

جسم الأمة المريض... التشخيص يسبق العلاج

المتفق عليه، والأصل في حال مرض الجسم الإنساني أن يتم تشخيص حالة المريض ومعرفة أسباب العلة أولاً، ومن ثم يصرف العلاج المناسب لهذا المرض، دون أن يكون لهذا العلاج أضرار جانبية أو مضاعفات أخرى.

والأمة (العربية والإسلامية) شبيهة بالجسم الإنساني، وقد شبهها عليه الصلاة والسلام بأنها (كالجسد الواحد... الحديث)، وحالها في هذا العصر لا يخفى على ذي لُب، وهي في حاجة ماسَّة إلى أطباء مهرة (مفكرون، علماء، فلاسفة، خبراء، ...) يُشخِّصون أمراضها بدقة، من خلال أدوات التشخيص المعتبرة، ومن ثم يضعون لها العلاج الناجع، الذي يعالج أوجاعها ويشفيها من أدوائها.

وواقع الحال يخبرنا بكل صدق أن أطباء الأمة لم يُجمِعوا على تشخيص دقيق لمرض الأمة، بل أصبحت كل جماعة أو طائفة من هؤلاء الأطباء تُشخِّص أمراض الأمة من وجهة نظرها وتوصي بالعلاج وفق هذا التشخيص.

هناك من شخَّصَ أمراض الأمة بأنه في بعدها عن الإسلام، ولذا فإن علاجها هو عودتها إليه (الإسلام هو الحل)، هكذا دون تحديد أو تفصيل، وهناك من شخَّص أمراض الأمة بأنه في عودتها إلى تراثها وتمسُّكها به، ورفض دعوات التقدم والتطور القادمة من الغرب، ولذا اقترح أن تتخلى الأمة عن تراثها وتأخذ بسلّم التطور والتقدم (العلمانية هي الحل) هكذا دون تحديد للثوابت والمتغيرات، وثالث شخَّص أمراض الأمة في جانبها الوطني، وآخر في جانبها القومي، وآخر فيً جانبها اليساري وذاك من جانبها اليميني... وهكذا كلٌ يدلي بدلوه تشخيصاً وعلاجاً.

ورغم كثرة وتعدد التشخيصات، وكذا كثرة ما يصرف بعدها من علاجات، إلا أن حال الأمة في تدهور، ليس هذا فحسب بل ظهرت مضاعفات وأعراض جانبية لهذه العلاجات التي تتناولها الأمة، حتى صار أي علاج يقدم للأمة لا يزيدها إلا مرضاً وضعفاً ووهناً، إضافة إلى ما تعانيه من أمراضها القديمة المزمنة.

وبالمقابل وفي ظل غياب التشخيص المتكامل لأمراض الأمة، نجد في واقعنا أفراداً أو جماعات يعالجون جرحاً صغيراً في جسم الأمة، دون أن (يدرك / يدركوا) أن هناك نزيفاً في الدماغ قد يؤدي إلى الوفاة، وهناك من يعالج ارتفاع درجة حرارة الأمة بالمهدئات، دون أن يدرك أن هناك ارتفاعاً في ضغط الدم قد يؤدي إلى توقف القلب، وهناك من يصرف جُلَّ جهده في علاج إصبع مكسور في جسم الأمة، دون أن يدرك أن هناك انزلاقاً في عمودها الفقري قد يؤدي بها إلى الشلل الكلي، وهناك من يعالج ويحذر من ارتفاع نسبة (الكولسترول) في جسم الأمة، ويغيب عنه أن الكليتين أوشكتا على التوقف (الفشل الكلوي)، وهناك من يُسخِّر كل إمكانياته لعلاج الانفلونزا التي أصيبت بها الأمة، دون أن يمد نظره إلى ما وراء ذلك من إصابة للرئتين (بالسل أو الربو)، وهناك من يجتهد ويهتم بنوعية غذاء الأمة وتنوعه، دون أن يأخذ في الحسبان أن الكبد أوشك على (التليُّف)، وأن المعدة توشك على التوقف عن الهضم، وهناك ... ، وهناك...

الأمة بحاجة إلى أطباء مخلصين ومتخصصين في جميع علل الأمة (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والفكرية، والتربوية، والعلمية، والدينية، والحضارية،...) ليشخِّصوا حال الأمة في كل هذه المجالات، لأن الأمة بالفعل تنزف من جميع هذه الجوانب (الأعضاء).

يا أطباء الأمة... شخِّصوا أمراض أمتكم بكل صدق وتجرد، وأخبروها بصراحة بكل أمراضها وعللها المُزمِنة والطارئة، ولا تُخفُوا عنها شيئاً حتى لا تصبحوا ممن يغشها ويطيل أمد معاناتها.

خذوا بعضاً من دمها، أو السوائل التي تجري في عروقها وأدخلوه مختبراتكم وحلّلوه جيداً، وتأكدوا جيداً من النتائج التي أظهرتها التحاليل، وإن تطلب الأمر فأدخلوا جسم الأمة المريض غرفة أشعتكم، وتأكدوا من سلامة أعضائها و عظامها، ولا تنسوا أن تأخذوا بعض الأشعة المقطعية للأجزاء الحساسة فيها (كالدماغ والقلب والكليتين والرئة والكبد)،

وخذوا بما ترونه من الفحوصات والأشعة والتحاليل التي لم نذكرها ولكنها مهمة لتشخيص حال الأمة بدقة متناهية.

وعندما تصلون إلى هذه المرحلة وتطَّلعون على جميع النتائج التي أفرزتها لكم الفحوصات والتحاليل والأشعة لكل أجزاء جسم الأمة.... عندها ستعرفون أمراض أمتكم وعللها، وسيكون الدواء الذي تقررونه لعلاج أمراضها هو الدواء الذي يشفيها ويخرجها من مرضها ووهنها، دون أن يكون لهذا الدواء مضاعفات أو أعراض جانبية، وسيتقبّل جسم الأمة هذا الدواء دون أي حساسية تذكر، لأنه علاج جاء بعد تشخيص دقيق وعلى أيدي أطباء مهرة (وليسوا أطباء شعبيين أو مشعوذين).

لا مخرج لأمتكم يا أطباءها إلا إذا جمعتم آراءكم، واستقصيتم تشخيصاتكم، وتوافقتم على دواء يبرئ وجع الأمة ولا يزيده، ويعالج المرض ولا يقتل المريض، ويشفي الجسم ولا يشقيه.

وفقكم الله وجعل شفاء أمتكم على أيديكم.

قوة التسامح ... يمكن أن تصبح ضعفاً

في أحيان كثيرة تفقد بعض الألفاظ مدلولاتها، ويصبح استخدامها لمجرد ذر الرماد في العيون ليس إلا، وكثيراً ما يتم استخدام هذه الألفاظ لإخفاء وتمرير جرائم يندى لها الجبين.

فمثلا، عندما تُطالَب بالسلام مع كيان يحتل أرضك وينتهك سيادة بلدك، وينهب ثروتك، هل يمكن أن تسمي هذا سلاماً؟! إنه بالنسبة له سلام، لأنه يضمن له استعمارك وانتهاك سيادة بلدك ونهب ثروتك. أما بالنسبة لك فلا يمكن أن يسمى مثل هذا سلاماً.

وخذ مثالاً آخر، التسامح، الذي يتبدى بعد كل جريمة، وكل نهب لثروات الشعوب، فيقال لك بعد حدوث ذلك: لا بد أن يكون قلبك كبيراً ومتسامحاً، ولا بد أن تظهر الجانب المشرق من دينك الذي يدعو إلى العفو والتسامح، وهكذا يريدونك أن تعطيهم (شيكاً على بياض) ليواصلوا جرائمهم ونهبهم دون خوف من أي جريرة قد تلحق بهم في المستقبل، ولأنهم يعرفون أنك تحمل قلباً كبيراً ورحيماً، ولديك ذاكرة (مخرومة) لا تحتفظ بشيء لذا فهم على يقين أنك ستسامحهم وتعفو عنهم.

التسامح يا سادة يا كرام جاء ليكون قطعاً لدابر الجريمة المتسلسلة التي تحتاج إلى من يكسرها بالتسامح لتبدأ الحياة من جديد من خلال صفحة جديدة (تجب ما قبلها)، وليس منح المجرم والناهب فرصة أخرى لمواصلة جريمته ونهبه. فالهدف الأسمى من التسامح هو قطع دابر الجريمة ومنع تكرارها لا مدها بالحياة والاستمرار.

لقد حدَّ الإسلام حدوداً لبعض الجرائم في (النفس والعرض والمال) وطالب بتنفيذها ولم يتسامح فيها، على الرغم من علمه أن قتل القاتل لن يعيد الحياة إلى المقتول، وأن قطع يد السارق قد لا يعيد الأشياء المسروقة، وأن جلد الزاني أو القاذف للأعراض قد لا يرجع السمعة الحسنة للمجني عليه إلى سابق عهدها، وكذلك الحال مع بقية الحدود، الإسلام يدرك ذلك كله، ولكنه مع ذلك يطالب المجتمع بتنفيذ هذه العقوبات على من ثبتت عليه، وعلى مرأى ومسمع من الناس، ليذوق الظالم وبال أمره، ويأخذ المظلوم حقه

من الظالم، وليس هذا فحسب، بل هناك هدف لم يفطن له دعاة (التسامح الساذج)، ألا وهو تحصين المجتمع من عملية استمرار وتواصل هذه الجرائم، وردعاً لمن تسول له نفسه العبث بأمن المجتمع واستقراره وثروته، وأن المجتمع سيقف له بالمرصاد ولن يتسامح معه .

كما أن من العدل الذي قامت عليه السموات والأرض أن يأخذ المظلوم حقه من الظالم، وأن يعاقب الظالم جزاء ما اقترفت يداه، وهذا هو الأصل كما قال ربنا جل وعلا على لسان ذو القرنين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ الكهف: ٨٧ يأتي التسامح هنا ليكون استثناءً من هذا الأصل، وهو حق أصيل للمظلوم يمكنه أن يمضيه، وهنا يجري القانون مجراه الطبيعي: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الإسراء: ٣٣ ، أو يتنازل عنه ويسامح محققاً بذلك أمرين اثنين، الأول: التفضّل على صاحب الجريمة بالعفو عنه، والثاني: يعتبر شرطاً للأول بتغير الحال بعد العفو وتوقف الجريمة وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٠، فمن غلب على ظنه صلاح الحال لما بعد العفو كان عليه أن يجنح للتسامح وإلا فلا.

والعجيب الغريب أن الغرب والشرق الذين يحثهم دينهم على التسامح (من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً) لا يتسامحون مع غيرهم لا في الكبيرة ولا في الصغيرة، ومستعدون أن يشنوا حرباً لا هوادة فيها إذا اختطِف أو قتل أحد مواطنيهم، أو أحسوا أن هناك قوة في العالم الثالث (وخاصة العربي أو الإسلامي) ستقول لهم لا، مستعدون أن يقتلوا الآلاف إن لم يكن الملايين وما الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، والبريطاني في مصر واليمن والهند، والإيطالي في ليبيا، والأمريكي

في فيتنام وأفغانستان والعراق، والروسي في سوريا، وقبله السوفييتي في الدول الإسلامية التي كانت تحت سيطرته، وما ذلك عنا ببعيد.

ما الذي فعله دعاة السلام والتسامح في العراق وأفغانستان والصومال وسوريا واليمن، وقبل ذلك فلسطين والبوسنة والهرسك، حتى الدول التي لم يشنوا عليها حرباً ابتزوها بطرق أخرى (دول الخليج نموذجاً) وخاصة السعودية التي اتهمت بمشاركة بعض مواطنيها في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وصدر القرار الأمريكي بعد خمسة عشر عاماً (قانون جاستا) والذي يقضي بتعويض المتضررين من هذا الحادث.

والغرب يدرك أهمية أن تأخذ العدالة مجراها في بلدانهم (فقط)، ولذلك فهم لا يتسامحون مع من يقتلهم أو يسرقهم حتى من أبناء جلدتهم ومهما كانت مكانته (رئيساً أو وزيراً)، وما محاكمات وسجن بعض الوزراء والمسؤولين إلا شاهدا على ذلك، وقد فعل مثلهم اليهود في فلسطين المحتلة، مع رئيس وزرائهم (المرت)، ولذلك تجد المسؤول لديهم يفكر ألف مرة قبل أن يتجرأ على الفساد والإفساد.

والغرب والشرق يدركون أيضاً أننا أمة عندها من سعة الصدر والعفو والصفح والتسامح ما يتسع لجرائمهم وانتهاكاتهم لسيادتنا ولإنسانية الإنسان لدينا ونهب ثرواتنا، كما يدركون أننا شعوب بذاكرة (مخرومة) سريعاً ما (تسامح وتنسى)، لذا فقد أغراهم ذلك على شن الحروب علينا وتدمير مدننا وانتهاك سيادتنا ونهب ثرواتنا، لأن القانون الذي نتعامل به معهم هو أن الجرائم (تسقط بالتقادم)، أما قانونهم معنا فالجرائم (لا تسقط بالتقادم)، وإذا حدث وتسامحوا (ونادراً ما يحدث ذلك) فإنهم لا ينسون ولديهم ذاكرة طويلة الأجل تحتفظ بأي شيء، ويمكنهم استدعاءها في أي لحظة.

أخي القارئ الكريم / آمل ألا تفهم من خلال مقالي هذا أني ضد السلام والتسامح – حاشا وكلا – أنا مع السلام وأدعو له، ولكن ليس السلام الذي يسلبك نفسك وعرضك وأرضك ثم يقول لك إجنح للسلام، وأحب التسامح وأرغِّبُ فيه، ولكن ليس التسامح الذي يمدُّ في عمر الجريمة والمجرم لتتواصل جرائمه وتستمر، وليس التسامح الساذج الذي

يُعطَى من خلاله قتلة الشعوب وناهبي الثروات حصانة مستقبلية بأن لا يمسهم أحد بسوء ولن تطالهم يد العدالة.

بإمكانك أن تجنح للسلام شريطة أن تكون آمناً على حياتك وعرضك وحقوقك وثروتك، كما أن بإمكانك أن تسامح شريطة أن تكون آخر مظلوم وآخر منهوب، أما غير ذلك فنحن نعيش في (وهم) اسمه السلام، وفي (سذاجة) اسمها التسامح.

الجمل ... سفينة الصحراء!!

رسب أحد الطلاب في مادة التعبير، وهذا أمر غير اعتيادي أن يرسب طالب في مادة سهلة، وعندما سُئل المدرس عن سبب رسوبه في المادة قال: والله يا زملاء إن هذا الطالب لا يركز جيدا، وكل مرة نطلب منه أن يكتب عن موضوع يخرج عن الموضوع المحدد. قالوا أعطنا عينات من مواضيع التعبير التي كتبها... فقال المدرس على سبيل المثال: اكتب موضوعًا عن فصل الربيع.

فصل الربيع من أجمل الفصول في السنة، تكثر فيه المراعي الخضراء مما يتيح للجمل أن يشبع من تلك المراعي، والجمل حيوان بري يصبر على الجوع والعطش أيامًا، ويستطيع المشي على الرمل بكل سهولة ويسر. ويربي البدو الجمل، (فهو سفينة الصحراء)، فينقل متاعهم ويساعدهم على الترحال من منطقة لأخرى ... والجمل حيوان أليف ... إلخ. ويستمر الطالب في التغزل في الجمل، وينسى الموضوع الرئيسي.

فقال المدرسون قد يكون قرب موضوع الربيع من الجمل وارتباطه بالرعي هو الذي جعل الطالب يخرج عن الموضوع. فقال المدرس: لا، خذوا على سبيل المثال هذا الموضوع الذي طلبنا من الطالب أن يكتب عنه، اكتب عن الصناعات والتقنية في اليابان.

تشتهر اليابان بالعديد من الصناعات ومنها السيارات، لكن البدو في تنقلاتهم يعتمدون على الجمل، والجمل حيوان بري يصبر على الجوع والعطش أيامًا، ويستطيع المشي على الرمل بكل سهولة ويسر. ويربي البدو الجمل، (فهو سفينة الصحراء)، فينقل متاعهم ويساعدهم على الترحال من منطقة لأخرى ... والجمل حيوان أليف.

قال المدرسون هل هناك موضوع آخر فقال المدرس كل موضوع يبدأ فيه يكتب نصف سطر وينتهي بصفحات عن الجمل. وهذا موضوع بعيد جدًا عن الجمل طلب منه أن يكتب عنه وهو (الحاسب الآلي وفوائده)، فكتب يقول: الحاسب الآلي جهاز مفيد يكثر في المدن ولا يوجد عند البدو لأن البدو لديهم الجمل والجمل حيوان بري يصبر على الجوع والعطش أيامًا، ويستطيع المشي على الرمل بكل سهولة ويسر. ويربي البدو الجمل، (فهو

سفينة الصحراء)، فينقل متاعهم ويساعدهم على الترحال من منطقة لأخرى .. والجمل حيوان أليف...

تقدم الطالب بشكوى للوزير بعد أن طلب الوزير التحقيق في الموضوع فكتب الطالب في خطاب الشكوى:

سعادة وزير التربية والتعليم... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقدم لمعاليكم تظلمي هذا وفيه أشتكي مدرس مادة التعبير لأني صبرت عليه صبر الجمل، والجمل حيوان بري يصبر على الجوع والعطش أيامًا، ويستطيع المشي على الرمل بكل سهولة ويسر. ويربي البدو الجمل، (فهو سفينة الصحراء)، فينقل متاعهم ويساعدهم على الترحال من منطقة لأخرى... والجمل حيوان أليف، وكما يعلم سعادتكم أن الجمل يستمد طاقته من سنامه الذي يخزن فيه الكثير من الشحوم، أما عينا الجمل ففيهما طبقة مزدوجة تحمي العينين من الرمال والعواصف.

آمل من سعادتكم النظر في تظلمي هذا وظلم المدرس لي مثلما ظُلم الجمل في عصرنا هذا بأكل كبدته في الفطور في جميع الوزارات والدوائر الحكومية. ولكم مني خالص الشكر والعرفان!!.

تساؤلات تفرض نفسها من خلال هذه الفكاهة:

1-ألا ترون أننا في كثير من الأحيان نشبه هذا الطالب فنبدأ من نقطة معينة ثم نأخذ ونعطي ونعود إلى نفس النقطة (الجمل سفينة الصحراء).

2-تكرار المكرر، وطحن الطحين، وشرح الهامش، وتفسير هامش الهامش، وتفصيل المفصل، وتدقيق المدقق، وبحث المبحوث ووو.... ألا يشبه هذا سياسة هذا الطالب في أن (الجمل سفينة الصحراء).

3-هل تعتقدون أن هذا الطالب وأمثاله سعيدون بهذا الحال الذي هم فيه؟! دون أن يهديهم عقل أو يؤنبهم ضمير أو ينبههم أريب. ...

4. هل كتب علينا أن نقرأ ما سبق وقرأناه عشرات المرات، ونطالع ما قد مر علينا مرات ومرات، ونتابع ما شاهدناه المرات تلو المرات.

أترجاكم أيها الأفاضل من وجد منكم هذا الطالب فليخبره نيابة عن الجميع أن الجمل لم يعد سفينة الصحراء، فقد قام بمهمته أعراب كثيرون في جميع المجالات، وإذا كتب موضوع تعبير جديد في المستقبل فليكتب أن (الأعراب سفن الصحراء).

أوطان بلا أصحاب ... هموم مواطن عربي

في واحدة من لفتاته الرائعة يشير (د. عبد الوهاب المسيري) إلى أن الناس تستيقظ كل صباح لأداء عملها من أجل تحقيق هدف ما، ولكن عندما يغيب الهدف تصبح عملية الاستيقاظ عملية (بيولوجية) خالية من المعنى، أما في ظل وجود مشروع حضاري يصبح الاستيقاظ فعلا (إنسانيا) يسهم في بناء الوطن. وعندما يصبح الوطن هو القاسم المشترك الأعظم لجميع المواطنين، فهذا يعني بالضرورة خفوت صوت الانتماءات الصغيرة، والتلوينات العرقية والطائفية والطبقية.

إن الوحدة الوطنية تحتاج إلى امتلاك الوطن جاذبية كبيرة لصهر جميع أبنائه في بوتقة الانتماء إليه، وحين يفقد أي وطن القدر المطلوب من هذه الجاذبية، فإن الانتماءات الصغرى: القبلية والعرقية والمذهبية ... جاهزة، لتكون أساسا ومنطلقا لتفتيت المجتمع وتقسيمه. ولكي يظل الوطن جذابا، ويظل بالتالي القاسم المشترك الأعظم لأبنائه حاضرا، يحتاج إلى أن تسوده حالة عالية من الأمن والعدل وتكافؤ الفرص، والتنمية والتقارب الطبقي، مع درجة جيدة من الانفتاح الذهني والتسامح لدى مواطنيه. "فالوطنية في الحقيقة ليست سوى الشعور بشرف الانتماء للوطن والمكان" (د. عبد الكريم بكار). وكلما عَظُمَ حب الوطن في نفوس الناس، عَظُمَ معه حبهم لأنفسهم، فالسلام الاجتماعي الذي هو المناخ الصالح للفضيلة لا يتأتى قط لجماعة يحملون للوطن ضغنا وحقدا.

ويضعف الشعور بالانتماء الوطني، إذا شعرت بعض فئات المجتمع بأنها مهمشة، أو مظلومة أو محرومة، مما تعتبره حقا طبيعيا لها، وأشد ما يحطم القاسم المشترك هو التمييز بين المواطنين في الحقوق وفرص العمل، لأي سبب من الأسباب. وحين ينتشر الفساد المالي والإداري في بلد ما تذبل المشاعر الوطنية، ويكف الناس عن تأسيس مشروعات عملاقة بسبب الافتقار إلى الشعور بالأمان. وحين يقلّ تفاعل الإنسان مع أهل بلده، فإن مشاعره الوطنية تخبو وأنشطته الخيرية والإصلاحية تتراجع، فالتهميش يعني الخسارة في رأس المال البشري، والخسارة في السمو الإنساني.

والوطني الأصيل، في تعريف المفكر (علي عزت بيجوفيتش) ليس ذلك الذي يرفع وطنه فوق الآخرين، وإنما ذلك الذي يعمل من أجل أن يكون وطنه مستحقا لهذا الفخر. وأن يكون هدفه كرامة وطنه أكثر من الفخر به. وهو ما أكده (الإمام محمد عبده)، على أن الوطنية صفة لمن يقدم ما يفيد مجتمعة ويساعده على الترقي، وليست شيئاً مرادفاً للجنسية، ولا مجرد لقب للتفاخر الأجوف.

لقد أقام النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعد هجرته إلى المدينة الإخاء الكامل بين المؤمنين، والمواطنة المتساوية بين جميع مواطني المدينة على اختلاف أديانهم. هذا الإخاء وهذه المواطنة، تجعل الفرد يتحرك بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، فليس لنفسه كيانا دونها، ولا امتدادا إلا فيها. ومعنى هذا أيضا، أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام وكرامة الإنسان. وأن تسقط فوارق النسب واللون و .... فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بمروءته وتقواه.

إن مدرسة العمل المشترك، كما سماها (مالك بن نبي)، هي أولاً وقبل كل شيء، المدرسة التي تُكوِّن المسلم الجديد، الذي يستطيع من خلالها مواجهة كل الظروف الاستثنائية، مثل التخلف؛ لأن مدرسة العمل المشترك تعلِّمه أن الإرادة إذا حركت الإنسان تجعله يكتشف الإمكان. فالوطن أو المجتمع المسلم الذي يتحول إلى ورشة عمل، سرعان ما يكتشف أن الإمكان الذي ينتظره مما في يد الآخرين لتغيير مصيره هو في يده منذ الآن. وهو ما أدركه (بن نبي) كذلك، عندما دعا الناس في بلدته للانتقال من أجل خدمة الصالح العام، من القول إلى الفعل، وعبَّر عن ذلك بكل مرارة بقوله: "تبخر الحماس الوطني بمجرد أن أصبحت القضية عملا (جمع أحجار لتسوير المقبرة الخاصة ببلدته) عوضا عن أن تكون مجرد كلام. فأدركت أن الناس في الجزائر تحب أن تتكلم عن الوطن ولا تحب خدمته.

إن المشروع الوطني، في كثير من الأحيان، تتم التضحية به من أجل أحلام الفرقاء المختلفين، فهذا يمد يده إلى الدولة (أ)، وهذا يمد يده إلى الدولة (ب)، وذلك إلى الدولة (ج). ومع الوقت يصبح ذلك أمرا طبيعيا ومبررا، في سياقات مشروعة وبحجاج واضح.

أليس الكل يفعل ذلك؟! فماذا يبقى لأي وطن حين يصبح مثل هذا الأمر مشروعا، كما يقول (د. جاسم سلطان)، في كتابه لحظة الإقلاع وتساؤلات المرحلة. إن التعاقد الوطني السليم واحد من أهم ركائز صناعة الأوطان.

إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا، لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على الآخرين، الذين ندين لم بنفس الاحترام. فالوطن ثبات على المبدأ في ضجة البائعين، وتشبث بالحرية في سوق النخاسين.

هل الطَّبع يغلب التطبُّع فعلاً؟!

بداية يجب علينا أن نتشبَّع بفكرة تقول: إن تغيير العادات أمر ممكن، على خلاف ما هو شائع بين الناس من أن الطبع تحت الروح، ولا يزول إلا بخروج الروح.

وهي تجربة خاضها المفكر الجزائري (مالك بن نبي) مع طلبته الجزائريين المهاجرين في فرنسا، ولْنتركه يحدثنا عن هذه التجربة: "عند أول لقاء لي بتلاميذي في مرسيليا، أدهشتني الهيئة (الوحشية) التي كانت تَسِمُ نظراتهم، وتطبع قسمات وجوههم. ثم لاحظت أن نظراتهم تهذبت، واكتسبت طابعاً إنسانياً، تتجلى الفكرة من خلالها. والأكثر تأثيراً، أن الطلعة ذاتها تغيّرت، ولن يسعفني الوقت لتسجيل كل تفاصيل التحول الجذري لدى تلاميذي، بيد أني فهمت من وقتها أن الفكر يضع قناعاً خاصاً على الوجه". إن الأخلاق ترتسم في النفس على صورة السجية والفطرة والطبع في الإنسان؛ لذا فإنها تتسم بطابع الديمومة والاستمرار.

"ونحن نكرر الدعاء لأنفسنا، كما نكرر غسل أعضائنا؛ لأن أسباب هذا التكرار قائمة، فالجسم الإنساني لا يكفي في تطهيره أن يغسل مرة أو مرتين، لا بد من تكرار الغسل مدى الحياة! والطبع البشرى لا تصقله دعوة أو دعوتان لا بد من تكرار الوقوف بين يدى الله؛ لأن رعونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي، فلا بد من تكرار الدعاء، واستدامة التضرع". (الشيخ محمد الغزالي).

والتدين الحق يخفف من النزعات الشريرة داخل الإنسان، ويدعم نوازع الخير ويزكيها. والإسلام لا يؤكد على تغيير الطباع السيئة بمقدار تأكيده على الحيلولة دون تجسيدها في عادات المرء وسلوكياته وأنشطته وطباعه.

والطبع عند علماء النفس هو: مجموعة مظاهر الشعور والسلوك المكتسبة والموروثة التي تميز فرداً عن آخر. يقول أبو حامد الغزالي: "كل إنسان قادر بالميلاد والتربية تجعله قادراً بالفعل". والنفس اللوامة كما في المصطلح القرآني هي: النفس التي أصبح لها هذا الأمر خُلقاً وعادة، وطبعاً تطبعت عليه. أجل إن من طبيعة الإنسان أن يكون حراً، وأنه

يريد أن يكون كذلك، ولكن من طبيعته أيضاً أنه يتطبَّع بما نشأ عليه. ولهذا فإن الإنسان ليس اجتماعياً بالطبع كما قال أرسطو. إنما هو في الواقع اجتماعي وغير اجتماعي في آن واحد، إنه يملك في شخصيته عنصر الخضوع وعنصر الثورة معاً، فهو يخضع لقواعد مجتمعه بإحدى نَفْسَيه، ويتمرد عليها بالنفس الأخرى.

لقد خلق الله في الإنسان استعداداً للصلاح واستعداداً للفساد، كما يؤكد ذلك (عبد الرحمن الكواكبي)، فأبواه يُصلحانه، وأبواه يُفسدانه، أي إن التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. فالمستبدّ: إنسان مستعد بالطبع للشر وبالإلجاء للخير، فعلى الرعية أن تعرف ما هو الخير وما هو الشر فتُلجئ حاكمها للخير رغم طبعه، وقد يكفي للإلجاء مجرد الطلب إذا علم الحاكم أن وراء القول فعلاً. ومن المعلوم أن مجرد الاستعداد للفعل فعل يكفي شر الاستبداد.

إن الطبع في ميله إلى الدنيا كالماء الجاري فإنه يطلب الهبوط. (ابن الجوزي)، وبناء عليه فهل يمكننا أن نتفق مع ما ذكره (د. علي الوردي) من أن: "الإنسان وحشي بالطبع ومدني بالتطبع"؟

إن التربية (التطبيع) ملكة تحصل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس؛ ليتمكن الإنسان من الخروج من حالة التوحش التي ذكرها (د. علي الوردي) إلى رحاب الإنسانية، وأهم أصول هذه التربية (التطبيع) كما يقول الكواكبي هي "وجود المربين، وأهم فروعها وجود الدين. وجعلت الدين فرعاً لا أصلاً؛ لأن الدين علم لا يفيد العمل إذا لم يكن مقروناً بالتمرين".

والعاقل مَن يحمل مَن يربيه على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبته للجهال والسفهاء، فإن (الطبع لصّ). والعجب لمن يترخص في المخالطة وهو يعلم أن (الطبع يسرق من المخالطة). (ابن الجوزي).

إن التربية هي مفتاح التغيير، وإن تجريد مناهج التعليم من عنصر التربية، كما يقول (أنس كاريتش) في مقال له بمجلة حراء بعنوان (التربية والتعليم معاً)، قد أوصلتنا إلى

معرفة متحللة من المسؤولية إلى حد الوقاحة والغطرسة. فالإنسان المتعلم وغير المسؤول، ذو الطبيعة المجردة من التربية، والمتسلح بالتعليم المنفلت من أية مسؤولية، ليمثل خطراً أكبر بكثير من اندفاع تلك الطبيعة عند (بربري) غير متعلم.

لقد تحدث (جلال الدين الرومي) عن الإنسان المتعلم وفاقد التربية، وكيف أنه يستفيد من عقله تماماً كما يستفيد اللص من الشمعة وهو يسرق.

وعندما يتعلق الأمر بالتربية والتعليم، فإن السؤال الرئيسي الذي سنبحث عن إجابة له في القرن الحادي والعشرين هو: كيف التوصل إلى التعليم المربّي، وكيف نحقق التربية المتعلمة؟ والبشرية التي تنجح في التوصل إلى هذه التركيبة ستكون هي البشرية السعيدة. إن هناك ثلاث قضايا في التربية لا بد من توافرها إن أردنا لها النجاح والفلاح: الأولى: شمولها وإيجابيتها منهجاً، والثانية: انفتاحها وعمومها إطاراً، والثالثة: حريتها ومرونتها فلسفةً.

وإنني في الأخير لأتفق مع ما قاله المفكر السوداني (حسن الترابي): "من أن البشر لن يتجردوا من أهواء التنافس الشخصي، مهما زكَّتهم التربية الدينية، حتى يطوي الله بساط الابتلاء الدنيوي وينزع ما في صدورهم من غِل في أُخوة الآخرة، وإن عمل المربين هو تسديد ومقاربة، وترويض للإنسان، بقدر المستطاع، ليصبح إنساناً".

القواعد الذهبية في سياسة عنترة بن شداد

الواقع أن كلا منا له شخصيته الخاصة به، ولا يخلو أحد منا من شخصية. إنما الفرق بين بعض الناس وبعضهم الآخر هو في قوة الشخصية وضعفها، وليس في وجودها وعدمها. ولكلّ أمّة فضائل ورذائل، ولكلّ قوم محاسن ومساوئ، ولكلّ طائفة من الناس في صناعتها وحلّها وعقدها كمال وتقصير، وهذا يقضي بأنّ الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مُفاضة على جميع الخلق، موزَّعة عليهم كلّهم: "فللفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم، وللرّوم العلم والحكمة، وللهند الفكر والرويّة والخفّة والسّحر والأناة، وللتُّرك الشجاعة والإقدام، وللزّنج الصبر والكدّ والفرح، وللعرب النّجدة والقِرى والوفاء والبلاءُ والجودُ والذِّمام والخطابة والبيان... وقد بان بهذا الكشف أنّ الأمم كلّها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة، واختيار الفكرة" (أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة). وحتى لا يُفهم من كلام أبو حيان التوحيدي أن الصفات التي ذكرها خاصة بكل أمّة ومقصورة عليها دون سواها، فيمكن القول أن هذه الصفات قد تكون غالبة في أمَّة من الأمم، ولكنها موجودة في غيرها تقلّ أو تكثر.

وقوة النفس هي القوة الحقيقية التي يتسلح بها أحدنا، والجبناء في كل زمان ومكان كثيرا ما يمتلكون قوة الجسد، والتي قد لا تنفعهم شيئا، وكثير من الشجعان لا يملكون قوى جسمية خارقة، والذي يميزهم هو القدرة على المخاطرة والإقدام حين يحجم الناس. وقد جمع علي عزت بيجوفيتش بين الذكاء والشجاعة، ولكنه كان يُقدِّرُ الشجاعة أكثر من الذكاء، وقد كتب يقول: "لم يُغَنِّ الشعب للذكاء، وإنما غنَّى للشجاعة، لأنها الأكثر ندرة". وقد نال عنترة الشهرة لأنه اتبع ثلاث قواعد كانت بمثابة رؤيته السياسية التكتيكية والاستراتيجية وهي:

أنه يُقدِم إذا رأى الإقدام "عزما"، ويحجم إذا رأى الإحجام "حزما". لا يدخل مدخلا إلا إذا رأى منه مخرجا. أنه يهجم على الضعيف أولا فيضربه ضربة يهلع لها قلب الشجاع، ثم يرجع إلى الشجاع فيضربه.

ولذلك كان عنترة يشنُّ على أعدائه حربا نفسية، فقد جمع بين السيف والقافية، وكان يُعلي من شأن نفسه ويفتخر بها، ويُدخل الرعب في قلوب أعدائه، ومن ذلك قوله:

إني لأعجب كيف ينظر صورتي يوم القتال مُبارزٌ ويعيش.

إن القرار لا يكون قرار إلا إذا أضيفت إليه نتائجه، والشجاعة لا تكون شجاعة إلا إذا حكمت الطريق كله وواجهت الموقف من أوله إلى آخره. وما أصدق ما قاله (الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه):"إن من البلية أن يكون الرأي عند من يملكه لا من يبصره". وما حال العرب خاصة والمسلمين عامة اليوم، والتي لا تسرُّ صديقا ولا تغيض عدوا، إلا لأنهم لا يملكون قرارهم، ولا تقوم بهم عزيمتهم، وكأنَّ قول (تشرشل) ينطبق عليهم تماما:" لقد قرروا ألا يكون لهم قرار، وشددوا العزم على ألا يكون لهم عزيمة". وهو ما يكشف عن أن إهمال العدة ليس من شأن المؤمنين الصادقين، بل هو شعبة من شعب النفاق. وعلاج ذلك أن تتحول الرغبة إلى عزم، والعزم إلى خطة، والخطة إلى فعل. وقد عبر (الحافظ ابن الجوزي) عن ذلك بأسلوبه الأدبي البديع، فقال: "من عزم على أمر هيَّأ آلاته، لمَّا كان شغل الغراب الندب على الأحباب، لبس السواد قبل النَّوْح".

إن اشتداد الأزمة علامة على قرب الفرج ولحظات الإحباط هي أنسب اللحظات للمبادرات الشجاعة، كما يقول (نيلسون مانديلا)، وهو رجل خبير ومتمرِّس كما هو معروف عنه، ولهذا يكثر الخلط بين الرأي والشجاعة، ومن منهما حقه التقديم ومن حقه التأخير، والبيت الشعري المشهور الذي يَستشهد به من يقدِّمُ الرأي على الشجاعة، وهو قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني

إلا أن هناك وجهة نظر أخرى في الجمع بين الرأي والعزم، فقد قال الشاعر بين يدي أحد الأمراء:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا "تدبر" فإن فساد الرأي أن "تتعجلا".

فقال له الأمير:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا "عزيمة" فإن فساد الرأي أن "تترددا".

ويمكننا أن نختم هذا المقال بهذا المثل الذي يكشف عن واقع الحال، فيروى أن ضفدعاً وضع في ماء على نار هادئة، ثم بدأ تسخين الماء تدريجيا، وكان الضفدع يُعدِّل درجة حرارة جسمه فتظل المياه عادية ومقبولة، إلى أن وصل الماء لدرجه الغليان، ومات الضفدع في هذه التجربة. وبدأ العلماء القائمون على التجربة في دراسة سلوك الضفدع، الذي كلما ارتفعت درجة حرارة الماء يعدل حرارة جسمه، على الرغم من أن الوعاء الذي وضعوا فيه الضفدع كان مفتوحا، وبإمكان الضفدع أن يقفز، ومع ذلك لم يحاول الضفدع القفز حتى في حالة غليان الماء، إلى أن مات. وتوصَّل العلماء إلى أن الضفدع استخدم كل طاقته في معادلة درجة حرارته وتأقلمه مع المناخ الذي حوله على الرغم من صعوبته، إلى أن وصل لدرجة أنه لم يتبقَ عنده طاقة للتأقلم، ولا حتى لإنقاذ نفسه.

واستنتجوا أن الذي قتل الضفدع ليس الماء المغلي، ولكن إصرار الضفدع علي أقلمه نفسه إلى حد أفقده الطاقة اللازمة لإنقاذ حياته.

حتى في حياتك، عندما تكون في علاقة، أي نوع من أنواع العلاقات الإنسانية ولست مستريحاً لها، وتحاول أن تأقلم نفسك وتعدل من نفسك وتستخدم طاقتك الجسدية، والنفسية، والعقلية، والعصبية، إلى أن تصل إلى مرحلة أنك تفقد طاقتك كلها، عندها ستفقد نفسك. لا تستهلك طاقتك كلها، أعرف متي تقفز وتنقذ ما تبقى منك ومن حياتك، واستفد من قواعد عنترة بن شداد الذهبية، إن لم تكن الثلاث، فالقاعدتين الأولى والثانية.

ما يطلبه المستمعون

للكتابة عند الكُتَّاب نوعان أساسيان: فمنهم من يكتب ما "يريد جمهور القراء أن يقرأوه"، ومنهم من يكتب ما "ينبغي للقراء أن يعرفوه"، الطائفة الأولى تسترضي زبائنها، والطائفة الثانية ترشد وتهدي حتى وإن أثارت الغضب في النفوس، الأولى تمسك بمرآة لتنعكس على سطحها صورة الناس كما هم، والنوع الثاني يمسك بمصباح لينير الطريق أمام السائرين، لأنه على الأغلب طريق جديد لم يألفوه. "إنني (د. زكي نجيب محمود) في كتاباتي لا أشبه صاحب دكان الخردوات، يحاول أن يجمع في دكانه ما يتوقع أن يطلبه أصحاب الحاجات، ولكنني أقرب شبها بالطبيب الذي يصف طريقة العلاج وطريق الشفاء". قال نابليون بونابرت ذات يوم في مجلس الدولة الفرنسي:" لم أستطع إنهاء حرب (الفاندي) إلا بعد أن تظاهرت بأني كاثوليكي حقيقي. ولم أستطع الاستقرار في مصر إلا بعد أن تظاهرت بأني مسلم تقي. وعندما تظاهرت بأني بابوي متطرف استطعت أن أكسب ثقة الكهنة في إيطاليا. ولو أنه أتيح لي أن أحكم شعبا من اليهود لأعدت من جديد معبد سليمان". ومن صور الخضوع للجماهير ما نراه اليوم عندما يخطب أحد الزعماء أو القادة أو الدعاة مرتجلا، ثم يسمع تكبير المستمعين، أو تصفيقهم، فيبدأ بترديد ما أثار إعجابهم إرضاء لهم وانتزاعا للمزيد من إعجابهم، مع أن ذلك قد يكون غير ذي شأن في حِسه وفكره، فقد صار بعض الخطباء أشبه بالمطربين. وحتى صار حال البعض متماهيا مع جمهوره، وكأن هتافهم وتصفيقهم هو مقابل فصاحته وبلاغته، وصار حاله معهم كما يقول المثل الإنجليزي الشهير: "من يدفع للزمَّار يطلب اللحن الذي يريد".

قد يكون قول الحقيقة ومصارحة الناس بها مما لا يرغبون في سماعه، ولكن المثقف المسؤول مطالبٌ بأن يقول الحقيقة وإن كانت مُرَّة ولا يحب الناس سماعها، لأنهم سيعرفون قيمتها في المستقبل، وهذا ما أشار إليه المفكر الجزائري (مالك بن نبي) في صورة مثل رائع، ذكر فيه أننا عندما نتحدث إلى فقير، لا يجد ما يسد به الرمق اليوم، عن الثروة

الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده إنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدِّر يعزل فكره مؤقتاً وضميره عن الشعور بها: إننا قطعاً لا نشفيها. فكذلك لا نشفي أمراض مجتمع بذكر أمجاد ماضيه، ولا شك أن أولئك الماهرين في فن القصص قد قصوا للأجيال المسلمة في عهد ما بعد الموحدين قصة "ألف ليلة وليلة" وتركوا بذلك إثر كل سمر، نشوة تخامر مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق أجفانهم على صورة ساحرة لماض مترف. ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد فتنفتح أبصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تغبط عليه اليوم.

ولهذا لا يكفي أن تنتقي كلماتك، ولكن أن تنتقي مستمعيك أيضا. إذ أنك إذا حدثت الجمهور بما لا يفهمونه، أحدثت لهم اضطرابا وحيرة بغير جدوى. وبناء عليه فإنه يجب على العالِم المسؤول، كما أكَّد (د. علي شريعتي) أن يكون دائما بصدد التطبيق العملي والإتِّباع لما يختاره من بين الأقوال والآراء التي يطلع عليها، ولا يقبل من هذه الآراء إلا ما كان من شأنه أن يكون صالحا للعمل والإتباع، ولا يصغي إلا للكلام الذي له قيمة عملية وتطبيقية وليس مجرد كلام صرف حتى لو كان حقا، منطلقا من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ (الزمر: ١٨). وهذا ما يحدثه التأثير السيئ على لغة التواصل بين القائد والعاملين معه، فهم يحسُّون بأنهم أتباع لا أقران "ومن شأن المستمعين إلى القائد المسيطر أن لا يفهموا كلامه فهما موضوعيا. لأنهم لا يبحثون عن قيمة الكلام في ذاته، بل عما يقصده القائد ويريده".

والمشكل في حالة أن تقول شيئا وتعمل بخلافه، يتمثل بوقوع تناقض بين ما تعلنه وما تمارسه. لأن هذا التناقض سينقلب عليك في حالة الصدام لأن الازدواجية لا تخدع العدو وإنما سيختار منها جانب الصدام والحجة لضربك، ولكنها ستؤثر في تعبئة الجماهير التي تأخذ منك ما تعلنه لا ما تخفيه. ولهذا حين يأتي الصدام لا تكون مستعدة له. فتتركك تلقى مصيرك وهي في مقاعد المتفرجين، كما يقول: (منير شفيق)، وهي بهذا التصرف تبادله

الخداع بمثله، فهو قال ولم يفعل، وهي بالمقابل ترى ولا تفعل. فالإنسان يملك روحًا، أما الجمهور فلا شيء لديه سوى حاجاته. ومن ثمَّ، فكل ثقافة هي تنمية للإنسان، بينما الثقافة الجماهيرية مجرد إشباع للحاجات.

لقد أثبت علم نفس الجماهير، كما أكدت الخبرة، أنه من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار المُلِحّ لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع. ويُنظر إلى سيكولوجية وسائل الإعلام الجماهيرية باعتبارها وسيلة، ليس لإخضاع الجانب الواعي في الإنسان فحسب، بل الجوانب الغريزية والعاطفية، بحيث تخلق فيه الشعور بأن الآراء المفروضة عليه هي آراؤه الخاصة.

إن المفكر الحر ليس بائع خردوات، يوفر في دكانه حاجات وطلبات زبائنه، كما أنه ليس مسؤولا في إذاعة من الإذاعات أو قناة من القنوات أو موقع من مواقع التواصل، مهمته الأساسية أن يلبي طلبات مستمعيه ومشاهديه، ليوفر لهم ما يطلبونه، ولكنه طبيب مجتمع، يُشخِّص داء المجتمع، ثم يصرف له العلاج المناسب، الذي قد لا يستسيغه المريض، ولكن عافيته في هذا الدواء، إن المفكر الحر يقول ما يشفي مجتمعه وأمته ولا يقول ويكتب (ما يطلبه المستمعون).

حروب الجيل الرابع ...المواطن جندي في جيش عدوه

تتنامى الحروب وتتطور عبر التاريخ في فنونها وأدواتها وطرق إدارتها من جيل إلى جيل شأنها شأن أي تطور طبيعي يطرأ على مناحي الحياة المختلفة، وهو ما نطالعه بوضوح في عالم التقنيات والبرمجيات.

وللتعرف على أجيال الحروب بصورة مختصرة يمكن إيرادها كالتالي : الجيل الأول هو الحروب التقليدية، والثاني هو حروب العصابات، والثالث هو الحروب الوقائية أو الاستباقية، أما الجيل الرابع من الحروب، فهو ما يسمى بالحروب (اللامتماثلة) ، التي تتميز باللامركزية، أي حرب دولة ضد لا دولة ، حرب جيش نظامي ضد تنظيمات منتشرة حول العالم كتنظيم (القاعدة وداعش)، وهناك أجيال جديدة (الجيل الخامس) ويطلق عليها الحرب (الهجينة) ، وهي خليط من مفهوم الحرب التقليدية والحرب الثورية وأسلوب حرب العصابات ووسائل الحرب الحديثة التي تتمتع بتكنولوجيا فائقة، وحروب (الجيل السادس) وهي حروب تدار بالتحكم والسيطرة عن بعد.

وحروب الجيل الرابع تسمية أطلقها البروفيسور (ماكس مايوراينغ) في 13/ 8/ 2012 وهو أستاذ وباحث في الاستراتيجيات العسكرية، عمل بالمخابرات العسكرية الأميركية، وتعد حروب هذا الجيل حروباً أمريكية النشأة والصناعة، طورت من قبل قيادة الجيش الأمريكي.

ويدار هذا الجيل من الحروب من خلال خطوات محددة تتمثل في:

1-الحرب بالإكراه، أي أن على العدو قبول الحرب رغما عن إرادته (الحرب على الإرهاب، سواء كانت التنظيمات محلية أو متعددة الجنسيات).

2-زعزعة الاستقرار، وزعزعة الاستقرار يمكن أن يأخذ صورا متعددة، (كاستخدام الضغوط السياسية والاقتصادية والحقوقية والعسكرية لتشكيل حالة من الإرباك وعدم الاستقرار).

3-استخدام قوات غير نظامية من الرجال والنساء والأطفال، في إشارة إلى الغزو الثقافي (تفتيت الدولة الواحدة واستخدام تكتيكات التمرد لإفشال الدولة من أجل فرض واقع جديد).

4-استخدام القدرات العقلية، أو ما يعرف بالقوة الذكية (حرب الإعلام والإشاعات).

وتستخدم في كل هذا وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة والعمليات الاستخبارية والنفوذ وغيرها من الوسائل.

وقد أعطى (ماكس) مثالا على ذلك قائلا: "إن جدار برلين لم تسقطه الدبابات والمدفعية بل أسقطه المارك الألماني" (يشير بذلك إلى الاقتصاد). وذكر أيضا أن هذه الخطوات عندما تكون جيدة والمدة كافية وتعمل ببطء كاف وباستخدام (الطابور الخامس)، فالنجاح يكون مؤكدا، وشبّه كل ذلك بالمثل القائل "يذهب العدو للنوم، ويستيقظ ميتا"، طبعا هذا إذا استيقظ!! .

إن التفاصيل المذكورة سابقاً تؤكد مقولة فرانكلين روزفلت، الرئيس الأميركي الأسبق "لا شيء يحدث على سبيل الصدفة في عالم السياسة، وإذا حدث فاعلم أن ذلك مُخططٌ له كي يظهر وكأن كل شيء قد حدث على سبيل الصدفة".

إن الجيل الرابع من الحروب التي تدور في بلداننا العربية والإسلامية هي صناعة محكمة بتخطيط فائق الذكاء، وبأدوات في منتهى الخطورة، بدءاً بصناعة وانتشار ظاهرة الإرهاب المرعبة فيما بين الواقع والعالم الافتراضي، وقوائمها وتشريعاتها الخطيرة، وأدواتها المحصورة في الدين والإعلام والتكنولوجيا، وانتهاء بقائمة الدويلات الفاشلة المفتتة الجاهزة لإلغاء سيادتها وتسليم إرادتها الكاملة إلى الخارج.

لقد نجح الإعلام الموجه، والغزو الفكري المُهدّف في التلاعب بالقلوب والعقول، في حرب نفسية خطيرة عبر كل وسائل التكنولوجيا التقليدية والحديثة، في تحويل الفرد العربي إلى أداة من أدوات نجاح تلك الحرب ضد نفسه، وهو يظن أنه يدافع عن تراب

وطنه (هذا إذا أحسنّا الظن به)، وأنه جندي في الجيش الذي يحمي بلاده، دون أن يدرك أنه قد صار جندياً في جيش عدوه.

إن الغرب من خلال تطويره لأجيال الحروب يريد أن يُخفِّض فاتورة حروبه ومواجهاته في العالمين العربي والإسلامي بوجه خاص، فهو لن يحتاج إلى المواجهة العسكرية المباشرة، لأن هناك من سيقوم بهذا الدور من أبناء العالم الإسلامي أنفسهم، ولن يحتاج إلى إنفاق المال في هذه الحروب والمواجهات لأن دولاً إسلامية (خاصة العربية) ستتكفل بكامل هذه النفقة وترسلها مقدماً إلى بنوكه كقيمة (لصفقات أسلحة) يقتل بها المسلمون بعضهم بعضاً، ولن يحتاج إلى استعمار العالم الإسلامي عسكرياً كما فعل في قديما، بل يكفيه أن يؤسس قواعده العسكرية على أرضنا، ويرسل أساطيله إلى مياهنا، وسنكون له من الشاكرين ولقواعده وأساطيله من المُنْفِقين .

ومع صرامة الطرح المذكور أعلاه إلا أن (كارل براون)، أحد كبار المختصين بالمنطقة العربية، يرى أنه على الرغم من أن دول «الشرق الأوسط»، دول مخترقه تخضع بدرجة عالية واستثنائية إلى التدخل والسيطرة الخارجية، ولكن شعوب هذه الدول بفضل تميزها الثقافي (الإسلام) تقاوم تلك السيطرة بشدة، وهذا، إلى حد كبير، يفسر لنا الحملة الإعلامية الشرسة والمركَّزة من قبل (الغرب) ضد الشعوب الإسلامية التي ترفض الهيمنة الغربية، وهذا المؤشر يعطينا أملاً وضوءاً في آخر النفق بأن الشعوب الإسلامية لن ترضخ وتستسلم بسهولة لهذه الحملة المنظمة ضدها، رغم ما (ينخرها) من الداخل. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المواطنة المتساوية .... كثيراً من الأقوال ... قليلاً من الأعمال

هناك خلط وتداخل لدى الكثيرين بين مفهومي الوطنية بمعنى الشعور والانتماء والاعتزاز بالوطن، وبين مفهوم المواطنة بمعنى السلوك الذي يفرضه كون الإنسان عضواً في مجتمع أو وطن، والعلاقة بين الوطنية والمواطنة علاقة تأثر وتأثير، فالوطنية الحقة يفترض أن تثمر مواطنة صالحة، والمواطنة الصالحة يفترض أن تنمي المواطنة، ومن ثَمّ فالمواطنة ليست مجرد تصورات وقضايا ذهنية وإلا أصبح الحديث عنها ناقصاً وغير ذي جدوى، وإنما هي ممارسات وسلوكيات يعيشها الفرد داخل وطنه.

ولذا يمكننا القول إن المواطنة (عقد قانوني) قائم على التراضي بين طرفين، أحدهما الدولة كسلطة شرعية وبين المواطن الذي يعيش داخل هذه الدولة، بحيث تقوم الدولة بواجباتها نحو هذا المواطن وتطالبه بالحقوق المترتبة عليه بموجب العقد (القانون) المتفق عليها من كلا الطرفين، وأي إخلال من أحد طرفي العقد أو كليهما فإن المواطنة تتراجع وتصبح شعارات للمزايدة فقط، وفي حال التزام الطرفين بالعقد (نصاً وروحاً) تتطور المواطنة وتنمو في هذه الدولة. فكل طرف يعرف واجبه ويقوم به ويزيد عليه أحياناً، ويعرف حقوقه ويطالب بها وقد يتسامح ببعضها أحياناً.

وتعتبر المواطنة سلوكيات وممارسات يومية يجدها المواطن من قبل دولته، كما تجدها الدولة من قبل مواطنيها، فيصبح الشأن العام همّ الجميع ومسؤولية الجميع لا مسؤولية الدولة وحدها، وتصبح الدولة (كرب الأسرة) وكبيرها يخطط ويفكر لمصلحة كل أفراد الأسرة دون محاباة أو تفضيل لأي فرد أو طرف على حساب طرف آخر، ويسعى كذلك كل فرد (مواطن) على مصلحة الأسرة وتماسكها.

هذه المواطنة بمفهومها المُبسَّط أصبحت حديث الساسة والمفكرين، ولاكتها الألسن كثيراً في المجالس والندوات والمؤتمرات، وتناولتها بالنشر والتعليق كل القنوات والصحف وأصبحت شعارات ترفعها الحكومات والأحزاب في حملاتها الانتخابية وفي برامجها

السياسية. كل هذا الطرح وهذا التركيز على (المواطنة المتساوية) يجعلنا نسمع جعجعة ولا نرى طحيناً خاصة في الوطن العربي.

لقد أصبح بيع الوهم سهلاً، والمتاجرة بالمصطلحات البراقة ممكناً، وتزوير وعي الناس والتلاعب بهم سياسة ممنهجة لدى القوى الممسكة بزمام الأمور في الوطن العربي، ولهذا نجد الدولة التي ارتبطت بعقد (دستور/ قانون) مع مواطنيها ما أسرع ما تعفي نفسها من الالتزام ببنوده، ويصبح ما قبل الانتخابات من وعود غير ما بعد الانتخابات، وبالمقابل فإن المواطن يعفي نفسه من التزامات العقد الذي بينه وبين دولته فيتراجع عن أداء واجباته نحوها، وبهذا يخسر الطرفان ويسقطا معاً، وبسقوطهما يسقط الوطن.

إن الوفاء بالالتزامات والعقود تدل على المصداقية والشفافية واحترام للذات وللآخر، فعندما تعد الحكومة بواجب ما تجاه مواطنيها فلا بد من الوفاء به، والحكومة قد تكذب على جميع المواطنين لبعض الوقت، وقد تكذب على بعض مواطنيها طوال الوقت، ولكنها لا تستطيع أن تكذب على جميع مواطنيها طوال الوقت، فحبل الكذب قصير، وينتهي حيث يبدأ.

وحتى لا تصبح الحكومات العربية مجرد ظاهرة صوتية، تسوّق الوهم لمواطنيها وتعدهم بجنة الخلد وتجعلهم يعيشون في حر جهنم، وتعدهم بالاستقلال وهي في كل يوم تربطهم بحبال التبعية، وتعدهم بالرخاء والذي يعني في مفهوم الحكومة تراجع دخل الفرد وتساوي الجميع في الفقر، كما تعدهم بالمواطنة المتساوية والواقع يثبت أن هناك تفاوتاً كما بين السماء والأرض.

إن لم تكن الدولة صورة (مُكبَّرة) لمواطنيها، ويكون المواطنون صورة (مُصغَّرة) لدولتهم، فلن يكون هناك دولة تنتظر من مواطنيها احترامها، ومن ثم تنفيذ قوانينها، وبالمقابل لن يجد المواطنون دولة تهتم بهم، وتسعى وتسهر من أجل سعادتهم وراحتهم .

الأقوال لا تصنع واقعاً، والشعارات لا تبني أوطاناً، والكذب والتزوير لا ينتج استقلالاً.

تقارير مؤسسة راند ... طبخ العالم الإسلامي على نار هادئة

نبذة مختصرة عن مؤسسة راند:

وفقاً للمعلومات التي أوردها موقع المؤسسة على شبكة الانترنت، فمؤسسة راند اختصار لـ (Research and Development) بمعنى (البحث والتطوير) مؤسسة غير ربحية تساعد على تحسين السياسات وعملية اتخاذ القرار من خلال البحث والتقرير، وعلى مدى ستة عقود اهتمت بقضايا الطاقة، والتعليم، والصحة، والعدالة، والبيئة، والشؤون العالمية والعسكرية، ومقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولديها (53) فرعاً موزعة على دول العالم، إحدى هذه الفروع في دولة قطر.

ومؤسسة راند . كما تقول عن نفسها . حيادية، وتعمل بشكل مستقل، بعيداً عن الضغوط السياسية والتجارية، فالجودة والموضوعية يمثلان قيمها الأساسية، ولديها (1875) موظفاً، نسبة حملة الدكتوراه بينهم 56% والماجستير 36% والبكالوريوس 8%، ويتقن موظفوها إجمالاً 75 لغة منها اللغة العربية. وأهم الاختصاصات التي تبحث فيها: العلوم الاجتماعية، الاقتصاد، تحليل السياسات، علم الأحياء، العلاقات الدولية، العلوم السلوكية، العلوم السياسية، الهندسة، وتقدم خدماتها لـ (375) من العملاء (جهات حكومية/منظمات/ مؤسسات دولية)، ونشرت أكثر من (950) بحثاً، إضافة إلى (15.500) تقرير، وتم تحميل (7.4) مليون من الملفات من موقعها.

ميزانيتها لهذا العام 2017م بلغت (293.3) مليون دولار، موزعة كالتالي: 76% الأبحاث وتحليل السياسات، 15% تنمية قدرات الموظفين ومصاريف إدارية، 8% مرافق، 1% جمع تبرعات. أهم المانحين: إدارة الولايات المتحدة للصحة والخدمات الإنسانية والوكالات ذات الصلة (69.1 مليون $)، مكتب وزارة الدفاع الأمريكية ووكالات الأمن القومي (60.6 مليون$)، القوى الجوية الأمريكية (44.7 مليون $)، جيش الولايات المتحدة الامريكية (42.4 مليون $)، وكالات فيدرالية (14.6 مليون $)، وكالات غير حكومية ومنظمات دولية (18.2 مليون$). انتهى التعريف.

مكانة مؤسسة راند وتأثيرها:

من خلال المعلومات المذكورة في التعريف السابق، يتضح أن مؤسسة راند لها مكانتها بين مراكز البحث العالمية، بل تعدُّ أكبر مركز فكري في العالم، وأحد أهم المؤسسات الفكرية المؤثرة في صناعة القرار في الإدارة الأمريكية، لذلك تميل الإدارة الأمريكية إلى تبني مقترحات مؤسسة راند.

وتتسم تقارير مؤسسة راند بقوة الفكرة وجرأة الطرح، وحسن الصياغة، ومخاطبتها الفعّالة لصانع القرار من خلال تقديم مقترحات عملية وخطط جاهزة للتنفيذ.

والملاحظ من خلال سعة انتشارها (53 دولة)، وحجم ميزانيتها (293 مليون$)، ونوعية الباحثين فيها (92% من حملة الماجستير والدكتورة)، بل ومن ضمن باحثيها خبراء في جميع المجالات لهم مكانتهم العلمية على مستوى العالم، وأيضا من خلال الجهات الداعمة الأمريكية (الدفاع والأمن القومي، الجيش، القوى الجوية، وكالات فيدرالية)، يتضح للمتابع أن لها مكانتها وتأثيرها عالمياً، كما أن ارتباطها بجهات داعمة لها سلطتها وسيطرتها في الإدارة الأمريكية يوحى بتوجهات أبحاثها وتقاريرها، وأنها تخدم التوجهات الأمريكية، وتقدم لصانع القرار الأمريكي الخطط والمقترحات العملية الجاهزة للتنفيذ من خلال رؤية علمية ودراسات معمّقة وإحصاءات دقيقة، على يد نخبة من الخبراء والمفكرين والباحثين من جميع أنحاء العالم.

ويحتل (الخطر الإسلامي) مكاناً مرموقاً في أبحاث وتقارير مؤسسة راند، فقد صدر أول تقرير لها قبل 18 عاماً من الآن، أي في العام 1999م قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م بعامين، وكان عبارة عن كتاب بعنوان (مواجهة الإرهاب الجديد) في 153 صفحة، من تأليف مجموعة من خبراء المؤسسة، وفي 2004م صدر تقرير راند بعنوان (العالم المسلم بعد 11 / سبتمبر) في أكثر من 500 صفحة، وفي فبراير 2005م صدر عن المؤسسة تقرير بعنوان (الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والموارد والاستراتيجيات) في 138 صفحة، وفي عام 2006م أصدرت المؤسسة تقريرها تحت عنوان (ما بعد القاعدة

... الحركة الجهادية العالمية) من جزئين، كما أصدرت المؤسسة تقريرها لعام 2007م بعنوان (بناء شبكات مسلمة معتدلة) في 242 صفحة، وكذلك أصدرت تقريرها لعام 2008م بعنوان (صعود الإسلام السياسي في تركيا)، وفي 2009م تقرير بعنوان (الإسلام الراديكالي في شرق أفريقيا).

وتُرسِّخ تقارير مؤسسة راند باستمرار الفائدة التي يمكن أن تجنيها الاستراتيجية الأمريكية من إشعال الصراعات داخل العالم الإسلامي وتقسيمه، وكذلك تقسيم شعوب المنطقة إلى معتدلين في مواجهة متطرفين، وتقليديين في مواجهة عصرانيين، وشيعة في مواجهة سنة، وعلمانيين في مواجهة إسلاميين، وعرب في مواجهة غير العرب، وغير ذلك من التقسيمات التي تسعى إلى شق وحدة الأمة في مواجهة الهيمنة الأمريكية والتدخل في شؤون دول المنطقة من قبل دول الغرب وعلى رأسها أمريكا، كما هو حاصل الآن.

وهذه التقارير تقدم النصائح والمقترحات للإدارة الأمريكية في كيفية التعامل مع الأطراف داخل الإطار الإسلامي، وهي خطط تحالفية (تكتيكية) داعمة لهذا الطرف ضد الطرف الآخر، فهي تدعم المعتدلين ضد الأصوليين (المتطرفين)، ثم تدعم الليبراليين (الحداثيين) ضد الإسلاميين المعتدلين، وبالمقابل تدعم العلمانيين المعتدلين ليواجهوا الليبراليين، ثم تدعم العلمانيين المتعصبين ضد العلمانيين المعتدلين، وهكذا مع بقية الأطراف المذهبية والعرقية، بل توصي بعض هذه التقارير بالقرب من المذهب (الحنفي) لمرونته ومواجهة المذهب (الحنبلي) لتشدده، كما أكدت بعض التقارير على دعم ومساندة الطريقة (الصوفية) على ما عداها في العالم الإسلامي. والإدارة الأمريكية لن تكون في يوم من الأيام سنية أو شيعية، ولن تأخذ بالمذهب الحنفي أو الطريقة الصوفية، إنما هي استراتيجية لضرب الإسلام باتباعه للتخلص منهم واحدا بعد الآخر.

ولأن المقال لا يتسع لإيراد كل التقارير وتحليلها، وإنما أورنا أبرزها كنماذج، كما أن التعليق عليها واستخلاص نتائجها يحتاج إلى دراسة كاملة، وقد كان غرضي من هذا العرض والتعريف بالمؤسسة لفت النظر لكي نعرف المطابخ العلمية والبحثية التي يطبخ فيها

مستقبل العالم الإسلامي، لنعي أولاً ما يدور حولنا، ولنقدم ما نستطيع حفاظاً على هُويّتنا العربية والإسلامية من الذوبان والتلاشي. والله المستعان وعليه التكلان.

ملاحظة: يمكن تنزيل بعض هذه التقارير مترجمة إلى العربية أو باللغة الإنجليزية من النت.

توم وجيري ...نموذج ترويجي للصراع والعنف

أعتقد أن كثيرا من القراء الكرام قد شاهدوا ولو مقطعا من مقاطع المسلسل الكرتوني توم وجيري (القط والفأر)، الذي تنتجه شركة هوليود الأمريكية، وتبثه الكثير من القنوات، والذي يستهوي الصغار والكبار على حد سواء، ويمكن فهمه بسهولة، حتى دون الحاجة إلى ترجمته إلى لغة المشاهد، وكم شعرنا بالمتعة والتسلية والضحك أثناء مشاهدتنا لأحداث الصراع والعنف بين توم وجيري، وربما أحسسنا من أعماقنا بالتعاطف مع جيري (الفأر) في صراعه مع توم (القط) ، بل كم ضحكنا وسخرنا من (غباء وسذاجة وغفلة) توم صاحب الجسم الكبير والإمكانات الكثيرة، في مقابل صغر حجم جيري ومحدودية إمكاناته، ولكن مع تمتعه بالكثير من (الذكاء والمكر والخديعة)، والذي ينتصر دائما في النهاية .

إن النموذج الترويجي للصراع والعنف الذي يمثله هذا المسلسل الكرتوني، والذي يتطور باستمرار ليواكب كل الأحداث المتوقعة في البر والبحر والجو، وكل أشكال وأنواع الصراع والعنف المحتملة التي يمكن أن تخطر - أو لا تخطر - على البال، إنه يمثل ترميزا لصراع قائم على الواقع، تمثل فيه إسرائيل دور (جيري) في حين يمثل العرب فيه دور (توم)، وفي سياق أكبر يمثل الغرب بقيادة أمريكا دور (جيري)، وتمثل القوى المناهضة له وعلى رأسها العالم الإسلامي دور (توم).

ومسلسل توم وجيري ليس الوحيد الذي يروج للصراع والعنف، فهناك المئات -إن لم تكن الآلاف -من مسلسلات وأفلام الأطفال التي تروج للصراع والعنف، كما أن هناك الكثير من ألعاب الفيديو (البلايستيشن) التي طابعها الصراع والقتال والعنف، إضافة إلى مئات المسلسلات وآلاف الأفلام القتالية والحربية (أفلام أكشن) وأفلام الرعب، التي تنتجها شركات إنتاج الأفلام الغربية بدرجة أولى. ثم نتساءل -متعجبين -عن كيفية حدوث كل هذا الصراع والعنف في العالم بشكل عام و في عالمنا العربي والإسلامي بشكل خاص .

إن المشاهد في العالم العربي والإسلامي تستهويه مثل هذه المسلسلات والأفلام والألعاب، خاصة في وجود حالة الفراغ والبطالة في صفوف الشباب، وقيام عشرات القنوات بعرض هذه المسلسلات والأفلام (مترجمة أو مدبلجة للعربية)، سواء للأطفال (سبيستون نموذجا) ، أو للكبار (قنوات MBC نموذجا)، ومع طول مدة المشاهدة، وتكرار مشاهد القتل والدماء والعنف والدمار في العالم الافتراضي (المسلسلات والافلام)، تصبح مثل هذه المشاهد مستساغة ومُبرَّرة في الواقع، حيث لم تعد المناظر المرعبة التي تخلفها الحروب والصراعات تستفز المشاعر وتؤنب الضمير، بل صار تداول المقاطع التي تحتوي على مناظر بشعة من القتل والتشويه والتمثيل بالأجساد (وقطع الرؤوس) من المقاطع التي يكثر عليها الطلب، ويزداد تداولها في شبكات التواصل الاجتماعي .

إن كثرة وتكرار مشاهدة أنواع الصراع والعنف تؤدي إلى تطبيع النفس الإنسانية - التي تأنف وترفض مشاهد العنف بطبيعتها الفطرية السوية-تطبيعها على اللامبالاة، وتبلد الإحساس، وعدم تحرك المشاعر لمناظر القتل والدماء والعنف والدمار، وفي هذا تدمير للجانب الإنساني في البشر، وترويج لقانون الغاب، الذي قد يكون أرحم وأكثر إنسانية مما هو حاصل في عالم البشر.

ومما يزيد الأمر ألما وحسرة، ما نراه من نوعية الألعاب التي تقدم لأطفالنا في (الأعياد والأعراس) والتي في غالبيتها تنزع إلى العنف، وتوحي بالصراع والقتال، فمن ألعاب المفرقعات الصغيرة والكبيرة، وأحيانا الذخيرة الحية، التي تقلق راحتنا في المناسبات، إلى الألعاب التي تمثل كل أنواع وأشكال الأسلحة المستخدمة في عالم الكبار المتوحش، مع ملاحظة أن تجارة ألعاب الأطفال التي توحي بالعنف والقتال في رواج وازدهار وازدياد، مع تشجيع من المجتمع، ووصف لمن يمارسها بالشجاعة والبطولة والرجالة .

وبناء على ما سبق فهل يمكن القول: أن التطرف المؤدي إلى نوع من الصراع والعنف جزء من التراث الجيني للإنسان، خاصة والوقائع على الأرض تشير إلى هذا، وأن إمساكنا

بنصاب التوسط والاعتدال والسلمية دائما ضعيف، وأن العالم يسير وفقا للنظرية الروسية الشهيرة: ما لا تستطيع إنجازه بالعنف، تستطيع إنجازه بعنف أكبر!!.

وخلاصة لما سبق، يمكن التأكيد على: أن حالة الصراع والعنف والتطرف فيها، تبدأ كحالة فكرية وشعورية، تتغذى على ما تشاهد وتسمع وتراقب، ثم تنتقل إلى الجانب السلوكي في الصراع والعنف، وأعتقد أن الحالة الفكرية هي الأساس، لأن الفكر هو دليل السلوك، ومصدر تسويغه والبرهنة على مشروعيته، وحين تنتشر الفظائع لا يبقى شيء مقدس أو محرم، وهذا في الحقيقة هو أسوأ ما يحدثه الصراع والعنف من تخريب في البيئة الأخلاقية للمجتمع. وقد يشوه إدراك جيل جديد إذا طال أمده، كما قال د. بكار.

أخيرا، مع أننا ندرك إلى أين يقودنا الترويج للصراع والعنف، ولكننا مع ذلك مصرين على أن نذهب -وبسرعة أيضا -إلى حيث يقودنا هذا المصير المشؤوم.

الأنانية القاتلة ...مصلحتي أولاً وأخيراً

المصلحة هي ما يشعر الإنسان أنها تجلب له نفعا، أو تدفع عنه ضرا. وليس هناك خلاف في أن يحرص الإنسان على مصلحته الخاصة، فقد فطر الله الناس على الحرص على رعاية مصالحهم وصيانتها بكل أسلوب ممكن، ولكن هناك نقطتان يجب التنبه لهما في هذا الإطار:

الأولى: أن تكون هذه المصلحة خاصة بهذا الشخص وليست على حساب مصالح آخرين.

الثانية: أن يسمي هذه المصلحة باسمها فيقول هذه (مصلحتي)، وألا يسميها بأي مسمى آخر، أو يغلفها بمسميات أخرى (المصلحة العامة) حتى لا يخدع الآخرين.

والحقيقة الماثلة للعيان أن هناك الكثير من الأشياء والمصالح تسمى بغير اسمها، وعند الإنسان في هذا العصر مهارة عجيبة للتلاعب بالألفاظ، أكثر بكثير مما يملكه من يقظة الضمير وقوة الأخلاق.

وكم من المرات قرأنا وسمعنا عبارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، وتخفي وراءها الأنانية والجشع، مثل: (لما فيه المصلحة العامة) أو (نظرا لما تقتضيه المصلحة العامة)، وكثيرا ما يختفي خلف هذه العبارات مصالح شخصية لم يتم الإفصاح عنها، وغلفت بغلاف المصلحة العامة لتمريرها.

وكثيرون هم، من يسمون الأشياء بغير مسمياتها، لكي يصلوا من خلالها إلى مصالحهم الخاصة، على حساب المصلحة العامة، أو على حساب مصالح أناس آخرين، وقد يكون هؤلاء الذين يسمون الأمور بغير أسمائها قادة أو زعماء أو أحزاب أو تنظيمات أو جماعات أو أصحاب نفوذ، وكثيرا ما يتردد على ألسنتهم وفي خطاباتهم وتوجيهاتهم عبارات مثل (مصلحة الوطن) (مصلحة الأمة) (مصلحة الإسلام والمسلمين) (مصلحة الشعب) (مصلحة الشباب) (مصلحة المرأة) (مصلحة الأجيال القادمة) وأشباه هذه العبارات. والغالب في هذه العبارات أنها تستخدم كشعارات براقة تخدع بها الشعوب، وهي في حقيقتها شعارات زائفة

تخفي وراءها مصالح شخصية وحزبية وقبلية وفئوية و....لا غير ولا سوى، وقليلون بل ونادرون من يصدقون في تجسيد هذه العبارات على أرض الواقع.

والمصالح مترابطة مع بعضها، فالمصلحة الخاصة مرتبطة بالمصلحة العامة، وأي تفريط في المصلحة العامة معناه التفريط بالمصالح الخاصة. ومن يظن أن مصلحته الخاصة ستدوم، في حال تفريطه بمصالح الآخرين (المصلحة العامة) فهو واهم، فالتفريط بهذه هو تفريط بتلك طال الزمان أو قصر (والواقع خير شاهد)، وبالمقابل فإن من يراعي مصالح الآخرين (المصلحة العامة)، فإنه في نفس الوقت يُؤمِّن مصلحته الخاصة، وفي هذه الحال يكسب الجميع، وفي حال التفريط يخسر الجميع، وهذا ما فهمه الغرب، وغاب عنا لأنانيتنا، فضاعت مصالحنا الخاصة عندما ضيعنا المصلحة العامة، ومعها ضاعت الأشياء الجميلة من حياتنا .

والناس -كل الناس-يبذلون جهدا مضاعفا في سبيل تحقيق مصالحهم ونيل مرغوباتهم في إطار مبادئهم وأخلاقهم، ولكن هيهات، فمن أراد أن يجمع بين بلوغ الحد الأقصى لمصالحه مع الوفاء الكامل لمبادئه وقيمه، فإنه واهم أيضا، لأنه يحاول الجمع بين ضدين .

وإذا تأملت أخي القارئ في الشأن العام لأصحاب الثروات الكبيرة، وجدت أن أكثرهم ضعيف الحساسية تجاه المحرمات والشبه التي تكتنف مسألة جمع المال وتعظيم الثروة. ولأن صوت المصالح الشخصية يسمع دائما على نحو أوضح من صوت المبادئ، فعلينا أن نرفع شعارا يقول :" نخدم مصالحنا في إطار واجباتنا ومبادئنا أيضا ."

لنحاول فربما ننجح ونكسب (جميعا) مصالحنا الخاصة ومعها المصلحة العامة، ونقوم بواجباتنا الأخلاقية، ونحافظ على كلا المصلحتين.

التدين الزائف ... رؤى نقدية حادة

يقول الأديب والمؤرخ المصري (أحمد أمين متوفى 1954): هل تعرف الفرق بين الحرير الطبيعي والحرير الصناعي، وبين الأسد وصورة الأسد، وبين النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة ...؟ إن عرفت ذلك عرفت الفرق بين التدين الحقيقي والتدين الصناعي. إن هناك فرقا واضحاً بين من يحمل الدين برأسه (عقله) أو بقلبه ومن يحمله برأسه وقلبه معاً، وهناك فرق بين من يكثر الكلام في الدين ومن يكثر العمل به، ويمكننا القول أن هناك فرقا بين المتدين الفارغ الذي يجوب الأسواق ويقلِّب صفحات النت، ويدمن على شبكات التواصل الاجتماعي، والمتدين صاحب المشروع الذي يعمل من أجله، شتان بين الرجلين. والتدين الفاسد. كما يذكر (الشيخ/ محمد الغزالي) . قد يكون أشد ضررا من فراغ القلب, وغفلته، وذاك سر ما ورد من أن النار أسرع إلى فسقة القراء منها إلى عبدة الأوثان. وقد مزَّق الله شمل المتدينين من بنى إسرائيل قديما وسلط عليهم عباد الأوثان, لأن التدين الفاسد ليس جديرا بالنصر! على أن الأيام دول, وعندما يُصلح المسلمون شؤونهم يقترب منهم النصر البعيد. والتدين الجاهل يحسب التخفف في الدنيا أمارة على التقدم فى الآخر. وهذا فهم منكر! فإن الدخول إلى الإيمان يكون من باب العلم الحاذق، لا من باب القصور البليد. وإذا ذكر التدين سبق إلى الأذهان الزهد في الدنيا والبعد عنها، والحق أن التدين المعزول عن الدنيا أو العاجز فيها لا خير فيه، ولا جدوى منه. وقد قال أحد حكماء العرب وقد سمع وصايا (أواخر سورة الأنعام(: لو لم يكن هذا دينا لكان في خلق الناس حسنا ...إن التدين الفاسد يعتمد على مسالك "غبية "موهما أنها مسالك "غيبية".

والتدين في إحدى مظاهرة، يشكل حالة سطحية لدى العامة، حيث يتحول الدين إلى طقوس وأعياد ومناسبات، كأن يصبح رمضان شهر المطاعم والملاهي والتسوق والشراء، ويصبح الحج موسما للتجارة والنزهة والإيجار والاستئجار. ولا شك أن هذا اللون من التدين يرعاه الظلمة، ويشجعه سدنة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي، ويروجون له، ويعتبرونه معيارا للتدين السليم، ويصورون ما وراءه من المجاهدة والمدافعة، نوعا من

المغالاة، واستغلالا للدين وتسييسا له. وفي هذا السياق يوجه (أندريه مارسيد) نقدا إلى عبارة ماركس "الدين أفيون الشعوب" ويرى أن أفيون الشعوب هو الدين المذنب وليس الدين الحقيقي، والدين المذنب هو الدين المشبع بالخرافة، والخرافة بالنسبة إلى الدين مثل الأيديولوجية بالنسبة إلى الفلسفة، والقيادات الشريرة تروج للخرافة في مجال الدين وللأيديولوجية في مجال الفلسفة. وقد نبه على ذلك الشاعر (عبد الله الحامد) بأسلوب أدبي لطيف، فقال:

وتحفيظٌ لقرآنٍ ... وويل للذي فسَّرْ ... وإدغامٌ وإخفاءٌ ... وويل للذي أظهر.

تأمَّل هذا المقطع ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الذي يتكرر أكثر من خمسين مرة في القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (البقرة: ٨٢). إنها تتكرر بصيغتها أو معناها في القرآن أكثر من خمسين مرة، كأنما تؤكد لنا ضرورة توحيد أمرين اعتاد الناس على الفصل بينهما. إن هذه الآية تعبّر عن الفرق بين الدين (الإيمان) وبين الأخلاق (عملُ الصالحات) كما تأمر في الوقت نفسه بضرورة أن يسير الاثنان معًا. كذلك يكشف لنا القرآن عن علاقة أخرى عكسية بين الأخلاق والدين، فيوجه نظرنا إلى أن الممارسة الأخلاقية قد تكون حافزًا قويًا على التدين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٢).فمعنى الآية هنا لا يقول: «آمن لتصبح خيّرًا» وإنما على العكس يقول: «افعل الخير تصبح مؤمنًا». وفي هذه النقطة نرى إجابة على سؤال: كيف يمكن للإنسان أن يقوّي إيمانه؟ والإجابة هي: «افعل الخير تجد الله أمامك». (علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب).

إن الأمية ليست مشكلة ثقافية فحسب، كما يقول (د. عبد الكريم بكار)، وإنما هي مشكلة دينية أيضا، حيث أن فهم الإسلام بما هو بنية حضارية راقية، لا يتأتَّى على النحو المطلوب لمن لم يُؤتَ حظاً من المعرفة، حيث يصبح التدين شكليا وهامشيا، وحيث يتم

إدراك مرامي الإسلام وأهدافه بطريقة سوقية مبتذلة. ولذلك يجب أن يرافق التدين وعي، وإلا أصبح هوسا وتعصبا مرعبا. والتدين الذي لا تصاحبه تربية سياسية وحِذقٌ لنظرياتها، ومعرفة بتياراتها ودروبها وفنونها، قد يثمر غفلة، إن ناسبت بعض طيبي القلوب، فإنها لا تناسب الذين يتحملون مسؤوليات مصائر الأمم في هذه الميادين. كما يؤكد ذلك (د. محمد عمارة). ولهذا نحن لا نحتاج للعودة إلى الدين، ولكن نحتاج اللحاق به.

إن جذور الإشكالية في سقوطنا الحضاري تكمن في ذهاب الروح الحقيقية للدين في أروقة التاريخ وعقده، ومن ثم مسخة وتشويهه وتحويله . لا تحوُّله . إلى آخر يمارس على أنه الدين الإسلامي. وسنورد ثلاث نماذج نقدية شديدة الوقع والتأثير على العقول والنفوس، نأمل أن تُفهم في سياقها، وأن يؤخذ في الاعتبار مكانة قائليها سواء اتفقنا معهم أم اختلفنا، وقد يكون في ألفاظهم قسوة وشدة، ولكنها قسوة وشدة المحب المشفق.

وأول هذه النماذج هو وصف المفكر والفيلسوف الإسلامي (محمد إقبال) لواقعنا المؤلم وما آلت إليه الأمة، في أنشودته المتألِّمة بصراحة لاذعة: " إن كعبتنا عامرة بأصنامنا، وإن الكفر ليضحك من إسلامنا، وإن شيخنا قامر بالإسلام في عشق الأصنام، واتخذ خيط مسبحته من الزنار. وهو في سفر دائم مع مريديه، وفي غفلة عن حاجات أمته. الوعاظ والصوفية عبدوا المناصب، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء: واعظنا إلى بيت الصنم ناظر، ومفتينا بالفتوى يتاجر".

والنموذج الثاني نورده للإمام (محمد عبده) الذي كان يخاطب رئيس الهيئة التدريسية في جامعة الأزهر (البحيري آنذاك)، بعد رفض الثاني إصلاح الأزهر في مناهجه المعرفية محتجا، أن نفس هذه المناهج جعلت (محمد عبده) عَلمَا فردا. لكن الإمام محمد عبده أجابه بسرعة: " إن كان لي نصيب من العلم فإني لم أحصِّله إلا بعد أن مكثت عشر سنين، أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد من النظافة" (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق د: محمد عمارة، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1980، ص178).

وآخر هذه النماذج هو حادثة أوردها المفكر الجزائري (مالك بن نبي في كتابة العفن، ص156) تكاد تكون شبيهة بسابقتها،"عن الشيخ الموقر (العربي السبسي) عندما اختلف بن نبي ووالده على إيواء يتيم مشرد، فقال السبسي عن مالك: إن مالكا ابن ملعون لوالده. ومن يومها، أصبحت (كما يقول بن نبي) استفظع ثقافة الأزهر والزيتونة التي تقتل الضمائر والأرواح واعتبرها أسوأ كارثة يمكن أن تهدد العالم الإسلامي. وحتى يعيش الإسلام أو يبعث من جديد في الضمائر، يجب تخليصه مما يسمى اليوم "الثقافة الإسلامية" . حسب الرؤية السبسية طبعا. هذه الثقافة التي تلوث الأرواح وتذل الطبائع وتضعف الضمائر وتُخنِّث الفضائل".

فمتى سنعرف أن الدين ليس لحية ولا مسبحة ولا عمامة، ولا حفظ لآيات وأحاديث لا نطبقها، ولا خرافات ولا كهنوت ولا مناطقية ولا عنصرية ولا طائفية، ففي الدين الإسلامي لا فرق بين أبيض ولا أسود إلا بالتقوى. وإنما فيه أن المعاملة بين الناس واجبات وحقوق، تسامح وتراحم، إحسان ورفق ومودة، علم وعمل ومثابرة وجد واجتهاد.

التربية والتعليم ... طريق إجباري للنهوض الحضاري

التربية والتعليم مشروع عظيم، ولها من التأثير على مصير الإنسان ما يدعو إلى عدم الاقتصار على دراسة بنياتها ووسائلها التطبيقية وطرائقها، بل من الواجب أن نتعمق، ونعيد النظر في دراسة جوهر التربية، وعلاقتها بالإنسان، ومآلها، وتفاعلها مع البيئة، لأنها من جهة وليدة المجتمع، ومن جهة أخرى، عنصر يؤثر في المجتمع. ثم ألم يحن الوقت بعد كما ذكر (إيدجار فور وآخرون، في كتاب تعلم لتكون) لرسم أهداف أخرى للتربية؟ أهداف من النوع الآتي: تعلَّم كيف تعيش، تعلَّم كيف تتعلم حتى تكتسب دائماً معلومات جديدة طوال حياتك، تعلَّم كيف تفكر بطريقة حرة، وكيف تنقد نقداً بناءً، تعلَّم كيف تحب العالم وكيف تجعله عالماً تسوده الرحمة، تعلَّم كيف تنمي مواهبك عن طريق العمل المبدع.

والحقيقة أن الديمقراطية وتكافؤ الفرص في مجال التربية والتعليم لا تتحقق عن طريق الإكثار من المدارس والمعاهد والجامعات وحدها، أوعن طريق تسهيل الانخراط في مختلف مراحل التعليم، أو إطالة مدة الدراسة. فالاقتصار على هذه الأمور معناه إهمال الحلول الأخرى التي من شأنها أن تمكِّن الفرد من تنمية قابلياته، وأن تأخذ بيده لتحقيق مصيره.

والتربية كما يشير إلى ذلك (د. يزيد السورطي) " نبت لا يصلح إلا في بيئته، ولا ينمو إلا من سقي أهله، ولا قيمة له إذا فقد جذوره الأصلية"، وإلا فما الفوائد المتوخاة من تطبيق النظريات التربوية الغربية . والأمريكية بوجه خاص . في كليات أو دوائر وأقسام التربية في جامعاتنا، وأحيانا في بعض وزارات التربية والتعليم؟ وما الفوائد التي أفادها نظامنا التربوي من جميع الدراسات والرسائل العلمية التي أقيمت حول التطبيق المفروض بتعسف لهذه النظريات في مدارسنا، وعلى أبنائنا الطلاب، وزملائنا المعلمين.

لقد أصبح الفقر التربوي في (المثل الأعلى) مرضاً مزمنا في الواقع العربي كما أكَّد ذلك (د. ماجد الكيلاني)، وزاد في استعصاء هذا الفقر وزيادة مضاعفاته، النفاق الثقافي

والتربوي الذي صنع . وما زال يصنع-من القيادات والولاءات العصبية مثلاً أعلى للناشئة في الأقطار والأقاليم العربية والإسلامية. وزاد في فقر المثل الأعلى التناقض الحاد بين التنظير والتطبيق والسياسات المزدوجة التي يمارسها وزراء التربية والتعليم ومساعدوهم، فهم في اللقاءات التي يعقدونها والاتفاقيات التي يتوصلون إليها تحت مظلة المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، وفي الإصدارات الرسمية واللوائح القانونية وكراريس السياسات التعليمية يملأون المجلدات عن ضرورة تركيز أهداف التربية على تنمية الولاء للوحدة العربية والتراث الإسلامي والقيم الثقافية الأصيلة، ولكنهم في ميدان التطبيق يملأون الكتب المدرسية ويوجهون النشاطات التربوية لتعزيز عبادة الفرد الحاكم، والولاء الإقليمي، وتمرير المشورات الأجنبية في النيل من الثقافة والتربية والتعليم. كذلك أسهمت المؤسسات التربوية الأجنبية من المدارس الخاصة والجامعات في تغريب الناشئة ودفعهم إلى تبني (مثل سوء) مستوردة من الفلسفات والأيديولوجيات التي تقاسمت ولاءات الناشئة العرب والمسلمين وجعلتهم (شيعاً وأحزاباً) متباغضة مضت في تناحرها إلى المدى الذي جعلها تقاتل بعضها بعضاً وتستنزف الطاقات وتهدر الموارد البشرية والمادية.

وكانت محصلة ذلك كله أن صار (المثل الأعلى) عند الإنسان العربي المسلم من الناحية الواقعية (دوران حول الذات) وقليلون هم الذين يدورون حول قيمهم ومبادئهم وباسم أممهم، ليصبح هذا الدوران الفردي حول الذات سبيلاً إلى تحسين الحالة المادية للفرد الواحد تحت أي لواء، وفي أي بلد تمنحه جنسيتها وتقبله مهاجراً إليها. وربما تكون السمة الأسوأ للعالم الإسلامي المعاصر هي إفلاسه في حقل التربية والتعليم. فلا توجد بأي بلد إسلامي مؤسسة واحدة تحتضن الطفل المسلم من سن الخامسة وترعاه إلى أن تسلمه للأمة وقد استوت قابلياته الكامنة على سوقها، كما قال د. إسماعيل الفاروقي.

ولأن عقل المثقف كما وضَّح ذلك (محمود شاكر في تقديمه لكتاب مالك بن نبي الظاهرة القرآنية) يتكون يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة، وهو يتقبَّل بالتربية والتعليم والاجتماع، أشياء يتكيف عليها بالإلف الطويل وبالعرض المتواصل، وبالمكر الخفي،

وبالجدل المضلل، وبالمراد المتلون، وبالهوى المتغلب، وبضروب مختلفة من الكيد الذي يعمل في تحطيم البناء القائم، لكي يقيم العدو على أنقاضه بناء كالذي يريد ويرجو. لقد أصبحت ثمرات هذا التسطيح ما هو قائم ـ الآن-في معاهد التربية والتعليم حيث توجد أفواج من الدارسين والمدرسين الذين يتعصبون للإسلام والتراث الإسلامي دون أن يقرأوه، ويهاجمون الفلسفات والعلوم الأخرى غير الإسلامية دون أن يقرأوا مصدراً واحداً من مصادرها الأصلية.

إن الأزمة في حقيقتها حسب وجهة نظر (الشيخ راشد الغنوشي) ليست أزمة نقص في التعليم وضعف في وسائله وإمكانياته، بقدر ماهي أزمة انحلال شخصيتنا الحضارية. إنها أزمة فقدان النموذج الحضاري، إنها فقدان الديمقراطية، بل الأساس الثقافي الأصيل الذي تبنى عليه المدرسة والمعهد والجامعة وسائر مؤسسات المجتمع. ذلك أن الدول المتخلفة على الرغم من الجهود الطائلة التي تبذلها في مجال التربية والتعليم إلا أن المشرفين فيها على حظوظ التربية في مستوى التشريع والتنفيذ، من خبراء في وضع البرامج، ومن أساتذة ومديرين، ليسوا على بيِّنة من ملامح وسمات النموذج الثقافي الحضاري للإنسان الذي يريدون لتلك البرامج أن تصنعه. ومثلهم كمثل البنائين الذين يكدسون أطنان الحجارة والأسمنت والماء والحديد... وينتظرون أن ينتج لهم قصرا. وفي الحقيقة أن كل قصر يتألف من المواد التي كدسوها، ولكن غاب عن هؤلاء السذج أن الأجزاء لا قيمة لها إلا ضمن الكل، ضمن مخطط عام وروح عامة تسري في الكيان، وذلك هو الغائب.

إن مشكلة التربية في بلادنا هي غياب (فلسفة للتربية) منبثقة من ثقافتنا، وقدوة تجسدها، مما يجعل العمل التربوي أقرب إلى التكديس، تكديس المعلومات منه إلى عملية البناء. كما أن التنسيق بين العلوم أصبح اليوم شرطا ضروريا لإثراء نظرية التربية وهذا الاثراء في حد ذاته أمر لا يمكن الاستغناء عنه.

إن بعض الجوانب من التربية والتعليم لا تزال تشكو من شيء من الإهمال والتفريط، مما أدى إلى ظهور عيوب فيها، واختلالات في توازن برامجها الدراسية وتعد هذه العيوب

والاختلالات من أخطر الأمراض التي تعاني منها التربية، وتوجهها وجهة غير صالحة. ومن جهة أخرى، فإن الفصل بين مقومات التربية: العقلية منها، والبدنية، والفنية، والأخلاقية، والاجتماعية، يُعدُّ قرينة تدل على الاستهانة بشخصية الفرد، ومسخها وتشويهها. فالقدرات الهائلة التي زود الله بها بني آدم يقتلها الناس من خلال التربية والتعليم والوسط المحيط. وتدل بعض الدراسات على أن الطفل يولد وهو على درجة عالية من القدرة على الإبداع، وأن الأطفال حين تكون أعمارهم بين سنتين وأربع سنوات يكون 95% منهم إبداعيين ومجددين، وإمكاناتهم في ارتقاء ولديهم قدرة على التجريد والتخيل النشط.

إن المشاريع الاقتصادية النهضوية الكبرى مقترنة دائماً بانتشار التربية والتعليم. وهذا ما تؤكده الوقائع الحالية، إذ لوحظ أن احتياجات التنمية الاقتصادية وظهور إمكانيات جديدة للشغل، من أقوى لحوافز لازدهار التربية ونموها. ومن هنا ندرك لماذا أصبحنا نشعر بضرورة ملاءمة التربية لاحتياجات المجتمع ومتطلباته الاقتصادية من جهة، ولرغبات المتعلمين وقابلياتهم من جهة أخرى.

على الرغم من أن الجهود من أجل التلاؤم، ومن أجل مسايرة التطور، شاقة ومرهقة. فتجديد التربية والتعليم ليس بمثابة تجديد أثاث منزل أو ترميم بناء، إنه تجديد في ذهنية القائمين على التعليم، وتجديد في عزائمهم، وتجديد في المواقف التي تتخذها الأسرة والمجتمع والدولة من التعليم. وهذه الأمور تستغرق وقتاً طويلاً، وقد تستغرق عمر جيل بأكمله.

السياسة والحب التقاء وافتراق

أورد المؤرخ (ديورانت) حواراً مُوجِباً للعبرة حول السياسة، دار بين (كونفوشيوس) وأحد أتباعه ويدعى (تسي كوغ)؛ الذي كان يسأل أستاذه عن السلطة. فأجابه (كونفوشيوس) قائلاً: على السياسة أن تؤمِّن أشياء ثلاثة:

لقمة العيش الكافية لكل فرد.

القدر الكافي من التجهيزات العسكرية

القدر الكافي من ثقة الناس بحكَّامهم.

سأل (تسي كوغ): وإذا كان لا بد من الاستغناء عن أحد هذه الأشياء الثلاثة فبأيِّها نضحِّي؟ أجاب الفيلسوف: بالتجهيزات العسكرية. سأل (تسي كونغ): وإذا كان لا بد أن نستغني عن أحد الشيئين الباقيين فبأيهما نضحِّي؟ أجاب الفيلسوف: في هذه الحالة نستغني عن القوت؛ لأن الموت كان دائماً هو مصير الناس، ولكنهم إذا فقدوا الثقة لم يبق أيُّ أساس للدولة.

والحب في الإسلام كما فهمه -مالكوم إكس -يعد مفهوما شاملا داخل مؤسسة الزواج يقوم على الثقة أيضا، بينما هو في المفهوم الغربي شبق وسعار. الحب بالمفهوم الإسلامي نزعة وسلوك وموقف، وأفكار وميل، ومودة ورحمة، وكل هذه الأشياء التي تتعدى الماديات وتعتبر ركائز للجمال الحقيقي، الجمال الأبدي.

إن الزواج . كما يقول د. إسماعيل الفاروقي . ينشئ شبكة واسعة من العلاقات الإنسانية يدور حولها جزء كبير من الفعل الأخلاقي. وعائل الأسرة هو المسؤول الأول تجاه أفراد أسرته، عن واجبات الإنجاب والحب والتراحم والشورى والتوجيه والتربية والتعاون والمودة. وليس الزواج كما يعرفه (ماركس) بأنه "علاقة اقتصادية مفعمة بالحب". وكذا السياسة تنشئ علاقات بين الدول تقوم على المصالح المشتركة، ونادرا ما تُبنى على المبادئ، وهو ما حذَّر منه (غاندي) عندما تحدَّث عن حضارة العصر التي ارتكبت خطايا جعلت: " السياسة بلا مبادئ، والتجارة بلا أخلاق، والثروة بلا عمل، والتعليم بلا تربية، والعلم بلا

ضمير، والعبادة بلا تضحية. ومما يؤسف له أن العلاقات الاجتماعية . في عصرنا الحالي . قد أصابها بعض التبدل، حيث أضحت تقوم على نحو متصاعد على تبادل المنافع، وليس على الحب والتقدير والوفاء والتناغم الخلقي والروحي.

إن الحب في الزواج يتسم بنوع من الاستمرار، وهو بعكس الحاصل في السياسة، التي طابعها التقلُّب مع المصلحة، فصديق اليوم قد يكون عدو الغد، وعدو اليوم قد يكون صديق الغد، والحب الحقيقي هو أن يقبل الواحد الآخر، ويعرف أن محاسنه مرتبطة تمام الارتباط بمثالبه. وهي تجربة ساقها لنا (الدكتور عبدالوهاب المسيري) من حياته الخاصة، في إمكانية (تعدد الزيجات من الزوجة نفسها)، فالحياة تتغير والإنسان يتغير، وبمرور الزمن تتغير وظائفنا وأماكن إقامتنا وحالتنا الصحية والنفسية، ولا بد أن يدرك الزوجان ذلك، وأن يدركا أن علاقتهما تحتاج إلى إعادة تفاوض من آن لآخر بخصوص العقد الصامت بينهما، وأنه لا بد من إعادة صياغته بكل بنوده وأولوياته والذي يشكل أساس أي علاقة زوجية.

إن تنمية العلاقات الزوجية (الحب) -كالسياسة -هي دائما فن الممكن. والذي يعني في السياسة فن إدارة الشأن العام، أي فن الموازنة بين المصالح والمفاسد، وهي أيضاً فن تكثير الأصدقاء وتقليل الأعداء، وهي كذلك في العلاقة الزوجية فن إدارة الأسرة، ومحاولة تقليل السلبيات (المفاسد)، وتعزيز الإيجابيات (المصالح)، وهذا ما يجب أن يدركه الزوجان، وأن المزايا عند أحدهما ليست منفصلة عن عيوبه، فالعيوب مرتبطة تمام الارتباط بالمزايا، وأن النضج الحقيقي أن يحب الإنسان الآخر بمجموعه، بكل مزاياه وعيوبه، وألا يحاول أن يحكم عليه من خلال صور نمطية مسبقة، وهذا لا يعني أن يتقبل المرء الآخر دون محاولة الإصلاح والتقويم، وهذا هو فن الممكن في العلاقات الزوجية.

كما نلاحظ أيضا أن مجال (السياسة) مباين لمجال (الحب) في جوانب وموافق له في جوانب أخرى، فالسياسة مركز للتوازنات، والتحالفات والتنازلات والمناورات، على حين أن الحب هو مجال للتوازنات والتنازلات أيضا، مضافا إلى ذلك الاحترام والتقدير والرعاية

والمسؤولية، وليس فيه مكان للمناورات والتحالفات التي تعتبر من صميم السياسة. وفي السياسة كثيرا ما نجد أنفسنا في وضعية نفاضل فيها بين السيئ والأسوأ. أما في إطار العلاقات فنلاحظ أن العواطف والأحاسيس تتسم بالفوضى وبالغموض والقليل من العقلانية والمنطقية، فللقلب حين يحب ويبغض ويفرح ويحزن ... أسبابه التي لا تحتاج إلى الموافقة عليها من عقل أو خبرة أو تجربة. والتعليم لا يستطيع أن يكوّن مشاعر الحب والحنين، لأن مثل هذه المشاعر تتكون في سياق التجربة الإنسانية برمتها، فالحب حصيلة أربعة مكونات هي: الرعاية، والشعور بالمسؤولية، والاحترام، والمعرفة.

وهكذا نصل إلى استنتاج جد غريب في السيكولوجية السياسية . كما هو في الحب . (ذكرها المفكر مالك بن نبي)، وهو أن السياسة العاطفية لا تجد مسوغاتها في كسبها ولكن في خسارتها: فكلما تقطعت أنفاس الثور، ونزف دمه في حلبة الصراع، ازداد هجومه على المنديل الأحمر. ولذا تختلف رؤية المحب من شخص لآخر. سياسيا أو زوجا . وهو ما وضحه (توماس جيفرسون) معلم الثورة الأمريكية، وثالث رئيس للولايات المتحدة حين قال لـ (آدمز):" إن كلا منا يحب الشعب، ويعمل على إسعاده، ولكنك تحبه كما لوكان (رضيعاً)، تخشى أن تتركه بلا حاضنة، في حين أني أحبه كما لو كان (راشدا)، يستطيع أن يتولى أمر نفسه بنفسه حرا".

والسياسة التي لا تحدِّث الشعب عن واجباته، وتكتفي بأن تضرب له على نغمة حقوقه، ليست سياسة، وإنما هي (خرافة). وأن السياسة الحقيقية التي تغير وجه الأشياء ووضع الشعب، ليست في المطالبة بحق، ولكنها في القيام بالواجب. وهنا تتفق العلاقات الجيدة (الحب) مع السياسة الجيدة في كونهما يقومان على الواجب قبل قيامهما على الحق، وأن دوام العلاقة هنا أو هناك تقوم على رفع شعار (البداية من عندي).

إن رسالة الحب غير المشروط التي تختلف تماما عن رسالة السياسة هي قول الحبيب لمن يحب: أحبك لأنك زوجي، ابني، ... أحبك مهما فعلت. أحبك مهما كنت.

العبادة.... روحٌ وشكلٌ وثمار

يَعْتَبِرُ (د. إسماعيل الفاروقي) الاصطلاح الذي يُسمِّي (الشعائر) الإسلامية بالعبادات خاطئا ومرفوضا. فالعبادة في الإسلام ليست الشعائر فقط، ويمكن اعتبار الشعائر كلها هي الحد الأدنى للتعبد الإسلامي، إذ الإسلام لا يُقسِّم الحياة إلى دين ودنيا، بل يجمعهما معاً في إطار واحد، هو الإسلام، فحراثة الأرض والإنتاج في المصنع أو المكتب عبادة، والحمل وتربية النسل والعناية بالبيت عبادة، والجهاد في سبيل الله، والترفيه عن النفس المرهقة عبادة، والتفقه في الدين والكيمياء والفيزياء عبادة، حتى كأن العمل في الإسلام هو عبادة يمكن أن تختصر من أجله العبادة (الشعائر). بل إن العمل الذي يُعتبر ركيزة التنمية المستدامة في جميع المجالات هو قرين العبادة، بل هو عبادة، يُؤجر المرء عليها . إن صحت نيته . ويسد بها للمسلمين ثغرة هم في أمسِّ الحاجة إلى من يرابط فيها.

ويصرُّ الإسلام على أن الإنسان يصنع تاريخه بيده. فـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المدثر: ٣٨). أي (عملت) رهينة، وأن التغيير يبدأ من الإنسان ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأنفال: ٥٣) ، وأن الإنسان إذا عمل فإن الله يرى عمله ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (التوبة: ١٠٥)،كما يقول لنا الإسلام أيضا، إن الصلاة تدفع إلى المعروف وتنهى عن المنكر، وإن رمضان هو شهر البركات، وإن الزكاة خيرٌ محضٌ مادياً ومعنوياً، أي فلاح لمن تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بمعنى أنه لا بد للعمل الجاد من أن يؤتي ثماره المرجوّة. فالحياة ليست عبثا والأرض ليست شرا. والله جلت قدرته قد وضع في الإنسان من المواهب والقدرات ما يضمن له تحويل ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون. وبالتالي، فإن إتقان الشخص لعمله يصبح شكلا من أشكال العبادة وفريضة دينية، من السهل تحقيقها من خلال الالتزام بالإيمان وقناعاته.

وهي نفس المعاني التي توصَّل لها المفكر النمساوي المسلم (محمد أسد) من خلال تأمُّله لمغزى العبادة في الإسلام، إذ وجد أنها نظامٌ بديعٌ مركَّبٌ من التزكية الروحية والتنظيم الاجتماعي: " إن الفكرة الإسلامية في العبادة لا تشمل الصلوات فحسب، بل تشمل الحياة كلها. أما هدفها فهو جمع ذاتنا الروحية وذاتنا المادية في كلٍ واحد". وكان يستغرب من سلوك بعض المسلمين في علاقتهم بالعبادات، وذكر مثالا على ذلك في كتابه (الطريق إلى مكة)، واصفا شخصا كبيرا وحاكما متصرفا في سلطانه، حيث قال عنه: "إنه متواضع، ذو همة كبيرة على العمل، ولكنه في الوقت نفسه ينهمك ويسمح لمن حوله بالانهماك في المتارف المسرفة، إنه متدين جدا، ويُنفِّذ بالحرف كل الأوامر والنواهي الشكلية في الشريعة الإسلامية، ولكنه كان نادرا ما يعطي اهتماما لجوهر هذه الأوامر وأغراضها، إنه يؤدي فروض الصلاة الخمسة في أوقاتها تماما، ويقضي الساعات الطوال في التهجد، ولكن الظاهر أنه لم يخطر له قط أن الصلاة وسيلة فحسب وليست غاية في حد ذاتها". وهي نتيجة توصَّل إليها الشيخ (محمد الغزالي) من خلال تجاربه مع أصحاب (التديُّن الزائف)، حيث ارتكب أحدهم خطأً معه, ثم عَرَفَ الحق فكَرِه الاعتذار، وتمنى لو لم يعرف هذا الحق!! هذه طباع بعض (الخوارج) قد يكرهون أهل الإيمان، ويتساهلون مع أهل الكفر، وقد علَّق على هذا الموقف بالقول: "إن الفرق بين تديُّن الشكل وتديُّن الموضوع (الجوهر)، هو قسوة القلب أو رقَّته في التعامل مع الآخرين. وبعض الناس فى طباعهم جلافة وقساوة لا تخفيها صور العبادات التي يستسهلون أداءها".

وهو. أيضاً. ما انتهى إليه (محمد إقبال)، حين درس الحضارات والثقافات، وقرر أن الحكم لأيٍ من الحضارات أو الثقافات يكون لها أو عليها، بالنظر إلى "نموذج" الإنسان الذي تنتجه، وهذا ما ذكره الإنجيل للتفريق بين الأنبياء ومدَّعي النبوة حين قال: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يمكن أن تجني من الحَسَك تيناً، ومن الشوك عنباً».

ومعظم الشعائر والعبادات الإسلامية لها روحٌ وشكلٌ وثمار، فروحها(الإخلاص) وشكلها (المتابعة) وثمارها (التزكية)، وأي عبادة تغيب عنها هذه الثلاث أو إحداها فهي عبادة فيها نظر، وقد يفارقها القبول. وشكل العبادة لا يغني عن روحها، وشكلها وروحها لا يغنيان عن ثمارها، والكثير منا ربما يهتمُّ بالشرطين الأولين (الروح والشكل) ويُغفل الشرط الثالث وهو (الثمار)، التي تظهر في حياة الإنسان وسلوكه وتعامله مع الإنسان والحيوان والجماد.

والعبادات في الإسلام لا تُعلَّل، كما أكّد ذلك (د. ماجد الكيلاني)، لأن العبادات شأنها شأن أية خبرة نافعة تتألف من حركة وأثر. فإذا انصبَّ الاهتمام على حركات العبادة دون الاجتهاد لإبراز آثارها النفسية والاجتماعية تحوَّلت إلى طقوس وحركات لا روح فيها، وتُمهِّد السبيل للتهاون بها والتحلل من أدائها. كما أن حصر مفهوم العبادة في المظهر الشعائري والفصل بينه وبين المظهر الاجتماعي يُعطِّل رسالة الدين في الإصلاح الاجتماعي، ويُكبِّله عن محاربة الشر، بل يحيله إلى عامل دعم للشرور اليومية الجارية. وهذا هو السبب الذي جعل المترفين في كل جيل ينادون بفصل الدين عن الحياة (العلمانية)، وهو السبب الذي جعل الجماهير المظلومة تنضوي تحت لواء المتنكرين للدين.

إن النظر إلى العاقبة -الذي يؤكد أن الأخلاق علم -هو أسلوب علمي تاريخي تعرض له (برتراند راسل). وذكره (حسين مروة) ذكراً عابراً. إن هذه النظرة العلمية تحسم النزاع بين العقل والنقل، وبها يدرك الإنسان أسرار العبادة، فيما تخلُقَه من نتائج هي خير وأبقى، ومثال ذلك في الحج والصلاة وسواهما من عبادات تخلق الكمال عند الإنسان، والصلابة في المجتمع، وقد أبقت للمسلمين رمق حياة في كيانهم الذي تهدَّم على الصعيد السياسي، ولذلك يجب ألا تُفصَلَ العبادات عن أهدافها ووظائفها. " فالعقيدة تزكي العبادة وتدعم الأخلاق، والعبادة تدعم العقيدة، وتزكي الأخلاق، والأخلاق عنوان العقيدة الصادقة وثمرة العبادة الخالصة"، كما وصفها (د. عبد الحليم أبو شقة). وهي وصية (ابن عبد البر) للعلماء العبَّاد" العالِم على غير عمل كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر

مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا تضروا بالعلم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بسيوفهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم". وهو ما أشار إليه الإمام (الفخر الرازي) في تفسيره بقوله:" الأمر بالعبادة مشروط بحصول المعرفة، كما أن الأمر بالزكاة مشروط بحصول النصاب ".

ولطالما عانى الإنسان من الفصل بين الشَّكل والمضمون والتعامل مع اشتباكهما بحكمة وموضوعية، فالتمدُّن يجعل الإنسان يسعى إلى ظواهر الأشياء وليس إلى جوهرها. وقد قامت في بعض الدول العربية محاولات لإجراء اختبارات جيدة لمن يريد أن يصبح معلما، وتم اقتباس بعض الأساليب الغربية، لكن الذي حصل هو نفسه، ما يحصل معنا كل مرة، وفي كل مجال، وهو التطبيق الشكلي، وهذا هو الداء الذي يفتك بالأمة (داء الشكلية والمظهرية)، حيث تجد تشابهاً بين المظاهر والأشكال لكن لا معاني ولا مضامين، ولا فاعلية، وفي النهاية لا ثمرات ولا نتائج. "إن النفاذ إلى الجوهر نوع من احترام الحقيقة، ونوع من الالتصاق بها"، كما يقول: (د. عبد الكريم بكار). وقد كان للمفكر الفلسطيني (د. منير شفيق) موقف من القائلين أن: المهم هو الجوهر، حتى ولو وقعنا في الأشكال والعادات التي يرتكبها الآخرون، والتي لا علاقة لها بقيمنا وأصالتنا، بمعنى آخر، يمكن أن نفعل ما يفعلون ونحافظ على أخلاقنا، ونتبنَّى عاداتهم ونحافظ على شرفنا، وهكذا، كأنما ثمَّة أسوارٌ عالية بين الشكل والمضمون، ومن ثمَّ يمكن أن نطبق الشكل الذي نريد على المضمون الذي نريد، أو كما قال الشاعر اللبناني (إلياس أبو شبكة)، معبرا عن هذا التوجه المنكوس:

وأشرب الخمر لكن لا أدنسها وأقرب الإثم لكن لست أرتكب.

فهل يصلح هذا قانونا ومبدأ عاما، أم أن الأمور في واقع التجربة سارت على عكس ذلك؟ وفي الطرف المقابل لهؤلاء الذين ذكرهم (شفيق) أناسٌ صار المهم عندهم تحقيق الاجماع الشكلي بقطع النظر عن مضمونه، إذ المطلوب تسهيل الأمور ولو عن طريق التلفيق.

كم نردد كثيراً أن هذه العبادة لا روح فيها، وقد جاء الوقت الذي نردد فيه، هذه العبادة لا ثمار لها. "من ثمارهم تعرفونهم".

العلمانية ليست حلا ... هذا ما يقوله العقلاء

حاول الدكتور المسيري (رحمه الله) أن يشرح لإحدى العلمانيات الفرق بين الإنسانية والعلمانية الشاملة، ولكنها أصرت على أن ما تنادي به هو العلمانية الوحيدة والحقيقية، وأنها مع ذلك تفعل الخير وتؤمن بالقيم الأخلاقية المطلقة. فقال لها ضاحكا: في هذه الحالة ستذهبين للجنة وستذهب أفكارك إلى النار.

العلمانية كما يصفها . د. سعيد إسماعيل علي . تطالب الدين عموما، وفي المقدمة الإسلام بطبيعة الحال بأن يُخلي الميدان لأشكال جديدة من المؤسسات والعلاقات الاجتماعية. كما تزعم العلمانية أن الدين المُنظِّم للمجتمع لم يكن أمرا مريحا، وأن العلمانية هي الأداة المناسبة لنقل الدولة الوطنية في مجالات الأيديولوجيا والقانون والبيروقراطية.

وقد قامت العلمانية، في معظم الأحيان، على مرتكزات سطحية، حيث زعمت أنها تتطابق مع عصر العلم والواقعية والتقدم، بينما اتَّهمت الدين بترويج القيم المضادة لتلك القيم، وهي مزاعم أبعد ما تكون عن الحقيقة. ودعوى العلمانية هذه منافقة في أغلب أحوالها. "فلا يوجد مجتمع يستطيع أن يدعى استبعاد القيم على الإطلاق في تقرير شؤونه، أو أنه يقرر شؤونه بقيم ليست نابعة بالمرة من تراثه الديني" (د. إسماعيل الفاروقي). فالإنسان لا يمكن أن يعيش بلا تراث، وحيث أنه لا بد أن يكون لحياته هدفا ومعنى، عندها تبدأ حالة القلق والتساؤل، ومع هذا الفراغ، يجد الإنسان العربي نفسه مدعو لتقبل التراث الغربي. لكن هذا الأمر يعدُّ مستحيلا، لأنه لا يمكنك أن تصبح الآخر، لأنك مهما حاولت أن تصبح الآخر ستكون باستمرار من الدرجة الثانية.

والحضارة العلمانية في العالم العربي حددت المشروع الحضاري العربي بأنه اللحاق بالغرب، وهذه العملية تستوجب قتل الإبداع فحتى أكون "أنا" "هو" يجب أن نكون (قِرَدة)، ويتحتَّم أن يقودنا متوسطو الذكاء القادرون على التقليد، أما هؤلاء القادرون على الإبداع

فهم خطرون لأنهم قد يقودوننا إلى مسارات خاصة تبعدنا عن المسار الذي تحدده الحضارة العلمانية في العالم العربي، كما سماها الدكتور المسيري.

كما أن المبادئ والعقائد العلمانية كثيرة ومتناقضة، ولا يوجد نظام علماني متفق عليه، أو حتى خطوط عامة، فمن ناحية نظرية وواقعية أصبحت أمتنا بلا دستور، وبلا عقيدة، وبلا نظام، وبلا رؤية، وبلا قوانين. فالعلمانية تستطيع تبرير كثير من الانحرافات، ولهذا استغلها المنحرفون من زنادقة، وظلمة، وأصحاب المصالح، وهذه هي مصيبة العلمانية الكبرى لأن للعدل والحرية والديمقراطية... إلخ معان متناقضة بين علماني وآخر، فالمخلصون ضائعون، والمنحرفون وجدوا فيها المبررات التي يحتاجونها.

وهذا ما جعل . د. المسيري . يؤكد أن (وحدة الوجود) هي مقدمة العلمانية، التي تبدأ بأن تجعل الإنسان مرجعية ذاته، ولعل هذا يفسر لِمَ يهتم كثير من المفكرين العلمانيين بابن عربي والحلاج، وأبي حيان التوحيدي، وجلال الدين الرومي، ويكتبون الدراسات التي تؤكد توجههم الحلولي، ومن الملاحظ أن أعمال ابن عربي وجلال الدين الرومي تترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية، وقد أحرزت هذه الترجمات شيوعا كبيرا، بسبب وجود تربة حلولية خصبة في المجتمعات العلمانية. إن الخطاب العلماني خطاب حلولي هو خطاب يؤلِّه الإنسان، وحينما يؤلِّه الإنسان نفسه فإنه يلغيها. فالإنسان لا يمكن أن يكون إلها ولا يمكن أن يكون حيوانا، يمكن أن يكون إنسانا فحسب، فإن ألَّهته ألغيته. وقد أوصت لجنة حرية الأديان . جاءت من الكونجرس . أوصت بنشر الفكر الصوفي، لأنه يسرِّب طاقة المجتمع الإبداعية والثورية من خلال قنوات فردية، فتجعل كل فرد مشغولا بنفسه، وهذا من أهم سمات الرؤية العلمانية.

العلمانية الشاملة كما فصَّلها د. المسيري، وأفرد لها كتابا من جزئين (العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة) ليست فصلا للدين عن الدولة، بل فصل لكل القيم عن مجمل حياة الإنسان، ونزع للقداسة عنه بحيث يتحول العالم إلى مادة استعمالية يوظفها القويُّ لحسابه، وهو ما يؤدي إلى الحداثة (الداروينية) وتحويل العالم إلى حلبة صراع،

فهي علمانية تنكر إنسانية الإنسان، فيتمرد عليها كل من يهتم بمصير الإنسان في هذه الأرض. العلمانية فصل للقيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن الحياة في جانبيها العام والخاص، ونزعٌ للقداسة عن العالم، بحيث أصبحت كل الأمور نسبية. وهي نفس الرؤية التي صرح بها (بن جوريون) بأن خير مُفسِّر للتوراة هو الجيش الإسرائيلي، فالمسألة علمانية داروينية محضة أولا وأخيرا.

إننا في العالمين العربي والإسلامي وفق الإدراك الغربي مجرد شيء قد يصلح للاستخدام أو الاستعمال، وهذا أحد تعريفات د. المسيري للعلمانية بأنها: "تحويل كل شيء إلى مادة استعمالية". وهو أيضا ما يلاحظه المدرك لطبيعة الاستهلاك، وتسليع كل شيء، و(حَوْسَلة)، أي تحويل كل شيء إلى وسيلة، فعدد الأقواس الصفراء، علامة (ماكدونالد) يفوق عدد الصلبان في العالم الغربي! العلمانية ليست أقوالا ولا أفعالا واضحة أو فاضحة، إنما هي منظومة فلسفية كاملة، تتبدى في مجموعة تفاصيل، وعمليات، وإجراءات، وسلوكيات، قد لا ندرك بشكل مباشر أثرها علينا، وعلى رؤيتنا لأنفسنا ولغيرنا.

إن العلمانية نشأت حين كان الناس يظنون أن العلم يناقض الدين، وأن الدين والإيمان لا يدخل إليهما العلم، فالدين والإيمان فوق العلم عند البعض، وخارج العلم عند قوم آخرين، وضد العلم عند فريق ثالث (جودت سعيد). فالعلماني براجماتي التصور، معبوده مصلحته، فأينما وجدها فثمَّة وجود الإله، وهو ما قاله (جون جونز) بوضوح ودون مواربة، في كتابه في داخل أوربا: "إن الإنجليز يعبدون بنك انجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة". هذا بالفعل هوما غاب عن أذهان العلمانيين والماديين، ومن على شاكلتهم، فقد أضاعوا الأهداف الكبرى جملة، كما عبَّر عن هذا إنشتاين بقوله: " إن حضارتنا تمتلك معدات كاملة، لكن الأهداف الكبرى غامضة".

والعلمانيون كما يقول (الدوبيس): كالفلاسفة في كل زمان ومكان يقرأون كثيرا، ويجادلون كثيرا، ويكتبون كثيرا، ولكنهم لا يتفقون على شيء، والسبب ببساطة هو أنهم لم يصلوا إلى حقائق واضحة يتفقون عليها مع أنهم استخدموا عقولهم كثيراً. وهو ما تناوله

بالنقد (د. نبيل علي) في كتابه (الثقافة العربية وعصر المعلومات) حول حوار العلمانيين والإسلاميين، حيث قال: "حوار العلمانيين والإسلاميين ليس حوارا بالمعنى الصحيح، وفي زعمنا أن هذين التيارين الفكريين يتحاوران (عن بعد)، من خلال الوسيط الغربي، فالإسلامي يتربص برواسب الفكر الغربي في تيارنا العلماني، في حين يستنكر العلماني على تيارنا الإسلامي عدم استيعابه لإنجازات فكر الغرب. وسواء اتفقنا أم اختلفنا مع هذا التوصيف، إلا أن الواقع يقول إن التمترس حاصل بين الفريقين، وإن اختلف في القوة من طرف إلى آخر. والفكر الهزيل . دائما. يحتاج للبطش ليحميه، ومع هذا لم ينفع الاستبداد، فقد سقطت الشيوعية سقوطا خياليا، وفشلت سياسيا وعقائديا واقتصاديا، فالقوة لا تستطيع حماية الجهل العلماني طويلا.

الفكر كالعسل... فيه شفاء للناس

عندما يتحدث القرآن الكريم عن عجائب الكون وخلق الإنسان والطيور والنحل والنمل، فهو يهدف إلى تعزيز الذكاء الطبيعي، وتعزيز التعلم عن طريق المحاكاة بالتنظيم الطبيعي المثالي وبنظام التنظيم الذاتي، وعلى المجتمع (الأمة) أن يحاكي النظام البيئي الطبيعي، لتحقيق حضارة بشرية مستدامة. (د. عودة راشد الجيوسي). والمفكر يشبه في عمله النحلة، التي تطير الأميال الكثيرة، وتقطع المسافات الشاسعة، كي تحط على الكثير من الأزهار والنباتات، وتمتص ما لا يحصى من ألوان وأشكال الرحيق ثم تحيله إلى شراب، فيه شفاء للناس، وذلك الشراب لا يشبه أي شيء مما حطت عليه النحلة.

إذن فهناك جهود كثيرة، ورحلات مكوكية أكثر، يبذلها النحل للحصول على الرحيق الذي يصنع منه العسل، وكذلك الفكر، يحتاج إلى جهود كبيرة وتضحيات أكبر بالجهد والوقت والمال للحصول على الفكر الناضج. كما أن النحل لا يحصل على رحيقه من زهرة واحدة، بل يتنقل بين عدد كبير جداً من الأزهار للحصول على هذا الرحيق، وكذلك الفكر، لا يكفي أن نعتمد فيه على كتاب واحد أو عدة كتب، أو مؤلف واحد أو عدة مؤلفين، بل لا بدّ من التوسع والانفتاح على كل الكتب وعلى كل المؤلفين، للحصول على الفكر العميق الواسع. وكلما كانت الأشجار التي تمتصّ النحلُ رحيقها منها (نوعية)، كلما كان العسل أكثر جودة وفائدة، وكذلك الفكر، كلما كانت الكتب أو المفكرين أو العلماء الذين يُقرأ لهم، أو يُتعلم على أيديهم عظماء، كلما حصلنا على أفكار أكثر رقياً وأصالة.

ومع هذا فإن القراءة المبالغ بها لا تجعل منا أذكياء أو مفكرين، والمساهمة الشخصية في هذا المجال ضرورية، مثلما هو ضروري للنحلة العمل الداخلي والزمن، لكي تحوّل رحيق الأزهار المتجمّع إلى عسل. والكتاب الممتاز كالدواء لا يفيد كل الناس، وكالثوب الجيد لا يناسب جميع من يلبسه.

والنحلة عندما تمتص الرحيق من الزهرة تعيد صياغته ومعالجته ليصير عسلاً، وكذلك المفكر الرائد، لا يأخذ الأفكار من الآخرين كما هي دون تمحيص، بل يعيد صياغتها

ومعالجتها، فيضيف ويحذف وينقد، وعندها تصبح تلك الأفكار من بنات أفكاره هو. ويا للأسف! كما يقول مالك بن نبي (رحمه الله) . فليس هناك أقبح من الجهل حينما يتزيا بزي العلم وينبري للكلام. فالجهل المحدود؛ كجرحٍ ظاهرٍ يمكن علاجه. أما جهل العالم: فهو غير قابل للشفاء لأنه أخرق، مراءٍ، أصمُّ، مغرور.

وكلمة (الحق) كلمة مغرية! إنها كالعسل يجذب الذباب ويجتذب الانتفاعيين، بينما كلمة (الواجب) لا تجتذب غير النافعين. وكلمة الواجب على الصعيد السياسي توحد وتؤلف، بينما كلمة (الحق) تفرق وتمزق. إن شعار النحل والنمل المرفوع دائما: لا قيمة لحياتي عند تعرض سلامة المجتمع للخطر، وهذا هو شعار الشهداء في أمة الإسلام. وهذه هي ثقافة الواجب التي بموجبها تنهض الأمم.

وما في الخلية من عسل ليس مجهود نحلة واحدة، بل هي جهود كل من في الخلية، تصبُّه في الخلايا المعدة لذلك ثم تعالجه ليصبح عسلاً، وكذلك الفكر، لا يصبح أصيلاً وراقياً إلا إذا حدث تلاقح للأفكار، ولاكته الألسن نقاشاً وحوارا ومعالجة ليصبح فكراً ناضجاً. والنحل عندما يجمع العسل لا يجمعه لنفسه فقط، صحيح أنه يتغذى منه، ولكنه يقدم الكثير منه لبنى الإنسان، وكذلك المفكر، لا يحتكر فكره لنفسه أو القريبين منه، بل يمنحه لبنى الإنسان على امتداد الزمان والمكان.

والنحل كذلك يصنِّف ما يجمعه ولا يضعه في خلية واحدة، وهذا هو الشرط الوحيد الذي نشترطه لطبيعة مساهمات المفكرين في خدمة دينهم ووطنهم، وهو أن يكون ما يصبونه في بحيرة أوطانهم متجانسا، فلا يصب بعضهم ماء، وبعضهم عسلا، وبعضهم خلاً، فتكون النتيجة مزيجاً غريباً، لا نعرف كيف سنستفيد منه ولا لأي شيء سنستخدمه. وكما أن عسل النحل غذاء وشفاء لجسم الإنسان، فإن الفكر غذاء وشفاء لعقل الإنسان وروحه.

وطالما أن المرء لا يستطيع تسمية ما ينتابه من شعور بعدم الراحة أو عدم السعادة، فلا أمل في الشفاء. ولست أدري كيف يمكننا أن نبحث في العلاج أو نتناول الدواء، ونحن

ما زلنا ننكر أننا نعاني من أية متاعب. حيث أن معرفة السبب هنا غاية في الأهمية، لا ليبطل العجب فقط . كما يقال . ولكن على أساس أن معرفة السبب تحديد لنوع العلاج، ومن ثمَّ وصف الدواء. إذ لا علاج إلا بعد تشخيص، ولا تشخيص إلا ببيان السبب أو الأسباب. فما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء، وإن كل نظرية أو رؤية يقدمها المفكرون، تُفضي بالناس إلى الحيرة والعطالة، ليست بنظرية، وليست برؤية سديدة. ولكن يبدو أن تبلد الإحساس كالحماقة داء لا دواء له. ويبدو أننا أصبنا بداء حب القديم ولو كان ضارا، كما يحب المريض علته، مؤثرا إياها على مرارة الدواء ومشاق الشفاء.

بين التشدد والتطرف الإسلامي والصهيوني

يذكر (الدكتور جعفر شيخ إدريس) أن أول صدمة وقعت له في مواجهته للتشدد والتعصب العنصري، أنه ناقش أحد الشباب الأمريكان، وكانوا جميعا طلاب دراسات عليا في جامعة لندن، ناقشه في مسألة فلسفية فيها شيء من التعقيد، ففاجأه في نهاية المناقشة بأن قال له: أحب أن أعترف لك بشيء، قال له الدكتور جعفر: ما هو؟ قال الشاب الأمريكي: لم أكن أظن أن أناسا من أمثالكم يمكن أن يكون لهم مثل هذا الفكر!!

وبناء على الموقف السابق، فإن الخبرات المتراكمة تدلنا على أن المعتدلين في الناس قليل، وأن لدينا نحن البشر نزوعا قويا إلى الغلو والتشدد والتطرف والتعصب. وأن الاعتدال والتوسط من الأمور التي تحتاج إلى تشغيل الذهن ومجاهدة النفس في آن واحد. وليس بعيدا عن الواقع قول من يقول: أن التطرف جزء من التراث "الجيني" للإنسان، وإن اختلفنا معه، إلا أن الوقائع على الأرض تشير إلى هذ، إذ أن من الواضح أن إمساكنا بنصاب التوسط والاعتدال دائما ضعيف، كما يؤكد ذلك (الدكتور عبد الكريم بكار).

وأن التشدد في التربية قد يخرج من فتىً ما إنسانا عصاميا، لكنه قد يكون مدمرا للبنية النفسية لفتىً آخر. والتشدد والتعصب حين يطول أمده، فإنه يؤثر في الشخصية تأثيرا بالغا، إنه يصبح عبارة عن مصنع "للنظارات" التي يرى المتعصب الأشياء من خلالها. وحين تنتشر الفظائع لا يبقى شيء مقدس أو محرم، وهذا في الحقيقة هو أسوأ ما يحدثه التطرف والتعصب والغلو والتشدد من تخريب في البيئة الأخلاقية للمجتمع، وقد يشوه إدراك جيل جديد إذا طال أمده.

إن أقسام التطرف، كما يصنفها (الدكتور عبد الكريم بكار) ثلاثة: تطرف فكري، وتطرف شعوري، وتطرف سلوكي، وأظن أن التطرف الفكري هو أساس كل تطرف، لأن الفكر هو دليل السلوك، ومصدر تسويغه والبرهنة على مشروعيته، وبما أن المشاعر عمياء، فإن الأفكار هي التي تقودها في سبل الاعتدال أو التطرف. إن التطرف حركة باطنية نفسية أو عقلية أو هما معا، بمعنى اقتناع النفس الإنسانية بعقيدة أو بفكرة إلى مستوى الفيض،

وهو في حد ذاته نوع من العجز عن رؤية الجوانب الأخرى من الفكرة الواحدة، بحيث يتراءى للمتطرف أن الزاوية التي يرى منها هي الزاوية الوحيدة للنظر، وأن كل ما سواها باطل.

والتعصب يقوم على "الاختصار" المخل و"التعميم" المجحف، أي هو مولود لأبوين غير شرعيين، ولذا فإنه مذموم بمعايير الشرع والمنطق والإنسانية. بينما الوسطية الإسلامية قد تكون نقطة بين طرفين يتسمان بالتطرف، ولكنها تظل مع هذا رؤية متماسكة متكاملة لها مرجعية نهائية ثابتة.

والتاريخ والوقائع والأحداث تخبرنا أن هناك متشددون صهاينة بل متطرفون، مثلهم مثل غيرهم، ولهم أحزابهم ومنظماتهم وجمعياتهم المعترف بها من دولتهم، وسياسة هؤلاء المتطرفين الصهاينة وتوجهاتهم تتناغم مع سياسة دولتهم وتوجهاتها، بل يتبادلون الأدوار مع حكومتهم، فيعارضون أو يتظاهرون عندما يرون أن من مصلحة اليهود القيام بذلك، ويتراجعون ويخفت صوتهم عندما يتطلب الأمر أيضاً مصلحة اليهود، وهؤلاء المتشددون والمتطرفون الصهاينة، يشاركون في جميع الدورات الانتخابية، ويحصلون على مراكز متقدمة، والمجتمع اليهودي بيئة حاضنة لهم، وليس بينهم وبين مجتمعهم صراعات، إلا ما نراه من تنافس أيام الانتخابات التي لا يمكن أن تصل إلى مرحلة الصراع والعنف. كل هذا التناغم رغم وجود عوامل الاختلاف والفرقة بينهم، من اختلاف العرقيات واختلاف اللغة والثقافة والطائفة... الخ، إلا أن مصلحة اليهود هي الجامع الأكبر لهم.

بالمقابل وعلى العكس من ذلك نجد أن التشدد والتطرف في الطرف الإسلامي الذي بلغ ذروته في السنوات الأخيرة يدمّر الإسلام كدين، ويدمّر المجتمع الإسلامي كمجتمع وكحضارة، فهؤلاء المتطرفون والمتشددون، يرفضون المجتمع، والمجتمع يرفضهم، والحكومات لا تقبل بوجودهم، وهم يقوضون وجود الحكومات في بلدانهم، أحياناً تستخدمهم الحكومات لابتزاز الخارج، وأحياناً يستخدمهم الخارج لابتزاز الحكومات، ومسوغاً للتدخل في هذه البلدان، يفجّرون الإسلام من داخله، ويقتلون المسلمين قبل أن

يقتلوا غيرهم، أضعفوا بلدانهم، وكانوا أحد الأسباب لتدخل أعدائهم، بل وصل الحال بالأعداء أن يستخدموهم عن طريق اختراقهم (مخابراتياً) لضرب بعضهم بعضاً كطوائف أو مذاهب.

ورغم موقف الإسلام الحازم من التشدد والتطرف وتأسيسه للوسطية والاعتدال، إلا أن هؤلاء المتطرفين لم يبقوا حرمة لدين أو عقل أو رحم أو قرابة أو حتى إنسانية، وليتهم أخذوا درساً عملياً من المتشددين والمتطرفين الصهاينة، في خدمة دينهم ووطنهم، والسيطرة على التطرف حتى لا يدمِّر المجتمع، بالمقابل ليت الحكومات العربية والإسلامية استفادت درساً عملياً من الحكومة الصهيونية في الاستفادة من هذا التشدد في تبادل الأدوار بين (الصقور والحمائم) كما يقولون.

وعلى الرغم من أن الصهيونية وفق تصور (الدكتور المسيري)، ليست جزءا من اليهودية، وإنما هي تجلٍ إمبريالي للعلمانية الشاملة. فإن تاريخ الصهيونية هو تاريخ تلاعب بالألفاظ (الأرض مقابل السلام) (الأرض مقابل الأمن) (السلام مقابل الأمن) .... والبقية تأتي. ومشكلة المسلمين مع اليهود عامة، والصهاينة على وجه الخصوص، هي في الأصل مسألة إرادة ومسألة ترتيب للأولويات، وليست مسألة قدرات وإمكانات، كما يؤكد ذلك بعض الكتاب والمفكرين.

إن الفكرة الواحدة ـ كما يؤكد القاضي المفكر د. طارق البشري ـ يتغير وصفها ومؤدَّاها من حيث التطرف أو الاعتدال بتغير الظرف الذي تعمل فيه. لأن الحكم يتعلق في صميمه بمدى الملاءمة مع واقع الحال. وأن وجهي التطرف والاعتدال قد يكونا نافعين في الظرف التاريخي الواحد، وذلك إذا توجه كل منهما إلى ما يُسِّرَ له. وفي السياسة يتوقف النجاح على حسن إعمال كل من سلاحي التشدد والتهاون، كل في مجاله وظرفه. وقد أدرك الصهاينة ذلك أيَّما إدراك، حتى أن أحد السياسيين الصهاينة قد لخَّص الدبلوماسية الصهيونية والدعوة للسلام بقوله: " أن تطرح على عدوِّك دعوة للسلام، بشروط تعلم مسبقا أنه لا يمكنه القبول بها، فإن رفض تستعدي العالم ضده قائلا: " أنظروا إنهم

يرفضون السلام"! فلماذا لا نلجأ نحن . كمسلمين . لمثل هذه الأساليب؟ كما يتساءل الدكتور المسيري.

جسدٌ يبحث عن رأس...

لا شك أن شيوع التخلف وغياب الرؤية التنموية في عالم المسلمين سببه الأساس أننا اليوم لسنا في مستوى إسلامنا بالنسبة للذات، ولسنا بمستوى عصرنا بالنسبة للآخر، وأعتقد أن الأمرين متلازمين إلى حد بعيد. وتكاد تجمع الأوساط الفلسطينية منذ اندلاع الثورة الفلسطينية أن قضية فلسطين هي بنت التخلف العربي وانعكاس له. بمعنى أنه لوكان للعرب حضور في التاريخ، ما كان من الممكن أن يتم احتلال كامل الوطن العربي من قبل الحلفاء واقتسامه وتوطين اليهود فيه. وهناك عقليات تعمل على تكريس التخلف والعجز، لأنهم يعيشون وهم الفهم والإدراك لكل شيء، وما ندري كيف يتفق هذا الفهم وهذا الفقه وهذه العبقريات العظيمة مع واقع التخلف والتراجع الحضاري الذي لا يتوقف في حياة الأمة.

إن أمة الإسلام الممتدة على مساحة جغرافية تقدر بـ(32مليون كم مربع)، ويزيد عدد سكانها عن المليار والنصف إنسان، هذه الأمة العظيمة ذات الجسد الضخم.....نعم، هو كذلك ولكنه (بلا رأس) يدير هذا الجسد الكبير، ولذلك حدث لهذا الجسد ترهّل، وصارت كل عوامل قوته يستفيد منها العدو الغربي والشرقي، ولأن الرأس غائب فإن الجسد الضخم صار يأكل بعضه بعضاً دون أن يدرك - لأنه بلا رأس - أن انهيار جزء منه هي بداية انهيار لباقي كيانه، وأن العدو الذي يساعده اليوم بعضا من بني جلدتنا وديننا للقضاء على جزء منه، سيلتهم الجزء المتبقي منه غداً.

ولأن الرأس الجامع لهذه الأمة غائب فقد ظهرت (رؤوس) كثيرة هنا وهناك تدّعي أنها تمثل هذا الجسد الكبير، ولكنها سببت لهذا الجسد نكسات ونكبات، وأعادته إلى الوراء عشرات السنوات، هذه الرؤوس الطائفية المتطرفة المتشددة الحاقدة في جميع الأطراف أحدثت في هذا الجسد العظيم جروح وتشققات نَفَذَ منها العدو وبدأ ينفِّذُ مخططاته، وهي تساعده بغبائها وحماقتها، وبقية الجسد يئنُّ ويتوجَّع ويشكو، ويحاول المقاومة والاستمرار في الحياة، رغم الآلام التي يعانيها.

وأنا هنا لا أعني (بالرأس) فرداً أو جماعة أو طائفة أو دولة، إنما أعني بذلك: الرأس الذي يمثّل الأمة العظيمة بكل مكوناتها، وباتساع رقعتها، وتنوع ثقافاتها، هذا الرأس الذي يفكر للأمة بكاملها ويخطط للأمة بأجمعها، ويقود الأمة بكل أطيافها إلى النصر والعزة والتمكين. هذا الرأس هو المعتمد عليه في جمع كلمة الأمة، وجعل جميع مصادرها الغنية (أرضاً وإنساناً) عامل قوة لها ورادع لأعدائها.

إن الأمم التي تقود الحضارة اليوم، قد بلغت في التنوع المدى الأقصى، وكأن التنوع ثمرة مباشرة للتقدم الحضاري، أو هو بعض مظاهره. أما في البلاد التي تشكو من التخلف وبطء حركات التغيير، فإن الأمر يكاد يكون معكوسا، حيث تجد الكثير من الأطر التي توحد الناس إلى حد التطابق، لكن تلك الأطر فارغة من معاني التجديد والحركة والتنوع، وحس الناس في الغالب منصرف إلى التطابق الشكلي والتوحد الظاهري، أما المضامين، فإنها تتغير على غير هدى، ومن غير توجيه صحيح، أي يخسرون من وحدة المضمون على مقدار ما يربحون من وحدة الشكل، لأن التخلف الحضاري، يفكك الروح الجماعية، ويقتل روح المبادرة، حيث ينتظر كل واحد من الناس غيره، ليكون البادئ.

إن أوضاع التخلف تدفع الناس إلى تماثل فكري عجيب لكنه سيء جدا، على حين أن أحوال النهوض تحفز العقول على التنوع في الطرح، والتعددية في الرؤية والاختلاف في التحليل، وهذا شأن العقل البشري حين يمارس الاجتهاد.

ولذا فإن على نُخب هذه الأمة من مفكرين ومثقفين وأكاديميين وقادة وعلماء، عليهم التفكير بكل صدق وإخلاص في كيفية إيجاد هذا (الرأس) الجامع المانع الذي به -بعد الله- تنتصر هذه الأمة ويعلو شأنها، وفي غيابه تزداد محنة الجسد ويزداد ترهله.

عجينة الدكتور المسيري

كما نقول "تفاحة نيوتن"، يمكننا أن نقول "عجينة الدكتور المسيري"، وقصة ذلك تتمثل في مثال أورده الدكتور المسيري في كتابه (رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار)، ومفاد ذلك أن كل أستاذ جامعي يمتلك قطعة واحدة من العجين لا أكثر ولا أقل (مجموعة من المعلومات المتوافرة لديه)، ويقوم بتشكيلها حسب الطلب. فهي تارة مقال "مربع"، وتارة أخرى بحث في مؤتمر "مستدير"، وتارة ثالثة حديث إذاعي "كالإصبع"، ولكن في نهاية الأمر وفي التحليل الأخير هي عجينة واحدة تأخذ أشكالا عدة بلا اكتشاف ولا بحث ولا تركيب، وكل ما يحدث للعجينة إضافة معلومات تزيد من حجمها وامتدادها الأفقي. ومع ذلك يظن كثير من الناس الآن، كما يشير (د. المسيري) أن أي كلام موثَّق هو تأليف، بينما هو في واقع الأمر رَصّ. وثمة فارق شاسع بين "الرصِّ" و"الرصانة"، وبين "التحديق" و"التحليق".

إن طريق الإبداع طريق وعر وليس سهلا أو معبدا مثل طريق النقل السريع. وإن على من يسعى لأن يكون بين المفكرين أن يدرك أن طريق المفكرين يبدأ بحب البحث، وينتهي بالتفاني في البحث. وأن من سمات المبدعين أنهم ينتجون عددا كبيرا من الأفكار الفجَّة والناضجة، ويملكون القدرة على التحليل والاستدلال، وهم دائموا النظر قويُّوا الملاحظة، وهم حتى وإن توقفوا عن حل المشكلات، لكنهم يظلون دائمي التفكير فيها، ويحبون التغيير والتجديد، وينفرون من الإغراق في التقليد، ويعشقون التجريب والمحاولة، وكثيرا ما يقدمون أفكارا، يعدها كثير من الناس غير معقولة أو مستحيلة التطبيق، ولديهم قدرا من المرونة الذهنية، فهم قادرون على استخدام طرق كثيرة للوصول إلى الفكرة الصحيحة، وهم أناس إيجابيون مرحون متفائلون، يملكون قدرا من الشجاعة والحزم.

والمرونة الذهنية هنا هي "قدرة العقل البشري على إدراك الفروق الدقيقة بين الأشياء، والمراوحة المستمرة بين الأسس والأصول وبين المسائل الفرعية التخصصية" (د. عبد الكريم بكار). ومما يسهم في تكوين المرونة الذهنية إدراك جملة الفروق والاختلافات بين البشر، وأنه لا يمكن جعلهم نسخا مكررة بعضهم عن بعض في كل أمر، بل إن الله

خلقهم مختلفين ليكمِّل بعضهم بعضا على جميع المستويات. ففي الاختلاف ثراء وتنوع وإخصاب وتعاون، وهو عامل أساسي في توازن الحياة العامة.

وقد أشار (جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 189، 1994). إلى أن النساء بوجه خاص يتمتعن بقدر أكبر من المرونة والتكيف مما يتمتع به الرجال، وخاصة عندما يكنَّ أمهات، يُعدِّلن رؤيتهن للأشياء على إثر احتكاكهن بأطفالهن، وتلك سمة أخرى مثيرة للعجب من سمات عصرنا، تلك التربية العكسية التي لم تكن لتفهمها المجتمعات التقليدية التي كانت توقِّر السن والخبرة.

إن الإحاطة بموضوع ما، وجذوره، وأسبابه، وعواقبه، ووجوه ارتباطه مع موضوعات أخرى، تجعل المرء يتحلى بفضيلة المرونة الذهنية، التي توجِد للإنسان مساحات للحركة يوازن فيها بين الخير والشر وأنواع الخير وأنواع الشر، فيحاول من خلالها النفاذ إلى تحقيق خير الخيرين، ودفع شر الشرين، كما يحدد علاقته بذلك الموضوع، وما يمكن تجاوزه منه، وما لا يمكن.

والمشكلة أن التغييرات البطيئة تجعل قدرة الناس على القبض على بداية الانحدار وإدراك ظروفه ضعيفة جدا. وهذا ما يجعل المعالجة عسيرة. وهنا يأتي دور المفكرين النابهين الذين يحسُّون بالانحراف البطيء الذي يصيب أمتهم وحضارتهم، فتكون مهمتهم أن يقرعوا طبول الخطر، وينذروا بالعاصفة قبل هبوبها بسبب معرفتهم بسنن الله في المجتمعات والثقافات، وبسبب حاسة (الاستشعار عن بعد) التي يمتلكونها. إن عامة الناس يحسون بالكارثة والفتنة حين تظلهم، ويكتوون بنارها. أما المفكرون فهم الذين يشعرون بالخطر قبل إحداقه. وفي هذا يقول (سفيان الثوري): "الفتنة إذا أدبرت عرفها كل الناس، وإذا أقبلت لم يعرفها إلا العالم".

إن صياغة القطعة الفكرية، هي نتاج حدس طويل يتكثَّف، ويسترجع المفكر مخزونه من القواعد والانطباعات والتجارب ويوزعها في هندسة، ويضع لها خارطة قبل البدء بتدوينها. والبيئة والتحديات لها تأثير في نوع اهتمامه. أما على مستوى المضمون فإن الباحث

يجب أن يكون عابرا للأنواع، فيطوف على علوم شتى، سائلا إياها أن تمنحه منها ما يقتطفه أو يقتبسه أو يستفيد منه ويحاوره ويحاججه ويستعين به في مسار آخر وفق قاعدة (العلم بمدخله وليس بموضوعه)، كما يقول (د. عمار علي حسن في كتابه الخيال السياسي). إن المفكر يعشق العبور في كل الاتجاهات، ويتأبَّى على الحشر في الزوايا الضيقة، ولهذا فإنه لا يَعبُرُ الجزئي إلى الكلي فحسب، ولكنه يَعبُرُ الكلي إلى الجزئي أيضا. ومن صفاته أنه يمتلك رؤية نقدية شاملة ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه والصعوبات التي يعاني منها إلى حس الناس وأعصابهم. حسب وصف (د. عبد الكريم بكار).

يقول أحد المفكرين: إذا كنت تقرأ لتوفر على نفسك التفكير، فقد يكون من الأحسن لك التوقف عن القراءة تماما. إن القراءة لا تصنع مفكرا عظيما، وليست هي البديل عن الفكر، وكما يقول (جون لوك): إن القراءة لا تمدُّ العقل إلا بمواد المعرفة، لكن التفكير هو الذي يجعل ما نقرؤه ملكا لنا.

والمفكرون -في الغالب -لا يملكون أي أداة لتنفيذ أفكارهم وإحالتها إلى شيء واقع معيش، بل لا يملكون الوسائل الناجعة لإيصال أفكارهم. والذين يغلب عليهم حِسُّ العمل والحركة والدعوة ينظرون إلى مسائل الفكر والتخطيط على أنها من لهو الحديث وإضاعة العمر في كلام لا يقدِّم ولا يؤخر. وفي هذا يقول أحد المفكرين: لدينا أفكار كثيرة لا تجد سبيلها إلى التطبيق، وأعمال كثيرة لم تُسبق بأي تفكير. والمفكر الحق لا يستطيع أن يبني قصورا شاهقة على أساسات واهية، ولا يرضى لنفسه أن يصوغ العبارات الجازمة والمحددة، وهو غير متأكد من صلابة المعطيات التي في حوزته. فالتفكير "النقدي" هو الذي يحلل ويُقيِّم ويستنبط ويفسر ويقرر، والتفكير "الخلَّاق" هو الذي يركب ويعدل ويستقرئ ويكتشف ويخترع، كما أشار (د. نبيل علي).

إنك لتشعر بالذهول وأنت تقرأ لمفكر متمكِّن حين ترى الحدود الفاصلة بين العلوم تذوب بين يديه، وحين تشعر أنه يتحدث إليك عن معان حاضرة، غائبة وسهلة، ممتنعة ومتماسكة، منفتحة ... إن المفكر يبدو لنا أحيانا كمن يبحث عن إبرة ذهبية في كومة قش،

وهو من أجل ذلك يعاني ويعاني لكن الثمار مذهلة وفريدة. إن أعظم النفائس التي سنحصل عليها، تلك التي نجدها في غير نظامها، وهذا ما يعيه المفكر بعمق. فهو قد يحتاج إلى معرفة معاني عشرين أو ثلاثين ألف كلمة على حين أن الإنسان العادي لا يستخدم أكثر من خمسة آلاف إلى ستة آلاف كلمة.

إن الحضارات الثلاث (اليونانية والعربية والأوروبية الحديثة) هي وحدها التي أنتجت ليس فقط العلم، بل أيضا نظريات في العلم، إنها وحدها . في حدود ما نعلم . التي مارست ليس فقط التفكير "بالعقل" بل أيضا التفكير "في العقل". كما يؤكد ذلك (د. محمد عابد الجابري).

وفي تشبيه جميل وبليغ أورده ابن القيم يقول فيه: " وهذه النفس . النفس البشرية. شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حباً طحنته، وإن وضع فيها حصى طحنته، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثر الناس يطحن رملاً وحصىً وتبناً ونحوه، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة عجينته". وهي بالمثل حالة العقل الذي يعمل على الأفكار والحقائق (الحبوب)، ويعيد بلورتها (طحنها)، لتنتج الفكر والحقيقة (العجينة)، التي تتوقف جودتها ونوعيتها في المقام الأول، ومن ثم حجمها وسعة امتدادها في المقام الثاني، على نوعية الأفكار والحقائق التي عملت عليها.

متوالية الظلم التاريخية ...لا الظالم ارتدع ولا المظلوم اقتنع

لم يحرم الله شيئاً على نفسه كما حرّم الظلم، ومع هذا نجد أن سوق الظلم رائجة، وأن مريديه كثر. الظلم الذي ينشأ من التقاء ظالم بمظلوم، وجلاد بضحية، ظالم يبدأ صغيراً جداً، ثم يكبر ويكبر حتى يصبح جباراً، يُشقِي نفسه، ويَشقَى به الآخرون، تسمعه يردد في صدى التاريخ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨).﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (غافر: ٢٩). ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (القصص: ٧٨). ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). ﴿ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (فصلت: ١٥)، وغيرها من العبارات المتألّهة .

يرى الظالم مصارع الظالمين قبله ولا يرتدع، ولا يرعوي، ولا يتراجع، يسير على نفس خطوات الظلمة السابقين، ويفكر بنفس عقليتهم، ويبطش بالمظلومين كما بطشوا، ويشعر بنفس شعورهم ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الذاريات: ٥٣). وفي الأخير يلقى نفس مصيرهم، حذو القذة بالقذة، فتلعنه الأجيال كما لعنت من قبله، ويدخل التاريخ من أسوأ أبوابه، وتسجل فظائعه في صحائف سود يتعوذ منها الكبير والصغير، وتطوى صفحته ليأتي بعده ظالم آخر يسير على نفس الطريق ... وهكذا، لا أرتدع الظالم ولا اعتبر، وهذه حلقة الظلم الأولى.

والمظلوم هو حلقة الظلم الثانية، فالمظلوم والضحية هما خميرة لوجود الظلم، وظهور الظالم، فكم من مظلوم كان باستطاعته أن يمنع الظلم عن نفسه وغيره بكلمة، ولكنه بخل بها، وكم من مظلوم كان بإمكانه أن يردع ظالما بموقف حازم وكلمة صارمة،

ولكنه صمت، وكم من مظلوم كان في مقدوره أن يوقف ظالماً عن ظلمه بشيء يسير من جهده أو ماله أو وقته، ولكنه بخل بهذا اليسير من جهده ووقته وماله، وكم من مظلوم كان باستطاعته أن يردع ظالماً، ويوقف ظلمه، ويشجِّع غيره على الوقوف معه، وإن أصابه القليل من الأذى، ولكنه خاف وتراجع، مما أغرى الظالم بالاستمرار في ظلمه وبغيه.

إن الظلم ينتشر ويعم ويتعاظم في وجود هؤلاء المظلومين والضحايا، والظالمون يجدون لهم مرتعاً خصباً مع أمثال هؤلاء المظلومين، بل هناك من المظلومين من يزينون للظالمين ظلمهم، بل ويقفون معهم ويشرعنون لهم ظلمهم خوفاً وطمعاً، وكما قال أحد المظلومين في زمانه -مظلوم في هيئة ظالم-لظالم عصره:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فأحكم فأنت الواحد القهار

إن العدوان والظلم يولِدان الكراهية والسخط، ويمثلان خميرة لثورات عاتية، تعصف حين تنفجر بمقترفي الظلم وبمؤسساتهم، وتبدد كل ما صنعته أيديهم، وتزيلهم من الوجود. ولقد شهد القرن العشرين العديد من ثورات المعدمين ضد مستغليهم من الرأسماليين. ومن المؤكد أن القرن الحادي والعشرين سيشهد المزيد من تلك الثورات. وهو ما أكده (ابن تيمية) في شأن زوال الدول والحضارات حين تسير على منهج الظلم فقال: " إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة. والدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام". إن الظلم (الوطني) كما يقول -جلادستون -هو الطريق الأكيد لانهيار الدول والحضارات، وأن النظم السياسية الظالمة التي تضيق بالرسل والمصلحين وتنفيهم من الأرض، لا بد أن تفقر مجتمعاتها من مصادر قوتها البشرية، وتغري المجتمعات الأخرى بغزوها وتقويضها، ثم نفي رؤوسها أو إذلالهم وقتلهم، والسياسة الدولية -في أيامنا هذه -ليست إلا أسلوبا لإخفاء الحق وإسدال الستار على الظلم حتى يفلت المجرم بجريمته.

إذا لم يرتدع الظالم فلا بد أن يقتنع المظلوم، ولا بد من فك الارتباط بين ظالم لا يرتدع ومظلوم لا يقتنع، فعواقب الظلم وخيمة ونتائجه كارثية، وكلما طال أمد الظلم،

تضاعفت ضريبة إزالته. فالظلم الذي تتطلب إزالته اليوم كلمة قد لا تكفي إزالته في المستقبل دماء، والظلم الذي يمكن إزالته اليوم بالتضحية ببعض الجهد أو الوقت أو المال، قد لا تكفي لإزالته في المستقبل التضحية بكل الجهود والأموال والأوقات. وعند انتشار الظلم يتم تخطي كل الحواجز، ولا يبقى شيء مقدس.

لقد صار لسان حال كل إنسان يقول: لا أريد أن أكون أنا الضحية أو كبش الفداء، فليكن غيري، ويتضح في الأخير أن الجميع قد أصبحوا كلهم ضحايا. وهذا نتيجة لما غرسته المؤسسات التربوية والتعليمية في كثير من الدول العربية، كما ذكر – الدكتور عبد الكريم بكار -فقد أخرجت هذه المؤسسات جيل من (الإمَّعات) المقلدين، حيث يكون شق طريق جديد بالنسبة لهم أمرا يبعث على الريبة، وحيث يكون السير خلف الآخرين أمرا محمودا ومرغوبا، لقد أخرجت هذه المؤسسات جيلا ماهرا في العثور على محاسن الظلم الذي يقع عليهم، ويعرفون كيف يصفقون لظالمهم، وكيف يكبتون مشاعرهم إلى ما لا نهاية. ومن العجيب فعلاً أن أكثر الذين يخافون من الحرية، ويدققون في مدلولاتها ومآلاتها هم المكتوون بنار الظلم والتسلط والاستبداد.

إن المظلومين إذا نهضوا لاسترجاع إنسانيتهم قبل التطهير من آثر الظلم، فسوف يكونون عاجزين عن قيادة حركة استرجاع العدل الإنساني، لأن تفكيرهم ومشاعرهم وقيمهم قد تشكلت في بيئة الظلم التي نشأوا فيها. ولذلك سيكون شخص الظالم الذي يعانون من ظلمه هو نموذج الإنسان الجديد الذي يودون إحلاله محل الظالم القائم. وحين يحكم المظلومون يتقمصون شخصية ظالميهم ويخافون من العدل والحرية كما كان ظالميهم يخافون منهما، ويطاردون المطالبين بهما فيسجنونهم بالشبهة ويعدمونهم دون محاكمة.

لا بد من فك الارتباط بين الظالم والمظلوم ... لا بد من كسر حلقة الظلم ... إن لم يكن من الظالم ليرتدع ... فليكن من المظلوم ليقتنع. وإذا زادت نسبة الظلم أو الشر في واقع ما، فلنتذكر فوراً الارتباط الكبير بين النفوس والواقع، ولنتيقن أن ما نشاهده في

واقعنا هو ما نستحقه، ومن الخطأ أن نظن أن الواقع سيء بدرجة كبيرة، في حين أننا جيدون بدرجة كبيرة، وأن سبب هذا الواقع هو أن حكومة أو اتجاها أو حزبا ما، هم المسؤولون وحدهم عما وصلنا إليه، فالواقع هو حصيلة ما في نفوس المجتمع جميعا فرداً فرداً، سواء كان ذلك خيرا أو شرا.

خواطر رمضانية ... 1437 هجرية

العيد...تقاسمٌ للفرحة وتخفيف للمعاناة

قد يفرح أناس في غير العيدين بمناسبات شتى، ولكن تبقى فرحة العيدين فرحة عامة شاملة لا ترتبط بغني أوفقير أو ذكر أو أنثى أو كبير أو صغير، هي فرحة شاملة للجميع، والسعيد من يدخلها على كل من يستطيع.

الإحساس بجمال العيد لا يمكن أن يكون فردياً، فجماله مرتبط بتقاسم الفرحة مع الآخرين والسعي لإدخالهم هذه الفرحة التي لا تكتمل إلا بوجودهم فيها، فالعيد للجميع، وبقدر ما تكثر فئة الذين لا تصلهم هذه الفرحة بقدر ما تقل الفرحة وتتراجع وتنحسر لدى من يستطيعون الاحتفال بهذه الفرحة.

كل بيت دخله رمضان لا بد أن يدخله العيد، وهذه مسؤولية كل من دخل بيته رمضان وسيدخله العيد لأنه مستطيع، فلتأخذوا معكم أناس ينتظرون العيد بشوق كما تنتظرونه، ويريدون أن يروا فرحته في وجوه أبنائهم، فاكتمال فرحتكم بإدخال الفرحة عليهم.

تلذذوا بفرحة العيد بإفاضتها على الآخرين، خذوا بأيدي الآخرين لتفرحوهم وتزداد فرحتكم بفرحهم. أفضل عبادة وقربة تتقرب بها إلى الله في هذا اليوم هي السعي لإدخال السرور إلى بيت يحتاجه، وقمة الإيمان والإنسانية والشهامة أن تدخل السرور على أخيك المسلم.

مقبول مع مرتبة الشرف

يُعدُّ تقدير (مقبول) هو أدنى تقدير للنجاح في حسابات البشر، وأن المجتهدين منهم يسعون للحصول على ما هو أعلى (كالجيد والجيد جداً والامتياز)، ولكن حسابات رب البشر تختلف عن حسابات البشر.

كما يُعدُّ (الفوز) بميزان الله ذا منزلة ومكانة رفيعة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٥). أما بني البشر فالفوز في ميزانهم هو الحصول على شيء من أشياء الدنيا، أو الفوز بمنصب من مناصبها، أو الفوز بمكانة ولقب يصلون إليه.

عندما تكون (مقبولاً) بميزان الله، و(فائزاً) بنفس هذا الميزان فقد حصلت على أعلى مرتبة يسعى إليها بني البشر (قبولاً وفوزاً)، لأن هذا القبول والفوز نهائي ودائم، بينما الفوز والامتياز في الدنيا مؤقت، سرعان ما تغادره أو يغادرك.

نسعى جميعاً في رمضان وفي غيره لكي نكون من المقبولين والفائزين، وهي أمنية وهدف يستحق أن يُجتهد لتحصيله والظفر به، وكلنا أمل أن نكون أهلاً لهذا القبول والفوز.

سَنَةٌ بنكهة شهر....

التجارب الناجحة والأوقات الرائعة في حياة الإنسان لا يمكن أن تُمحى من ذاكرته، وكثيراً ما يَحِنُّ إليها ويشتاق إلى العيش فيها مجدداً، ولكن هيهات ما مضى فات.

التحسُّر على تلك التجارب والأوقات لا يصنع حاضراً سعيداً ولا مستقبلاً مشرقاً في حياة الإنسان، وما يصنع ذلك الحاضر السعيد والمستقبل المشرق هو تكرار تلك التجارب والأوقات وإن اختلف الزمان والمكان، وحتى وإن لم تكن في مستوى سابقاتها.

لماذا لا تصبح الأحد عشر شهراً بنكهة رمضان أو على الأقل فيها من نكهة رمضان (بصيامه وقيامه وتلاوته وعطائه والتزامه)، فمن نتوجه له بهذه الأعمال يطالبنا بالاستمرار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩٩). بمعنى استمر طوال حياتك لأن معنى اليقين في الآية الموت.

من ذاق لذة العبادة والعطاء والانضباط في رمضان فسيشتاق لها ويتذوقها في غيره من الشهور وإن لم تكن بنفس المستوى. هنيئاً لمن عاش من شوال إلى شعبان ولو بجزء من نكهة رمضان.

وفي الرحيل عبرة....

كنا نستشرف وصوله فوصل، وتمنينا بلوغه فبلغناه، وأحببنا أيامه ولياليه فعشناها، وها نحن عند خط النهاية ننتظر رحيله وسيرحل، إنه رمضان أيها الصائمون.

يا الله... ما أسرع دوران عجلة الزمن، نظن القادم بعيداً وما أسرع ما يَحِلُّ بنا، ونعتقد أننا سنتمكن من إبقائه معنا فيتفلت منا ويرحل عنا رغماً عنا، وأحياناً في غفلة منا.

عندما تغيب شمس اليوم وتشرق شمس الغد فهو رحيل، وعندما يذكِّرك الآخرون بأن اليوم جمعة فهناك رحيل، وعندما تسمعهم يقولون بدأ الشهر فأدرك أنه الرحيل، وعندما تشاهد التقويم وهو يزيد في عدد السنوات سنة فاعلم أنه رحيل، لكن أمَرَّ رحيل هو ذاك الرحيل الذي تكون أنت من يقال له دورك يا فلان.

الأيام والأسابيع والشهور والمواسم والسنوات تتجمع عليك كفترات رحيل صغيرة لتشكل في النهاية الرحيل الكبير لشخصك الكريم.... هل تدرك ما أعنيه برحيلك الكبير؟ إذن أنت مطالب بالاستعداد لهذا اليوم.

في طريق العمر.... هناك محطات تزود

طَبَعَ الله الإنسان على ضرورة الحاجة المستمرة لتغذية جسمه وروحه، فهو يتزوّد بالغذاء والماء باستمرار لتبقى حياته الجسمية، وهو كذلك في حاجة مستمرة للتزود بما يُبقِي لروحه الحياة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

زاد الروح يتمثل في عباداتٍ مشروعة وأعمالٍ مرغوبة مطلوبة تحافظ على حياة الروح، ومن نتائج هذه العبادات والأعمال بناء حياة الإنسان السويّة في الدنيا ليَسعدَ بها ويُسعدَ بها غيره.

محطات التزوّد بوقود الروح ترافق الإنسان يومياً وأسبوعياً وسنوياً وعلى مدى العمر، فعلى مدى اليوم (الصلاة إلى الصلاة)، وعلى مدى الأسبوع (الجمعة إلى الجمعة)، وعلى مدى العام (ورمضان إلى رمضان)، وعلى مدى العمر (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، وجميعها محطات تزوُّد على المستوى القريب (الصلوات والجمعة)، وعلى المستوى المتوسط (رمضان)، وعلى المستوى البعيد (الحج)، ويجب التزود منها جميعا.

كثيرون ينقطون في الطريق والسبب أنهم تجاوزوا محطات التزود ولا يوجد لديهم احتياط للوصول للمحطة التالية. احرصوا على التزود بما يكفيكم للوصول إلى المحطة التالية والتي تليها لتكون محطة الوصول الأخيرة جنة عرضها السماوات والأرض.

صِغارُ الحسنات والسيئات... لك أو عليك

يتعامل الإسلامُ مع الإنسان بدقةٍ متناهية، فكل أعمال الإنسان مهما صغُرت مقيدةٌ له أوعليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (طه: ١١٢)، والظلم هنا أن يُزاد في سيئاته والهضم أن يُنقص من حسناته.

عندما يتأمل الإنسان في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة، 7. 8)، فإنه يحُسُّ بأنه مَجزيٌ بجميع أعماله صغيرها (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) وكبيرها، وهذا يعطيه دافع لتقديم كل ما يستطيع من أعمال، وألا يحتقر أي عمل مهم صَغُر (ولو بشق تمرة، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق).

وهي كذلك مع بقية الآية: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ فالإنسان يخاف من كل معصية وإن صغُرت (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) كما يخاف من كبار

المعاصي، وهذا يدفعه إلى عدم الاستهانة بصغار الذنوب لأنها في النهاية تتجمع عليه حتى تهلكه.

واعمل كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرنّ صغيرةً إن الجبال من الحصى

تنبه أنه لا كبيرة مع توبة واستغفار ولا صغيرة مع إصرار، وأن مدار قبول الحسنة النية الصالحة، وأن ربك الكريم يكتب السيئة سيئة واحدة ويعفو، ويكتب الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف.

تحقّق بأوصافك يمدّك بأوصافه

السير إلى الله والوقوف ببابه ليس كالوقوف بأبواب سلاطين الدنيا، الذين يريدونك أن تبيع لهم آخرتك بدنياهم، أما ربك العظيم الكريم فيريد أن يبيعك الآخرة بالدنيا التي أعطاك إياها، وكلاهما ملكه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النجم: ٢٥).

عندما تقف بين يدي الله وأنت (عبد) وهو (رب) سيمنحك من تجليات ربوبيته، وعندما تقف بين يديه وأنت (المحتاج) وهو (الغني) سيفيض عليك من بحر جوده، وعندما تقف بين يديه وأنت (المذنب المقصر) وهو (الغفور الرحيم) ستتنزل عليك رحماته وعفوه، وعندما تقف بين يديه وأنت (بلا حول ولا قوة) وهو (صاحب الحول والقوة) فسيمنحك من حوله وقوته ما يعينك وينصرك ... وهكذا مع بقية صفاتك وصفاته.

حَقّقَ كمال الالتجاء إلى الله أنبياؤهُ عليهم السلام فتحققوا بأوصافهم فأمدهم الله بأوصافه، فنوح عليه السلام قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ (القمر: ١٠).

فأغرق الله الأرض استجابة لدعوته، وموسى عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص: ٢٤). فأكرمه الله بالمال والزوجة واصطفاه ليكون كليمه، ومحمد صلى الله عليه وسلم قال كما في الحديث: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس...)، فصيَّره الله سيد العالمين ومحبوب المؤمنين بلا منازع...وهكذا مع بقية الأنبياء.

تذلّل بين يدي الله بذكر أوصافك المتأصّلة فيك، وأدعو الله بأوصافه وأسمائه الحسنى ليمدك بِطَرفٍ منها فيرتفع شأنك في الدنيا والآخرة.

أنا الفقير إلى رب السماوات أنا (المسيكين) في مجموع حالاتي

القلوب الشفّافة ... تسمح بدخول النور وخروجه.

القلوب هي محل نظر الله سبحانه وتعالى، وكلما كانت أصفى وأنقى كلما استقبلت عطايا الله وحوّلتها إلى عطايا لخلقه، فهي كماء السماء طاهرةً في نفسها ومطهرة لغيرها.

والقلوب في علاقتها بالنور كالبيوت التي لها نوافذ زجاجية تسمح بدخول الضوء وخروجه، وكلما كانت النوافذ أكبر وأنظف كلما سمحت لكمية أكبر من الضوء دخولاً وخروجا، والقلوب مثلها، فكلما كانت أكثر إخلاصاً وشفافية كلما سمحت بدخول نور الله إليها لتعكسه نوراً وضياء لهداية خلقه.

وبالمقابل فإن القلوب المظلمة تشبه البيوت المظلمة أيضاً، تلك البيوت التي تنعدم فيها النوافذ التي تسمح بدخول الضوء وخروجه، فتعيش تلك القلوب في ظلمة، ومن أين لها النور وقد سدّت بالمعاصي نوافذه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النور: ٤٠).

القلوب التي تسمح للنور بالدخول والخروج هي قلوب سعيدة لأنها في ظِلال ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النور: ٣٥). أما القلوب المظلمة التي لا يدخلها النور فهي تعيش في نكد ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النور: ٤٠) ، وأنت تدركون الفرق بين الصنفين.

لهفة الوصول تغري بالإسراع لا بالتواني

يبدأ البعض مع بداية رمضان بالعزم والإصرار... ثم يبدأ بالتراخي والتكاسل مع مرور أيام هذا الشهر، فلا يصل إلى أفضل أيام هذا الشهر (العشر الأواخر) إلا وقد فتر وتراجع.

في السير إلى الله أنت مُطالبٌ بالاستمرار والتحسين، ومواسم الخير تحتاج منك إلى زيادة الجهد المبذول لتحقق الفوز اقتداء بالحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه في علاقته المعروفة مع العشر الأواخر من رمضان.

ركّز جهدك في هذه العشر على أجلّ الطاعات وأرجى الأعمال، وتخيّر من الأدعية ما يغير مسار حياتك وعزة وطنك ونصرة دينك.

أنت في حلبة سباق وخط النهاية قد صار قريباً، فشدّ من عزيمتك لتصل، وعندها ستفوز: (للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء رب).

فساد الأصل ...لا يصلحه تحسين الفروع

شكى الرجل لجلسائه أن شجرته تثمر ثماراً (مُرّة)، فقال له أحدهم: غيّر تربتها، فعمل الرجل بنصيحة صاحبه، وبعد مدة قطف الثمرة وإذا بها مُرّة، فعاود الشكوى لأصحابه فنصحوه بتغيير الماء الذي يسقيها به، ففعل، وانتظر ثمار شجرته فجاءت مُرّة أيضاً، وهكذا واصل شكواه وواصل أصحابه تقديم نصائحهم له، ولكن دون جدوى، كانت ثمار هذه الشجرة مُرّة في كل مرة. أتدرون لماذا؟

لقد سأله أصحابه في نهاية المطاف عن نوع الشجرة التي يمتلكها، فكانت الإجابة صادمة بالنسبة لهم، لقد كانت الشجرة التي حاول الرجل تغيير كل ما حولها لتكون ثمرتها غير مُرّة هي شجرة (الحنظل)، فهل من الممكن أن نجني من الحنظل يوماً ثماراً حلوة !؟

فساد الباطن لا يمكن أن تصلحه أي تحسينات للفروع الخارجية وإن كثرت، لأن أصل الداء في الداخل، وتحسين الداخل (الباطن) هو الأصل الذي يجب أن يُبدأ به قبل أي تحسينات خارجية.

إذا ما الجُرحُ رُمَّ على فسادٍ تبيَّن فيه تفريط الطبيب

أعتقد أنكم تدركون معي الآن دلالة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف: ١٠٤). فهؤلاء عملوا على تحسين الفروع ونسوا الأصل، فإلى إصلاح الباطن حتى نجني الثمار الحلوة.

سياسة النفس.... محافظة على الراحلة حتى تصل.

سافر أحدهم على بعيره (جمله) وكان مستعجلاً يريد أن يصل إلى مبتغاه سريعاً، وكان بعيره كلما وجد خضرة أو علفاً توقف ليأكل، والرجل يحاول أن يستحثه ليواصل السير حتى لا يتأخر، ولكن من يُفهِمُ البعيرَ غاية الرجل.

صاحب البعير هذا عبَّر عن تجربته مع بعيره واختلاف همهما وهدفهما ببيت من الشعر جميل، يمكن أن يكون عنواناً لعلاقة الإنسان مع نفسه. يقول صاحب البعير:

همّي وهمّ البعير اختلف همّي المسير وهمّ البعير العلف

سيبقى الجزء السماوي الروحي من الإنسان يشده إلى الأعلى، وبالمقابل سيبقى الجزء الأرضي والنفسي يجذبه إلى الأسفل، وهذا حال الإنسان في حياته، يعيش بين مدٍ وجزرٍ حتى يلاقي ربه جل جلاله.

لن تستطيع التخلص من جواذب النفس ورغباتها، ولكن اجعل رغباتها مما يعينك على الصعود لا الهبوط، ودع نفسك تأخذ حاجتها الضرورية حتى لا تنقطع في الطريق.

السير عكس التيار....

يحسّ الإنسان بالألفة مع الآخرين ويطمئن أكثر إذا توافق معهم، ويحسّ بالغربة إن اختلف مسعاه وهدفه عن هدفهم ومسعاهم، لأنه بذلك يسير عكسهم لا معهم.

السير مع الناس دون أن يكون للإنسان هدف يسعى لتحقيقه يشبه تلاعب السيل بعود حطب يسيّره السيل بغير إرادته، وسيرمي به في أي مكان، لأنه لم يعد بمقدوره التوقف أو اختيار محطة الوصول.

السير عكس التيار صعب لأنك تغالب فيه نفسك على ما تحب وهو السير السهل مع المجموع، وترغمها على السير الهادف والمقصود الذي قد يكون في الاتجاه المعاكس لاتجاه الناس ورغبات النفس.

السير مع التيار سهل، ولكن يملك الإنسان فيه حريته بل يسيّره المجموع، ونهايته الوصول إلى الأطراف. والسير عكس التيار صعب ويملك الإنسان فيه حريته، ونهايته الوصول إلى المنبع والمصدر.

الوالدين كنز... لمن يحسن استثماره

سأورد لكم طرفة وأعلق عليه وهي: أن شاباً كان بينه وبين رجل آخر خصومة وطلب من أمّه أن تدعو عليه ليصيبه الله بمصيبة، فكانت الأم تدعو باستمرار فتقع المصيبة على رأس ابنها، فقال لها ابنها يوماً ماذا تقولين في دعائك يا أمي. فقالت الأم بكل صدق كنت أدعو وأقول: (أن الله يزيل المؤذي). فقال الشاب: هاه .....هي هانا، ثم التفت إلى أمه وقال لها: ادعي على غريمي بالاسم أما المؤذي فهو أنا.

هذا الشاب يدرك (على ما فيه من أذية للآخرين) بركة واستجابة دعاء الوالدين، فلنكن أحرص منه على دعاء الوالدين في هذا الشهر الكريم إن كانا على قيد الحياة، أو برهما بالدعاء والعمل الصالح على نيتهما إن كانا متوفيين.

هناك أماكن وأوقات وأشخاص أرجى لإجابة الدعاء فلنحرص عليها، وهناك أعمال وحالات تمنع إجابة الدعاء فلنتجنبها.

الذكي من يجمع بين تخيّر الأماكن والأوقات والأشخاص الأرجى لإجابة الدعاء، مع الابتعاد عن موانع إجابة الدعاء .

﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ﴾ .

المقطع السابق جزء من آية قرآنية يرشدنا الله من خلالها إلى عدم الاغترار بالكم (الكثرة) الخبيث وإن أعجبنا ، فقد تكون فيه الهلكة: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠ ﴾ (المائدة: ١٠٠).

كما وجَّهنا القرآن إلى عدم السير وراء الكثرة فقد تكون طريقاً إلى الظلال:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ ﴾ (الأنعام: ١١٦).

السير مع التيار دون وعي وبصيرة قد يوصل الإنسان إلى التهلكة فالقرآن يقول لنا أن: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ﴾ (غافر: ٦١).و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٦ ﴾ (الجاثية: ٢٦).

الطِّيب وإن قلّ ففيه البركة، والخبيث وإن كثر ففيه محق البركة، والعمل مع الإخلاص وإن قلّ ففيه القبول، والعمل مع الرياء وإن كثر فلا يساوي عند الله جناح بعوضة.

الأرزاق المعنوية.....

عندما نتأمل الدعاء المأثور والذي يقول: (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه) نجد أنفسنا أمام باب من أبواب الرزق، التي لا يدرك الناس أهميتها وبركتها.

هناك من وفّقه الله لمعرفة الحق (ورزقه) اتباعه، ووفقه لمعرفة الباطل (ورزقه) اجتنابه، وهناك من لم يُوفق لا لمعرفة الحق ولا الباطل ولم (يُرزق) اتباع الأول أو اجتناب الثاني، وهذا من أسوأ الناس حالاً.

والأسوأ ممن ذكرنا سابقاً، هو رجل عرف الحق، ولم يتبعه، وعرف الباطل، ولم يجتنبه، وهذا أسوأ ممن لم يعرف الحق والباطل، لأنه ترك الحق وسار وراء الباطل عن علم ومعرفة ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

لنكثر من ترديد هذا الدعاء والعمل بمضمونه (اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه).

القلب..... حياة الجسد والروح

تعتبر أمراض القلب (عافانا الله وإياكم) من أخطر الأمراض التي قد تصيب الإنسان، ولذلك يهتم الإنسان بصحة قلبه خوفاً من أن تصيبه (جلطة، أو ذبحة، أو سكتة) تفاجئه فيتوقف عن العمل، وبتوقفه تتوقف حياة الجسد ويموت.

هناك حياة أخرى للقلب لا بد من الاهتمام بها حتى لا يموت موتاً معنوياً، ويصاب بأحد الأمراض الخطيرة (كالرياء والنفاق والحسد وغيرها)، وهي أمراضٌ كفيلة بإصابة الإنسان بجلطة أو ذبحة أو سكتة في دينه علاقته بربه ونبيه وقرآنه، وإن مشى بين الناس وأكل وشرب، وقال بأنه حيّ.

الاهتمام بالقلب عضوياً يتمثل في الفحص الدوري، وتجنب ما يضره من مأكل ومشرب وغير ذلك، والاهتمام بالقلب روحياً يتمثل في الفحص الدوري (الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان... وغيرها)، وتجنب ما يضره من الآثام والمعاصي والسيئات.

صدق حبيبنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه حين قال: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).

قاصمة الظهر....

الكبر والغرور نفخة من نفخات إبليس للإنسان، حيث يُلقِي في نفسه أساسيات الكبر والغرور التي يرتفع بها مؤقتاً ولكنه يسقط بها سقوطاً مدوياً، يُقصَمُ بها ظهره، وينتهي بها شأنه، وللشيطان في هذا الباب طريقين هما:

الطريق الأول: هو طريق القوة والسلطة والمكانة والنفوذ، فيظن الإنسان نفسه قد صار قادراً على كل شيء، ومُتحكمٌ في كل أمر، فينفش ريشه كالطاووس متكبراً، ويتعالى على الخلق، وهنا تكون نهايته سقوطاً مدوياً.

الطريق الثاني: وهو طريق الطاعة ذاتها، فيُلقِي في نفسه أنه الأعلم والأتقى، والأعلى فكراً، والأكثر إنفاقاً، والأفضل جهاداً، والأشد محافظةً على الصلاة والصوم والتلاوة وغيرها، فيتكبر ويغتر ويتعالى على الخلق، وهنا تكون نهايته سقوطاً مدوياً.

كن على يقين من أن عطاء الله للعبد وتوفيقه له يتطلب منه أن يزداد تواضعاً لا تعالياً، وأغبياء هم، من يظنون أن الكبر والغرور صفة حميدة فالله تعالى يقول كما في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعز إزاري فمن نازعني في واحد منهما قصمته) نعوذ بالله من الخذلان.

الضيف في حكم المُضيّف

اعتدنا على ترديد هذا المثل (الضيف في حكم المضيف)، والذي نقصد به أن المُضيّف يتحكم بالضيف كما يشاء، وليس على الضيف إلا السمع والطاعة، وبالمناسبة فنحن نقول: حلَّ علينا شهر رمضان ضيفاً عزيزاً بعد غياب طويل، فهل رمضان ضيفٌ علينا أم نحن ضيوف على رمضان؟

إن كان رمضان ضيف علينا، فمعنى هذا أننا من يتحكم به، فنخضعه لعاداتنا وتقاليدنا في المأكل والمشرب والمشاهدة وغيرها من الأمور، بحجة أن الضيف في حكم المُضيّف.

إما إن كنَّا ضيوفاً على رمضان، فسيصبح هو المُضيّف ونحن الضيوف، وعندها سنترك لرمضان المجال أن يتحكم بنا، ويغير عاداتنا وتقاليدنا، ويمنحنا من أنواره وعطاياه التي لا تنفد.

ستقول ولكن..... عندها سأقول لك: إن الخيار بيدك فاختر أن تكون ضيفاً أو مُضيّفا، ويمكنك الاستفادة من تجربة الشاعر للجمع بين الأمرين حين قال:

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

تلك عشرة كاملة....

لن أتحدث عن التقسيم المشهور لعشر رمضان الأولى والثانية والثالثة، لأني أعتقد أن رمضان من أول ليلة إلى آخر يوم فيه لا تنقطع عن العباد (رحمة الله ومغفرته وعتقه لعباده من النار)، ولا أرى مناسبا أن تحصر أيام بعينها على صفة معينة بذاتها، ففضل الله وكرمه يتنزل على الشهر من أوله لآخرة، وهي كذلك في بقية الشهور وإن كان لرمضان خصوصيته.

عشرة أيام انقضت من رمضان، بمعنى أكثر من 33% مضت من رمضان بكل نفحاته وعطاياه، والسؤال الصحيح ليس كم مضى من رمضان؟ ولكن كم ربحت في هذه العشر، لأن رمضان بالنسبة لي ولك محطة للتزود والتعرض لرحمات الله.

عندما تقيّم نفسك في الثلث الأول من رمضان بصدق، فستكون عندك العزيمة لاستدراك الثلثين الباقيين منه، وهذا في حد ذاته نجاح يؤهلك للفوز بأكثر عطايا الله في هذا الشهر الكريم.

جميل أن تتقدم بتقدم شهر رمضان، وجميل أيضا أن تحاول الارتقاء والاكتمال مع اكتمال رمضان من نهايته.

التفكير... العبادة المهجورة

عدم التفكير والتفكر حتى مع وجود القراءة، يحوّل الإنسان إلى (أرشيف) لحفظ الملفات والأحداث والصور وغيرها، أو يتحوّل إلى (ذاكرة) بسعة معينة لتخزين البيانات والمعلومات.

التفكير كما أنه يشغّل العقل (فيتفكر) فهو يشغّل القلب (فيتدبر)، وتأمّل قوله تعالى تصديقاً لما ذكرته آنفاً: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ (آل عمران: ١٩١)." عمل العقل" ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾ " وعمل القلب " ﴿ سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

التفكير يحوّل الأفكار التي تقرأها وتفكر فيها إلى ملك لك، بدلا من أن تكونا ملكا لغيرك فقط، فتلاقح فكرتين ينتج فكرة ثالثة تكون أسمى من الفكرتين، وهي نتاج تفكر وتدبر يقوم به الإنسان في لحظة تأمّل رائع.

هناك من يرضى لنفسه أن يظل (الناطق الرسمي) باسم فلان وفلان من العلماء والمفكرين، والسؤال: متى يصبح الإنسان ناطقا رسميا باسمه وباسم أفكاره شخصيا؟ وهذا لا يعني عدم استفادته من أفكار الآخرين والبناء عليها.

العقل الواعي.... (فلترةٌ) لما نسمع

عندما وجَّهنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ (الزمر: ١٨). فقد حمّلنا المسؤولية في السَّماع وفي حُسن الاختيار، أي (فلترته) قبل قبوله أو رفضه، وهذه تَبَعَةٌ لا يدرك مداها إلا من يعي أهمية الكلمة ودورها في حياة الفرد والمجتمع.

هناك صنف من الناس يتعامل مع حاسة السمع إما بفتحها لكل ما يقال وتصديقه (لديه اسهال سمعي وعقلي)، وصنف آخر يقوم بإغلاقها تماما وعدم تصديق كل ما يقال (لديه إمساك سمعي وعقلي)، والصنفين لم يُحسنا التعامل مع حاسة السمع، ولم يستخدما العقل الواعي (الفلتر) بشكل صحيح.

وهناك صنف عجيب من الناس ولديه (فلتر) ولكنه يفتحه ويغلقه حسب هواه، ومن ثَمّ يصدّق أو يكذِّب حسب نوعية المتكلم أو مصدر الخبر، فإذا كان المتكلم أو الخبر ممن يحبهم، فتح (الفلتر) على آخره واستقبل وصدّق، وإن كان الخبر أو القول كاذبا، أما إذا كان المتكلم أو الخبر ممن يبغضهم أغلق (الفلتر) تماماً، ورفض الاستقبال والتصديق، وإن كان الخبر أو القول صادقا.

وكما نقول في المثل: " من شق (من جهة) يدخل حمار ومن شق يقط (أي يقطع) المسمار." ولذا فنحن بأمسِّ الحاجة إلى أناس يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وينطلقون من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات: ٦). ويستخدمون العقل الواعي (الفلتر) في كل ما يسمعون ويقرأون ويشاهدون.

الجهل والحماقة جنديان من جنود الباطل...

كمعادلة يتفق عليها الجميع، فنجاح الفكرة الصحيحة، يتطلب أن يكون من يمثلها في مستواها، ومن يستقبلها في مستواها. بينما تفشل الفكرة الخاطئة لكونها خاطئة، ولحماقة من يمثلها، ومن يستقبلها.

وتنجح الفكرة الخاطئة في إحدى حالتين: الأولى: إذا وجدت من أهل الذكاء والدهاء من يسوِّقها ويزيّنها، ووجدت من أهل البلادة والسذاجة من يستقبلها. والثانية: إذا وجدت من أهل الجهل والحمق والغلظة من يعارضها ويفندها، وبدلاً من دحضها يقوم هؤلاء (بتسويقها) ونشرها فتنجح (ولو إلى حين).

وتفشل الفكرة الصحيحة إذا ابتليت بمن لا يحسن تمثيلها، بل يسيئ إليها، ويُكرِّه الناس فيها، ووجدت من أهل البلادة والسذاجة من يصدق ما يقال حولها، فتفشل (ولو إلى حين).

وتنجح الفكرة الصحيحة إذا ابتليت بخصم حقود غبي، فيقوّيها من حيث يظن أنه يضعفها.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

من حكمة الله أنه قد جعل الباطل جندي من جنود الحق، ومن حكمته أيضاً أنه قد جعل الجهل والحماقة جنديان من جنود الباطل.

التركيز..... زيادة في الإنتاج والأجر

عندما أخبرنا الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه أنه: (ليس لابن آدم من صلاته إلا ما عقل منها)، فإنما أراد توجيهنا إلى أهمية التركيز والانتباه، وترك (الآلية) في العمل، عند أداء هذه الفريضة وفي غيرها من العبادات والأعمال التي يقوم بها الإنسان.

وعندما تجتمع غالبية الحواس على عمل فستكون إنتاجيته كبيرة، وأجره أكبر، إذا ابتُغي بهذا العمل وجه الله، بعكس ما إذا كان الإنسان مشتتاً، وكل حاسة تعمل في واد غير الوادي الذي تعمل فيه بقية الحواس، عندها تقلُّ إنتاجية العمل، وينقص مستوى الأجر.

خذ مثلاً من حياتنا: عندما تقرأ القرآن تشترك أكثر من حاسة في هذا العمل، فالعين (تنظر)، واللسان (يرتل)، والأذن (تصغي)، والعقل (يتدبر)، والقلب (يخشع)، كم ستكون الإنتاجية في هكذا عمل، وكم مقدار الأجر إذا صدقت النيات؟

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفرٌ ولا إخفاقُ!

بيت من الشعر موجع للغاية، لمن كانت عزائمه مشتتة، تنتثر أمام عينيه كل مشاريعه الدنيوية والأخروية.

النجاح..... استمرار وتجديد

كثيرون، يعتبرون أن الوصول إلى قمة النجاح هو نهاية المطاف، ولم يدركوا أن الوصول إلى النجاح هو بداية التحدي، وأن الاستمرار في قمة النجاح، هو النجاح الحقيقي في حياة الإنسان.

وكثيرون أيضا، يعتبرون البقاء في قمة النجاح هو النجاح الحقيقي في حياتهم، حتى وإن تكلسوا في هذه القمة، وصارت حياتهم ونجاحهم ممل وروتيني لدوام تكراره، وقد يصبح هذا النجاح عادة لا يجد الإنسان فيه ومعه لذة ومتعة.

لنضرب مثالا قريبا في حياتنا: لو اعتبرت أن صيامك لرمضان نجاح، ومداومتك على صلاة الفرض نجاح، واستمرار قراءتك للقرآن نجاح، سأقول لك: نعم هو نجاح ولكن ماذا بعد؟ مع الأيام والتكرار سيصبح صومك وصلاتك وتلاوتك للقرآن عادة تكررها بشكل روتيني دون أن تشعر بلذة التجديد فيها.

الصلاة عند نبينا صلوات ربي وسلامه عليه هي (قرة عينة) ووظيفتها (أرحنا بها)، والصوم والقرآن وبقية العبادات لها لذتها مع وجود التجديد فيها، لا تحويلها إلى عادة وروتين.

إذا ليس النجاح أن تصل إلى القمة، بل النجاح الحقيقي الاستمرار في هذه القمة والتجديد المستمر والحيوي لمفردات النجاح التي حققتها.

العبادة.... روح وشكل وثمار

معظم الفرائض والعبادات الإسلامية لها روح وشكل وثمار، فروحها (الإخلاص) وشكلها (المتابعة) وثمارها (التزكي)، وأي عبادة تغيب عنها هذه الثلاث أو إحداها فهي عبادة فيها نظر وقد يفارقها القبول.

شكل العبادة لا يغني عن روحها، وشكلها وروحها لا يغنيان عن ثمارها، فعبادة الصوم مثلاً شكلها (الإمساك: وهو الامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس)، وروحها الإخلاص لله (إيماناً واحتسابا)، وثمارها أن تكون داعية للخير (كان أجود

من الريح المرسلة صلوات ربي عليه) ومانعة للشر (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

الكثير منا ربما يهتم بالشرطين الأولين (الروح والشكل) ويُغفل الشرط الثالث وهو (الثمار) التي تظهر في حياة الإنسان وسلوكه وتعامله مع الإنسان والحيوان والجماد.

كم نردد كثيرا أن هذه العبادة لا روح فيها، وقد جاء الوقت الذي نردد فيه هذه العبادة لا ثمار لها. "من ثمارهم تعرفونهم" .

العقل والعاطفة.... من يقود من؟

ستقولون حتماً العقل هو الذي يقود العاطفة وهذا كلام سليم ولكن ليس على إطلاقه، فالعلاقة بينهما هي علاقة توجيه وترشيد من قبل العقل للعاطفة، وليس تحويل العاطفة إلى تابع جامد يحسب كل شيء بالسنتيمتر والجرام.

العاطفة من طبيعتها الاندفاع و(الخطام) مع العقل، ليس لإيقافها بل لتوجيهها للطريق الصحيح، والعاطفة من طبيعتها التقلّب والتجاوز، وحكمة العقل ليس منعها بل ترشيدها بحيث تعرف متى (تحب ومتى تكره مثلا) ، ومقدار ذلك حتى لا تبالغ وتتجاوز.

العقل الناضج الذي يقود العاطفة بحكمة هو الذي لا يترك للعاطفة الحبل على الغارب ولا يشده عليها حتى ينقطع، فالعاطفة كالطفل أنت في حاجة إلى تربيته وفي حاجة كي لا تخسره. "فالمنبت (أي المسرع الصارم) لا راحلة أبقى ولا أرضا قطع" كما قال حبيبنا صلوات ربي وسلامه عليه. اجعلوا العقل للعاطفة مرشداً ودليلاً، لا آمراً وسجاناً، لتربحوا الإثنين معاً.

الجسم والروح.... وعلاقة التوازن.

كثيرون هم من يخدمون أجسامهم على حساب أرواحهم، وقليلون . بل ونادرون . هم من يخدمون أرواحهم على حساب أجسامهم، وأقل القليل، هم من يخدمون أرواحهم وأجسامهم بطريقة متوازنة.

(الجسم) هو راحلة (الروح) ولا بد له من غذاء ليواصل السير، و(الروح) هو حياة (الجسم) المادية والمعنوية، ولا بد له من غذاء ليواصل إمداد الجسم بالحياة.

قد يُقصِّر الإنسان في تقديم غذاء لجسمه ولكن قد تأتي أيام خصب ونعمة فيعوض عن أيام التقصير، وكذلك مع الروح، حيث والتقصير وارد وبصورة أكبر، وهنا تأتي مواسم الخصب والبركة ومضاعفة الأجور، لتعوض أيام وأشهر الجفاف والشدة المُبعدة عن الله. إن لبدنك عليك حقا، وإن لروحك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، .كما قال الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه . واستغل مواسم الخير، لتعوض ما جرى من تقصير.

كن أخاً رابعاً....

في رمضان يلتقي ثلاثة إخوة في صورة نورانية بديعة، تَجِلُّ عن الوصف، والإخوة هم: (الصلاة والصيام والقرآن)، وكلهم أنوار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النور: ٣٥).

الإخوة الثلاثة تجمعهم صفة واحدة هي صفة (الكرم) فالقرآن (الكريم) ورمضان (الكريم) والصلاة هدية الله (الكريم).

الإخوة الثلاثة يتناغمون مع بعضهم، ويُكمِّل بعضهم بعضاً، وتجمعهم صلة القرابة والجوار باستمرار، فالقرآن نزل في رمضان، ورمضان شهر القرآن، والصلاة روحها القرآن، ومتعة الصيام والقيام وتلاوة القرآن تكون في أيام وليالي رمضان.

هؤلاء هم الإخوة الثلاثة، وتستحق أن تكون الأخ الرابع لهم، تجالسهم، وتسامرهم، وتقتبس من أنوارهم، وتتحلى بصفاتهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧) .

من معاني الإمساك....

عندما تمسك عن المفطرات، وتمسك جوارحك عن المكروهات والمحرمات، فهذا يدل على أنك لا زلت المتحكم في نفسك، وأنها لا زالت طوع أمرك، وهذا يحسب لك.

في الإمساك عن المفطرات، تدريب للنفس على إمساكات أخرى أنت محتاج لها، كإمساك نفسك عند الغضب، وإمساك لسانك عند الجدال، وإمساك مشاعرك عند الحوار.

من استطاع إتقان فن الإمساك فإنه يستطيع اتقان فن الاطلاق. سيطلق لسانه بطيب القول، ويده بطيب العطاء، وقلبه بطيب النقاء. أمسك عندما يكون هناك وزر، وأطلق عندما يكون هناك أجر.

تأملات فكرية

بيعة سارق....

البعض يتعامل مع أفكاره التي يعرضها للناس مثل (السارق الذي يبيع ما سرق)، فليس عنده استعداد للمناقشة (اشتري الحاصل)، وليس عنده إمكانية لإرجاع البضاعة (لأنه لا يعطي ضمانة)، وأنت وحظك قد تكون البضاعة (الأفكار) صحيحة أو خاطئة، أو تحتاج إلى تعديل، ولكن صاحبها لم يعط ضمانة (لعيوب الصناعة).

يا صاحب الأفكار الناضجة: إعط الآخرين ضمانة، ووقتا لاستخدام هذه الأفكار وتمحيصها ووضعها على المحك، وتقبل بكل أريحية أن يتم إعادتها إليك لوجود (عيوب من المصنع)، وعليك إصلاح عيوبها وإعادتها (للزبون) مع ابتسامة ودودة.

ضمانتك لأفكارك لا يمكن تحديدها بوقت، بل هي ضمانة مدى العمر، وانتظر إرجاع البضاعة (الأفكار) في أي وقت.

وأنت في حِلٍ من عدم ضمانة أفكارك إذا لم يكن عيبها من المصنع، بل من سوء استخدام الزبون لها، وفي هذه الحالة يتحمل المسؤولية الزبون وليس البائع.

أصحاب الأفكار الناضجة محلاتهم مفتوحة، لأي استفسار أو شكوى أو ارجاع للسلعة، بينما أصحاب الأفكار المهزوزة والمسروقة (تايوان كما نقول)، يبيعون لك مرة واحدة (بيعة سارق).

الزاوية القائمة ... الإسلام حسنة بين سيئتين...

سيبقى التطرف أسهل على النفس وأحب إليها، كما يُعدُّ التزام النفس بالوسطية تحدٍ كبير لها وقلما توفق له، وتستمر عليه.

الوسطية حالة من الانتباه المستمر خوفاً من الانزلاق إلى هذا الطرف أو ذاك (إفراطا أو تفريطا)، وأحد الطرفين أو كلاهما محبب للنفس.

جاء الإسلام كدين (وسطي)، ليصنع أناسا يتغذون على الوسطية، قولا وعملا، فلا إفراط ولا تفريط.

ولو أننا شبهنا سلم القيم بالزاوية التي تتدرج بين الصفر و180 درجة لوجدنا أننا أمام ثلاث زوايا رئيسية:

زاوية حادة أكثر من صفر وأقل من 90 درجة.

زاوية منفرجة أكثر من 90 إلى 180.

زاوية قائمة 90 درجة على جهتي الخط القائم.

لاحظ أن أي نقص في الزاوية الحادة يقابله زيادة في الزاوية المنفرجة، والعكس صحيح، وكلما اقتربنا من الخط المستقيم كلما تساوت الزاويتان (90 درجة).

وتأمل معي الآن كيف وضع الإسلام أسس الوسطية، خذ بعض الأمثلة: الإسلام لم يأمرك بالبخل (زاوية حادة) ولم يأمرك بالتبذير (زاوية منفرجة) ولكنه حبّب إليك الكرم (زاوية قائم).

الإسلام لم يأمرك بالجبن، ولم يأمرك بالتهور، ولكنه دعاك إلى الشجاعة. الإسلام لم يأمرك بالصمت، ولم يوجب عليك الكلام، ولكنه وجهك عند الكلام ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

الإسلام لم يطالبك بأن تكون مدّاحا، ولا يريدك أن تكون ذمّاماً، ولكنه أوجب عليك في حال تكلمت الإنصاف.

الإسلام لم يطالبك بترك الدنيا، ولم يطالبك بترك الآخرة، ولكنه أراد لك الدنيا سبيلا إلى الآخرة.

وهكذا مع بقية القيم... وأي إفراط أو تفريط في قيمة من القيم يوقع الإنسان في أحد الجانبين (زاوية حادة أو منفرجة).

صديقي الطيب: عندما تكون قائما (زاوية قائمة) بصدق، على منهج الله فهناك ثم الوسطية، وما عن يمينها وشمالها إفراط أو تفريط.

والتحدي الذي يواجهه كل منا هو أن يُوسّع (الزاوية الحادة) في تعامله وتفكيره حتى تصير (زاوية قائمة)، ويُضيّق (الزاوية المنفرجة) حتى تصبح أيضا (زاوية قائمة)، ولكل منا نصيبة قربا وبعدا عن الزاوية القائمة.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

المرآة المستوية.... تعرفك نفسك وغيرك

في علاقاتنا مع ذواتنا ومع بعضنا البعض، كثيرا ما نلجأ إلى استخدام المرآة المقعرة (المُصغِرة)، والمرآة المحدبة (المُكبِرة)، في تقييمنا لذواتنا ولغيرنا، ونُعرض عن استخدام المرآة (المستوية)، التي تظهر الأشياء على حقيقتها، وكما هي في الواقع.

نستخدم المرآة المحدبة (المُكبِرة) مع ذواتنا لنكبّر بها حسناتنا ونضخمها، بينما نستخدم المرآة المقعرة (المُصغِرة)، مع سيئاتنا وعيوبنا لنُصغّرها، ونعمل على تلاشيها، وفي المقابل وبصورة عكسية، نستخدم المرآة المحدبة مع خصومنا، لنكبّر سيئاتهم ونضخمها، كما نستخدم المرآة المقعرة لنُصغّر حسنات الخصوم حتى تتلاشى، وتلك والله قسمة ضيزى، أتدرون لماذا؟

سأقول لكم لماذا؟ لأن المرآة المحدبة (المكبّرة) في حالنا تجعلنا نطمئن إلى ما لدينا ونُعرض عن نقد الآخرين لنا، ونظن أننا على المحجة البيضاء، وهي في حال خصومنا، تظهرهم وكأنه لا شيء عندهم، وكأن حتى حسناتهم سيئات، فنغتر بما عندنا، ولا نستفيد مما عند غيرنا.

ولأن المرآة المقعرة (المصغِرة) في حالنا، تُظهرنا بلا عيوب، وتظهر الخصوم وكأنهم بلا حسنات، وفي هذه الحال، لا نحن الذين عرفنا عيوبنا، وحاولنا إصلاحها، ولا نحن الذين أنصفنا خصومنا، واستفدنا من حسناتهم.

صديقي العزيز: التقييم بالمرآتين السابقتين (المحدبة والمقعرة) خطأ على الذات وعلى الآخرين، ونحن مُطالبون باستخدام المرآة (المستوية) التي تُظهرنا على حقيقتنا، وتُظهر خصومنا على حقيقتهم، فنستفيد من حسناتنا وحسنات خصومنا، وننميها ونبني عليها، كما نستفيد من سيئاتنا وسيئات خصومنا، بمحاولة إصلاحها، وتجنب الوقوع فيها، وعدم تكرار السقوط فيها مستقبلا.

أخيرا انظر وتأمل معي المرآة القرآنية المستوية والسوية في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء: ١٣٥).

وتسع لما في نفسي ...

هذه مقولة تاريخية قالها أحد الغلاة في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقد طعن هذا المتطرف عثمان بن عفان رضي الله عنه اثنى عشرة طعنة، وقال قولته المشهورة: طعنته اثنى عشرة طعنة، (ثلاث لله وتسع لما في نفسي)، والواقع أنها كلها لما في نفسه.

أشباه هذا طعنوا عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهما في المحراب تقربا إلى الله وقد كذبا، فما فعلا ذلك إلا لما في نفسيهما على هذين العملاقين.

إن ما يجري في العالم الإسلامي والعربي بوجه خاص يعتبر من هذا النوع، فهناك سفك للدماء وإزهاق للأرواح، باسم الله وتقربا إلى الله كما يزعمون، وفي حقيقة الأمر أن ذلك لما في نفوسهم، ونفوس من يديرونهم.

إن هذا القتل البشع الذي يبدأ بالتكبير وينتهي بالتحميد، وما بين التكبير والتحميد " أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس " ليس لله مطلقا، ولا لخدمة دينة أبداً، وإنما هو لما في الأنفس المجرمة، ولخدمة أهداف لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة.

إن هذه الطعنات الغادرة القاتلة والتي تتستر تحت شعار أنها (لله) قد سفكت دماء ثلاثة خلفاء راشدين، وها هي نفس الطعنات، وإن تغيرت وسيلتها إلى (أحزمة ناسفة أو سيارات مفخخة أو غيرها) تسفك دماء المسلمين بلا رحمة، وتحت نفس ذاك الشعار الذي ظاهره الرحمة، وباطنه من قبله العذاب.

أيها الأفاضل: إذا شاهدتم مثل هذه الطعنات بوسائلها الحديثة تفتك بالمسلمين، وتخدم أعداءهم، فهي لما في نفوس أصحابها ومن يديرهم، ولا يغرنكم منها شعار زعيمهم (ثلاث لله وتسع لما في نفسي) فهي كلها لما في أنفسهم.

تبادل القذارات...

المعذرة منكم أيها القراء على هذا العنوان والذي لم أكن أرغب في الحديث عنه. ولكن أحيانا تدخل على صفحة لأحد المفسبكين فتصاب بالذهول مما يجري فيها، ليس تبادل كلمات ولا حتى تبادل شتائم، بل وصل الحال إلى تبادل قاذورات (أعز الله أذواق القراء)، وكأنك دخلت على مجاري لا صفحة مفسبك. ووجهة نظري أن من يتبادلون مثل هذه القذارات أحد ثلاثة أشخاص:

الأول: يمكن تسميته بصاحب (الدفع المسبق) فهو يُقذِع في السب والشتم على قدر ما يُعطى له، وتجد هؤلاء بأسماء مستعارة وألقاب وهمية.

الثاني: شخص تطبّع على البذاءة فصارت له خلقا، يتعامل به مع الآخرين، ولا يجيد غيره (وكل إناء بما فيه ينضح).

الثالث: شخص تتملكه الحماسة، وتخونه العبارة، فيكتب كلاما يقارب كلام السابقين، ولكن لا زال فيه بقية حياء إن أحسنا التعامل معه، فهو أقرب للعودة إلى طهارة اللسان.

يا الله إلى أي درجة وصل البعض منا في الوضاعة والدناءة والبذاءة.

نصيحتي لكم أن تتركوا هذه الصفحات وتتجنبوا الخوض فيما يخوضون. فالدناءة والبذاءة ... تعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ.

البشر ليسوا ملائكة ولا شياطين...

تعودنا في تعاملنا مع بعضنا على الحدِّية (إما... وإما)، إما أبيض وإما أسود، إما ملاك وإما شيطان، إما مقدس وإما مدنس، إما حق مطلق وإما باطل مطلق، وهكذا....

وطبيعة البشر ليست بهذه الحدية، فليسوا ملائكة وليسوا شياطين، بل فيهم من هذا وذاك، ولا يمكن أن نقول أن هذا ملَك 100%، وأن هذا شيطان 100%.

حتى الإنسان الفرد تأتي عليه فترة يكون فيها أقرب إلى الملائكة بأعماله، وفترة أخرى يكون فيها أقرب إلى الشياطين بأعماله.

والمجتمع الراشد الذي يريد رفع مستوى الخيرية بين أفراده، هو المجتمع الذي يتعامل مع الناس بهذه النسبة، فيكون ناصحا ومنتقدا في حال كون هذا الإنسان يقترف أعمالا سيئة، لكي يعود إلى جادة الصواب، ويكون مشجعا وداعما، لمن يعمل أعمالا صالحة، وبهذا يُكمّل المجتمع بعضه بعضا، ويرتقى الناس برقي أخلاقهم، وحسن علاقتهم، القائمة على الصدق والنصح.

وعندها سيكون في المجتمع الإنسان الشرّير، الذي فيه بعض صفات الخير، والتي ستنمو في مجتمع النصيحة، كما يكون في المجتمع الإنسان الخيّر، الذي فيه بعض صفات الشر، والتي ستقلُّ في مجتمع الصدق، وسيكون في المجتمع الإنسان الخصم، الذي فيه بعض صفات الصديق، كما يكون فيه الإنسان الصديق، الذي فيه بعض صفات الخصم، وسيكون هناك المصلح الذي فيه بعض صفات المفسد، والمفسد الذي فيه بعض صفات المصلح... وهكذا في بقية الصفات.

أما في مجتمع النفاق والمجاملة، فيُمدح المحبوب، على خيره وشره، وعلى صدقه وكذبه، وعلى صلاحه وفساده، ويُذم غير المحبوب، على شره وخيره، وعلى كذبه وصدقه، وعلى فساده وصلاحه.

ففي حال المحبوب، يتم التغاضي عن مساوئه، التي تدمره وتدمر المجتمع معه، وفي حال غير المحبوب، يتم التغاضي عن محاسنه، التي يمكن أن تنفعه وتنفع المجتمع.

لكل فرد (صفحات بيضاء)، تقل أو تكثر، كما أن له (صندوقا أسودا)، يقل أو يكثر ما بداخله، والمجتمع الناضج هو الذي يتعامل مع أفراده بهذه العقلية، وبهذه النفسية، وبهذه النسبة، ليرفع رصيد (الصفحات البيضاء)، ويقلل مما بداخل (الصناديق السوداء)، حماية للمجتمع، وسعيا للرقي به.

ومن طلب أخا بلا عيب فلن يجده. وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه.

اتجاه اجباري...

لا حظوا كيف تسير أحداث العنف في الوطن العربي بطريقة غير معقولة، وهناك من يغذيها ليزداد لهيبها، بل ويتم اقتراف جرائم حرب بشعة، لا يمكن أن يستوعبها من لديه أدنى ذرة من عقل.

ومن يغذون هذا الصراع والعنف بطريقة أو بأخرى، يوحون لمن يقترفون هذه الجرائم، أن ما أنتم فيه طريق إجباري، لا يمكنكم التراجع عنه، لأن ما اقترفتموه من جرائم سيكون سببا للنيل منكم.

ولذا فقد انطبق على هذه الحال المثل القائل: (تغدى به قبل ما يتعشى بك)، والمستفيد الأكبر هو من يُسوِّق مثل هذه السياسات، التي أكلت الأخضر واليابس.

الوحدة اليمنية..... وحديث العقل

المشاريع الاستراتيجية الكبيرة، تحتاج إلى عقول في مستواها، تعمل على ترسيخها حتى تستقر، وتؤتي ثمارها، وهذه المشاريع الاستراتيجية الكبيرة، لا تناسبها الأنظمة والشخصيات العاطفية المزاجية المتقلبة، لأنها تعمل على انتكاستها، وانتكاستها لا تعيدها إلى ما كانت عليه قبل بدئها، بل إلى ما هو أسوأ من ذلك.

والوحدة اليمنية من المشاريع الاستراتيجية، للأمتين العربية والإسلامية، وهي مشروع كان يجب التعامل معه بالعقل والمصلحة، قبل العاطفة والمزاجية، وهذا مالم يدركه من قادوا المرحلة، فغلبوا جانب العاطفة على جانب العقل.

توحَّد شطري اليمن في نفس العام الذي توحَّد فيه شطري ألمانيا، وربما سبقناهم في اليمن بأشهر، لكن المآلات التي وصلت إليه الوحدتين مختلف تماما، وحدة ألمانيا حكمها العقل والمصلحة لكلا الشطرين، ووضعت أسس متينة تمنع الانتكاسة، وتحولت مع الوقت من وحدة تصدرتها أنظمة وشخصيات في بدايتها، إلى وحدة أمسك بزمامها الشعب، لا مجال فيها للأمزجة والتقلبات العاطفية.

بينما الوحدة اليمنية حكمتها العاطفة، وبقيت الشخصيات التي كان لها شرف التوقيع على وثيقة الوحدة هي التي تدير ملف الوحدة، وبقي حديث الوحدة العاطفي هو الذي يقود سفينة الوحدة، وظهرت الشعارات العاطفية (الوحدة أو الموت، فك الارتباط، انفصال الجنوب، ...)، ولم تعد الوحدة التي يحكمها العقل والمصلحة، بل تحولت قضية متنازع عليها، تهدر فيها الطاقات وتشحن فيها النفوس بالعداوات، وبدلا من أن يصبح مصيرها بيد الشعب، صار مصيرها بيد شخصيات، من هذا الطرف أو ذاك، وصار حال الشعب المغلوب على أمره في حالة انفصام، لا هو في وحدة يحسُّ فيها بالاستقرار، ويجني ثمارها، ولا هو في انفصال، فيعيد بناء نفسه، ويكفي شره الطرف الآخر.

كعرب مشاريعنا الوحدوية غير مبشرة، لأننا نبنيها على العواطف، التي ستكون في المستقبل أحد عوامل الانتكاس، ولا نُحكِّم العقل والمصلحة، كما تعمل الأمم التي تتطلع إلى المستقبل.

إن كان هناك بقية من عقل، وذرة من وطنية وقومية، وبقية من ضمير إسلامي، فسيتم تدارك ما يمكن تداركه، ووضع صيغة لوحدة يمنية، يحكمها العقل والمصلحة، وهذا ليست مصلحة اليمنيين وحدهم، ولكنها مصلحة قومية وإسلامية، وعدم إدراك ذلك الآن وبأسرع ما يمكن، سيكلفنا كيمنيين الكثير، كما سيكلف الآخرين عربيا وإسلاميا الكثير والكثير. ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (غافر: ٤٤).

حفظ الله اليمن موحدا، ورد الله لليمنيين عقولهم لإصلاح ذات بينهم، وبصرهم الله بمواطن الخلل والزلل، حتى يتجنبوها، ورد عن اليمن واليمنيين كل تآمر وحقد.

يا ابنة 26 ربيعا (العيد السادس والعشرين لإعلان الوحدة اليمنية)، يا زهرة متفتحة، يا أمل من يملك ذرة وطنية وقومية ودين، حفظك الله من أبناءك قبل الأجانب، وحفظك من أصدقاءك قبل أعدائك. أمنيتي أن يراك أبنائي وأحفادي ويمد الله في عمرك ليصبح بمئات وآلاف السنين.

أزمة ثقة... الشفافية والصراحة تديم الثقة.

المسيحي يثق في المسيحي، وعندما يخون هذه الثقة يحاسبه، واليهودي يثق في اليهودي، وعندما يخون هذه الثقة يقاضيه، وكذلك الحال مع بقية الأديان السماوية والأرضية، ولذا فقد ازدهرت عندهم الجمعيات بمختلف أنواعها، ومنظمات المجتمع المدني بكل أطيافها، وغير ذلك من المؤسسات المجتمعية اللاربحية، واستفادت منها مجتمعاتهم بشكل كبير.

بينما المسلم واقع بين تطرفين في موضوع الثقة هما:

الأول: الثقة التي ليس فيها شفافية ولا صراحة ولا محاسبة، والتي نطلق عليها (الثقة العمياء)، فمن وثقنا به سلمنا له كل الأمور، وتركناه اعتمادا على هذه الثقة المطلقة حتى يفسد، ويضيع بفساده العمل الذي كان يخدم المجتمع، ولو تم التعامل معه على كونه إنسان، يخطئ ويصيب، ويحاسب، لما وصلنا إلى هذا المآل.

وتركنا المثل الذي نردده كثيرا وهو: (إذا قد بيت الله بيوطّل «يسرب ماء» أين الكِنان «بمعنى أين نستظل»)، وأقولها بصراحة، نعم قد (يوطّل)، لكن المحاسبة والشفافية والصراحة، تعيده سليما صحيحا.

الثاني: عدم الثقة، بحيث يصبح الشك وسوء الظن هو سيد الموقف، ووفقا لذلك تتوقف كل المصالح المجتمعية القائمة على الجانب الطوعي، وإذا وجدت مبادرات من

أشخاص، تجد المجتمع يتخذ منها موقفا متشككا، ولسان الحال يقول: (يعلم الله ما معه فيها...!). وأصبح حال المجتمع كما قال الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عِداته وأصبح في ليلٍ من الشك مظلم

والموقف الصحيح السوي، هو أن يثق المجتمع، ويحاسب، لتستمر عجلة العطاء، في خدمة المجتمع.

الصديق الضار.... والعدو النافع

أغلب الناس، يعتبرون من ينتقدهم في بعض تصرفاتهم الخاطئة عدواً، أو كارهاً لهم، وهذا خطأ كبير. فالصديق الذي يراك على خطأ ولا ينصحك ولا ينبهك، فهو (صديق) في صورة (عدو)، ينتظر أن تتكاثر عليك سيئاتك وأخطاءك حتى تسقط.

والعدو الذي ينقدك وينبّهك ويحذّرك (بصدق) إذا وجدك على خطأ، ولو كان في انتقاده قسوة عليك، هو (عدو) في شكل (صديق)، وهذا ينفعك كثيرا، حتى لا تقع فيما يسقطك.

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومنة فلا أبعد الرحمن عني الأعاديَ

همُ بينوا لي زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فارتقيت المعاليَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ (المائدة: ٧٨ ، ٧٩).

الإنصاف يصنع المصداقية...

إذا تستّرت عن (سيئات) من تحبهم، فلن يصدّقك الناس عندما تتحدث عن (حسناتهم). وإذا تعمدت إخفاء (حسنات) من تكره، فلن يصدقك الناس إذا تحدثت عن (سيئاتهم).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٢

من الآخر....

إذا لم تكن هناك نية خالصة وصادقة لإحلال السلام والاستقرار في اليمن، فو الله لو وقَّع المتحاورون اتفاقيتهم في (جوف الكعبة)، فإنهم سينقضونها في اليوم الثاني.

ولو صدقت وخلصت النيات، فنصف ساعة تكفي، في الكويت أو في غيرها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ النساء: ٣٥

من كبرت له كبرت عليه...

كان لأحدهم مزرعة له فيها الكثير من الأغنام، وكان فيها كباش سمينة يُعدَّها للذبح، وأخرى هزيلة، يعزلها ويؤجلها، حتى تسمن. فقال له صاحبه الذي كان بجواره يشاهد المزرعة معلقا على حال الكباش: أظن أن الكباش السمينة عاقلة والكباش الهزيلة حمقاء!؟

فرد عليه صاحب المزرعة ضاحكا: (لو عِقلَين ما سِمنَين)، أي لو كان لديهن عقل ما أكلن بشراهة حتى يصبحن سمينات معرضات للذبح. فعلا من كبرت له كبرت عليه، والسيل حرب للمكان العالي.

من عجائب الفيسبوك.... (1)

من عجائب الفيسبوك، أنك تجد أن لكل كاتب أو مفكر (زبائنه)، ولو تأملت فيما ينشر، وراجعت من يعجب أو يعلق أو يشارك، ستجدهم في الغالب هم ذاتهم في كل منشور، فهل ما ينشره هذا الشخص صحيح في كل مرة؟! (هذا موجه لمتابعيه)، وهل ما ينشره خطأ في كل مرة (وهذا موجه لمن يقاطعونه)؟!.

نستنتج من هذا أن أغلب المتابعين للصفحات، متأثرين بالشخص أو معجبين به فقط، لا بما ينشر، وهذا من الرزايا.

أحسنوا استخدام عقولكم، وتعلقوا بالفكرة الصائبة المبدعة، وقوموا بإثرائها، لا بمجرد الإعجاب فقط بل بالتعليق والإضافة. وانتقدوا الفكرة الخطأ (لا الشخص) بكل تجرد وموضوعية. خذوا الجميل من كل وعاء وشخص، ودعوا القبيح من كل وعاء وشخص.

من عجائب الفيسبوك.... (2)

بعض المتابعين للفيسبوك، يريدك أن تكتب ما يريد هو، وما يقتنع به هو، ليشاركك التعليق، أو الاعجاب، أو مشاركة المنشور.

هو يريدك أن تكتب ما يجول في خاطره هو 100% (على المسطرة)، لا يزيد مليما ولا ينقص مليما، ليتفاعل معك.

يا ناس يا عالم، لسنا في برنامج (ما يطلبه المستمعون)، ولكننا في صفحة نقاش.

اعتبر ما نشره الآخرون صحيحا بنسبة 70%، وأن عليك إكمال النسبة الباقية 30%، من خلال التعليق، بالإضافة، أو النقد البناء، أو المناقشة، أو طلب التوضيح للنقاط المختلف فيها أو..... أما الدعْمَمه (وسبحان من خلق الدعممه)، فهي أسلوب للهروب، خاصة عندما تكون مع مواضيع تستحق الإثراء.

من عجائب الفيسبوك... (3)

سأضع بين أيديكم ثلاثة نماذج لصفحات المفسبكين:

الأولى: صفحة لمفسبك يكتب أو يلصق منشورا مستفزا وجارحا وصارخا.... ثم يتوارى، ويترك المعلقين (وهنا بالذات يكثر المعلقون)، يتركهم يتشاتمون، ويتبادلون الاتهامات، والخيانة والكلام القبيح، (حفلة ردح وحديث وساخة)، وهو يتفرج عليهم من وراء شاشته، ويضحك على عقولهم، وربما يجني فائدة من وراء ذلك، فتصبح صفحته ساحة للنزاع والصراع، وشحن النفوس بالحقد والكراهية والمناطقية والمذهبية، ويعتبر

صاحب هذه الصفحة (محارش ومطابز) درجة أولى، والأفضل ترك الاعجاب أو التعليق أو المشاركة لمنشوره.

الثانية: صفحة مفسبك كثير المنشورات من كل (ما هب ودب) من منشورات، أو صور، أو مقاطع فيديو، فتجد له في اليوم الواحد ما يزيد على عشر منشورات، وكلها من هنا وهناك، وتجد بعضها يناقض بعضا، ويمكن تشبيه صفحته بموقع (صحافة نت الإخباري)، الذي يأتي بالخبر ونقيضه، إضافة إلى ترويج الأخبار الكاذبة.

ولا أعارض إعادة المشاركة للمنشورات الرائعة، ولكن ليكن هناك نوع من الانتقاء والاختيار، احتراما للقراء الذين يتابعون صفحتك، لا يكن أحدنا مثل (حاطب الليل)، يجمع الجيد والرديء، وكما نحب أن نتابع المنشورات الجميلة من الغير، لا بد أن نهديهم أجمل ما لدينا.

الثالثة: صفحة مفسبك... أترك لكم تخمينها لأنها نموذج لعدد كبير من أصدقائي الأجلاء، ولا أريد أن أجرح مشاعرهم... ولكن كما قيل كل لبيب بالإشارة يفهم.

من عجائب الفيسبوك... (4)

تستوقفك صفحات بعض المفسبكين بكثرة عرضها لصور بعض الزعماء (صدام حسين، إبراهيم الحمدي، جمال عبد الناصر، حسن البناء، الخميني، أحمد ياسين، جيفارا، وغيرهم طبعا، هذا ممن رحلوا عنا، وأضعاف ذلك ممن لا زالوا أحياء)، ولو كان إنزال الصور في مناسبات معينة كمولد أو وفاة أو حادثة تاريخية بارزة لهان الأمر، ولكن أن تجد هذه الصور أمامك في الصفحات يوميا وأحيانا، مع تعليقاتها المتطرفة (لن يجود الزمان بمثله، هذا سبب نهضة العرب، هذا وحيد عصره وزمانه، وغيرها).

ولا أحد ينكر ما لهؤلاء في قلوب محبيهم من معزَّة، وكذا دورهم في مرحلة تاريخية معينة، ولكن هل سنظل نبكي على الأطلال وننذب حظنا إلى مالا نهاية.

إننا مطالبون بأن نكون في مستوى حاضرنا الذي نعيش فيه، كما كانوا في مستوى حاضرهم الذي عاشوا فيه، وأن نستفيد من تجربتهم، ونستوحي منها ما ينفع حاضرنا

ومستقبلنا، وأن نترك ما يعيق طريقنا من تجاربهم، التي تجاوزوا فيها وقصروا، أو كانت مناسبة لعصرهم، ولم تعد مناسبة لعصرنا.

أخيرا يمكن القول إن تكريم أي شخصية عظيمة، هو باستلهام الفائدة من تجربتها، لا مجرد التغني بمفاخرها، ورفع صورها، وطلب الاعجابات والتعليقات والمشاركات لهذه الصور.

عندما تتلبَّس (تتداخل) القيمة بالشخص.

تُشرق، وتُزهر القيم والمثل السامية، ويزداد بريقها، إذا تمثلها أناس يُحيون معانيها، ويطبقونها في حياتهم، ليقتدي بهم الآخرون.

وتضعف، وتتراجع القيم والمثل السامية، ويخفت بريقها، إذا تمثلها أناس يتكسّبون بها، ويصلون من خلالها إلى مصالحهم الذاتية الضيقة.

الكثير من الناس لا يستطيعون الفصل بين القيم والمثل السامية والشخص الذي يحملها، سواء كان صادقاً أو كاذباً في تمثُّلها، ولهذا كثيرا ما يتم تشويه القيم والمبادئ عندما (تتلبَّس) بمن يسيئون إليها، أو يتلبَّسون هم بها.

الحرية يدعيها في أحيان كثيرة المستبدون ومُكمِموا الأفواه، وليتهم فعلوا جرائمهم باسم الاستبداد وأبقوا لنا قيمة الحرية ناصعة بدل أن يشوهوها.

الوطنية قد يدَّعيها في أحيان كثيرة من يخونون أوطانهم، ويبيعونها بأرخص الأثمان، وليتهم فعلوا جرائمهم المخزية باسم الخيانة، وأبقوا لنا قيمة الوطنية نقية بدلاً من تشويهها.

النزاهة قد يدَّعيها في أحيان كثيرة اللصوص والمفسدون، وليتهم فعلوا جرائمهم باسم اللصوصية والسرقة، وأبقوا لنا قيمة النزاهة طاهرة بدلاً من تشويهها.

الإنسانية قد يدعيها في أحيان كثيرة المجرمون والظلمة، وليتهم فعلوا ذلك باسم الإجرام والظلم، وأبقوا لنا قيمة الإنسانية بدلا من تشويهها.

المصلحة العامة، قد يدعيها في أحيان كثيرة من يعملون لمصالحهم الشخصية وأنانيتهم الضيقة، وليتهم صارحوا الناس بأنهم يعملون لذواتهم ومصالحه فقط، وأبقوا لنا قيمة الصالح العام أو المصلحة العامة نقية، بدلا من تشويهها. وهذه مجرد أمثلة يمكنك أن تقيس عليها.

ملاحظتين أخيرتين:

الأولى: لا بد أن تكون على بينة أن من ذكرتهم في النقاط السابقة وغيرهم يلبسون (ويتلبّسون) بالقيم والمثل العظيمة، ليغطوا بها جرائمهم، وأنهم لو أظهروا أنفسهم بعكس ذلك ما التفت إليهم أحد.

الثانية: لا تغتر بالحديث عن القيم والمثل من أي إنسان، حتى تراه يتمثلها ويعيش بها، كما أن عليك ألا تترك القيم والمبادئ، لأن فلان استغلها وتاجر بها، فالقيمة تبقى على صفائها ونقائها، وإن أساء استخدامها هذا أو ذلك من الناس، وزن الناس بميزان القيم وتطبيقها في حياتهم، وتعرّف على القيم لتزن بها الناس، كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: (يُعرف الرجال بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال. اعرف الحق تعرف رجاله).

فائض عنف...

كعرب أولاً وكمسلمين ثانياً لدينا نشاط زائد (فائض عنف)، فعليٌ ولفظي، سببه البطالة الحقيقية، أو البطالة المقنعة، والضغط والكبت الذي يعيشه شباب هذه البلاد بفعل الداخل أو الخارج، وقد تحول هذا الكبت وهذه البطالة إلى نشاط زائد كما نقول في أمثالنا (يد الفارغ في النار)، مع عدم إغفال أن لدى الآخرين أيضاً (فائض عنف).

طبعاً الغرب، وعلى رأسه أمريكا، لم تعجبه مشاغباتنا ومراهقتنا الطفولية، في الإضرار به من خلال بعض ضربات الإرهاب لديه، فقرر إعادة بضاعتنا إلينا، مع شيء من مكره ودهائه، فتحول (فائض العنف) لدينا كعرب وكمسلمين إلى حروب أهلية وطائفية وعرقية ومناطقية، وبهذا أصاب عصفورين بحجر واحد: تجنب إلى حد ما مشاغباتنا

الطفولية، ودارت عجلة مصانع السلاح لديه، وجنى من وراء ذلك أرباحاً تفوق الخيال. كم يستفيد الغرب من غبائنا وجهلنا... فإلى متى هذا ؟!

الأمّة الفقيرة...

الأمّة الفقيرة ليست الأمّة التي لا تمتلك ثروات في باطن الأرض أو في ظاهرها.

الأمّة الفقيرة حقيقة: هي التي تتلفت يمنة ويسرة أيام مصائبها ومحنها فلا تجد من أبنائها من يأخذ بيدها، بل إن هذه الأمة لتتخبط في ظلمات أنانية سياسييها، ونخبها المثقفة، الذين خذلوها أيام محنتها، حتى تسقط.

الإسلام ليس اسماً ...الإسلام قيمٌ ومبادئ.

1. عندما تجد الياباني (البوذي) يتقن عمله وصناعته، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي يغش في عمله وصناعته.
2. وعندما تجد الصيني (الكونفشيوسي) يعمل بجد ولا يقصر في عمله، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي يقصر في تأدية واجبه ووظيفته.
3. وعندما ترى المرأة الأسترالية (المسيحية الكاثوليكية) تعطف على الكلب والقطة وتدعم جمعية الرفق بالحيوان، فهي أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي يقتل أخاه ولا يرقب فيه إلاً ولا ذمة.
4. وعندما ترى المواطن (اليهودي) يقف ضد حكامه الظلمة والمفسدين في بلاده، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي ينافق ويجامل ويمدح الحكام الظلمة والمفسدين من بني قومه.
5. وعندما تجد الأمريكي (المسيحي البروتستانتي) يتبنى قضايا حقوق الإنسان ويحارب التمييز العنصري بكل صوره، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي يستهين بأخيه الإنسان، ويسلبه حياته لدواعٍ عنصرية أو طائفية.

6. وعندما تجد الهندي (الهندوسي) يرفع من شأن بلاده ويسعى بجهده من أجل النهوض بها، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية، من (المسلم) الذي يتآمر على وطنه ويسعى لتدميره.
7. وعندما تجد البريطاني أو الروسي (الارثوذكسي) يحترم المواعيد، فهو أقرب إلى روح القيم الإسلامية من (المسلم) الذي يستهتر بالمواعيد، ويضيع على الناس أوقاتهم.

ملاحظة: أقصد بكلامي الأفراد كحالات فردية لا الأنظمة الحاكمة (لا يروح حسكم بعيد).

لو قيل لي كيف سيكون موقفك ممن ذكرت من الحالات الفردية المذكورة وغيرها لقلت دون تردد سأدعو لهم دعوتين:

الأولى: أن يهديهم الله للإسلام . الثانية: أن يثبتهم على القيم والمبادئ الرائعة التي كانوا عليها.

إذا لم نحسن تمثيل ديننا فسنحمل اسمه وتغيب عنا قيمه ومبادئه. اللهم رد المسلمين إلى قيم دينهم ومبادئه العظيمة ردا جميلا.

الدولة القوية العادلة ضابط للتنوع والتعدد والاختلاف...

عندما تكون هناك دولة قوية عادلة، تصبح عوامل التنوع والتعدد والاختلاف بشتى أنواعها طريقا وسبيلا للتنمية والبناء والتناغم والانسجام والإثراء (كندا، أمريكا، الهند، استراليا نموذجا).

وعندما تنعدم الدولة أو تضعف أو تكون قوية وظالمة وباغية في نفس الوقت (الاتحاد السوفييتي سابقا كنموذج للأخيرة)، تصبح حتى عوامل الالتقاء والتقارب والمشترك العام طريقا وسبيلا للتدمير والاحتراب الداخلي، وتمزيق النسيج الاجتماعي (الدول العربية وكثيرا من الدول الإسلامية وكثير من الدول الأفريقية نموذجا).

ملاحظة: قصدت بالدولة القوية العادلة أي التي تكون كذلك مع شعبها، وقد تكون قوية ظالمة مع الشعوب الأخرى (أمريكا نموذجا)، وهذه الحالة لها سنة أخرى من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول.

بكم اشتريت اللؤم والنذالة؟

سأل الحفيد جده المسن الذي بلغ من العمر عتيا، وتقوس ظهره، وظهرت عليه (الحدبة أو الدحبة أو الزنمة) كما يسميها البعض، والتي تبدو كزنمة الجمل على ظهر الإنسان.

سأل هذا الحفيد جده: بكم اشتريت هذه الزنمة يا جد، أريد واحدة مثلها إنها مسلية ومضحكة، فرد عليه الجد في ألم وحسرة: ستحصل عليها بدون نقود، ما عليك إلا الانتظار، فالنذالة واللؤم والحقارة لا تشترى بل تمنح لمستحقيها وما عليهم سوى الانتظار.

صِدِّيق خان...

قرأت وسمعت عن فوز صديق خان، كعمدة لمدينة لندن، كأول حالة لمسلم يتولى هذا المنصب.

وقد كثر المهللون بهذا الانجاز للديمقراطية الغربية، وكتب البعض يُعرّض بالمسلمين وما هم فيه من تخلف (ومعه الحق فيما قال).

والسؤال الذي يطرح نفسه... من هو صِدِّيق خان هذا ؟!

نريد حقيقته وملابسات فوزه بهذا المنصب!

مش بكرة بعده وبه خبر ثاني.... بمعنى لا يظهر لنا خبر آخر غدا.

مشارطة (شروط) في الطرف ولا مخانقة (صراع) في الوسط.

نريد معرفة جبل الثلج بكامله، وليس رأسه الظاهر فقط.

أليس من حقنا أن نعرف... لقد لدغنا من هذه الجحور مرارا وتكرارا.

الفرق بين التفاؤل.... وبيع الوهم

كثيرا ما تسمع أناسا عندما تحدثهم عن واقع معين بأنه معقد. وأن تجاوزه والخروج منه صعب، فيرد عليك مستنكرا " تفاءلوا بالخير تجدوه ".

وبالمقابل تسمع آخرين عندما تحدثهم عن تغير واقع معين، وإمكانية الوصول فيه لحلول مناسبة، فيرد عليك مستنكرا كالأول: " دعوكم من بيع الأوهام وواجهوا الناس بالحقيقة".

أتساءل وأدعوكم للمشاركة: ما الفرق بين التفاؤل وبيع الوهم؟ حتى توضع الأمور في نصابها.

تأملات في سورة يوسف (1) ما بين رؤية الحلم... وتحقيقه.

عندما قال الله جل جلاله على لسان يوسف عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤ ، وبين قوله تعالى على لسان يوسف أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ يوسف: ١٠٠ ، هناك عشرات السنوات جرت فيها مياه كثيرة، ووقعت فيها أحداث مثيرة، ما بين رؤية الحلم وتحقيقه، إليكم بعضا منها:

وأنت تسعى لتحقيق حلمك سيعيق سيرك أقرب الناس إليك (الإخوة في قصة يوسف)، ويحاولوا انتزاع مكانتك بشتى الوسائل، حسدا منهم على تميزك.

وأنت تسعى لتحقيق حلمك ستلاقي صعوبات في الطريق، فيوسف تآمر عليه إخوته، ورموه في البئر، وباعه التجار بثمن بخس، وصار خادما في بيت العزيز، ورمي به في السجن بضع سنين.

وأنت تسعى لتحقيق حلمك ستتعرض لمغريات كثيرة، فيوسف الصديق تعرض لإغراء الشهوة (امرأة العزيز)، واغراءت السلطة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾ يوسف: ٥٥، فنجح في التغلب على هذين الإغرائين.

وأنت تسعى لتحقيق حلمك، سيستفيد منك أناس كثير في تحقيق طموحاتهم، فيوسف بعد غيابه خلا لإخوته وجه أبيهم، وباعه التجار واستفادوا بثمنه، واشتراه عزيز مصر واستخدمه في قصره، واستفتاه المساجين في محبسه، واحتاجه الملك في تفسير رؤياه، واستفاد منه أهل مصر ومن جاورها عندما تولى، ومن ضمن من استفاد إخوته.

وأنت تسعى لتحقيق حلمك، ستلاقي أصنافا من الناس، فيوسف الصديق بعد تآمر إخوته عليه، حن عليه قلب والده فما بالك بوالدته، ووصل الحنين والشجن ذروته بفقد يعقوب لبصره، واعترفت امرأة العزيز بكيدها ليوسف بعد سنوات من السجن، وتذكره ساقي الملك عندما احتاجه لتفسير رؤيا سيده، وأكرمه عزيز مصر بعد أن عرف مكانته، واعتذر منه إخوته بعد أن صار عزيزا لمصر.

صديقي العزيز :أرأيت كمّ الأحداث التي وقعت ما بين رؤية الحلم وما بين تحقيقه، فتحقيق الأهداف لا ينال إلا بالصبر والإصرار، وتوكل على الله أولا وأخيرا.

تأملات في سورة يوسف (2) التمكين ليس أمنيات... بل أسباب ومسببات

إذا أراد الله أمراً هيأ له أسبابه، فلولا كيد إخوة يوسف لبقي لدى والده وما عرف مصر، ولو قتلوه لانتهى أمره، ولو لم يبعه التجار ربما كان في بلاد أخرى، ولو لم يشتره عزيز مصر لاشتراه آخر وبقي عبدا مغمورا، ولو لم تقع المشكلة (مع امرأة العزيز) لما سمع به أحد، ولبقي مجهولا في بيت العزيز ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾ يوسف: ٢١، ولولا هذه المشكلة ما دخل السجن، ولولا رؤيا السجينين، ومن بعدها رؤيا الملك لمكث في السجن إلى ما شاء الله. إنها تدابير القدر تُعدُّ يوسف الصديق لمهمة التمكين.

جاء قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف: ٢١، بعد أن اشتراه العزيز مباشرة وأوصى زوجته به.

فأين التمكين هنا؟! نعم إنه إعداد للتمكين، والإعداد للتمكين هو تمكين في حد ذاته، ولذلك جاء في الآية التي بعد آية التمكين مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يوسف: ٢٢، والحكمة والعلم ركيزتان أساسيتان في أي تمكين، وهذا يعد الجانب النظري، والمسألة مسألة وقت لا غير، حيث تستكمل أسباب التمكين ومواصفات من يحققونه.

من أسباب التمكين إدراك الواقع، وهذا ما هَيَّأ الله يوسف للاطلاع عليه، فقد عاش في أرقى البيوت وأنعمها (بيت العزيز)، وتعرَّف على عِلية القوم " الطبقة الحاكمة " وما فيها من مكائد ودسائس وإشاعات وسقوط أخلاقي، ثم دخل السجن في أسوأ مكان في المجتمع ليطلع على المظالم والجرائم التي تحدث في المجتمع وتغيب عن عِلية القوم، وهذا هو الجانب العملي والتطبيقي.

لا بد لمن يسعى، أو يسعون للتمكين من صفات ومواصفات يعرفونها من أنفسهم ويعرفهم الآخرون بها، فعزيز مصر بعد أن أخرج يوسف من السجن مبرءاً من التهم قال له: ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف: ٥٤، وهذه إحدى المواصفات، وقد أتبعها يوسف الصديق بما يكملها ويعرفها عن نفسه حق المعرفة، وهي قوله: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ يوسف: ٥٥، وبهذا تكتمل شروط التمكين، لتكون النتيجة هو ما سأذكره في النقطة الأخيرة.

بعد أن مكن الله ليوسف جاءت الآية التالية لتؤكد التمكين مرة أخرى في واقعه العملي التطبيقي بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يوسف: ٥٦ ، وما بين الآية (21) وهذه الآية (56) هناك أربع وثلاثون آية تحدثت عن أسباب ومسببات التمكين، وصفات ومواصفات من يحملونه ويتقنونه.

أيها الأكارم :لقد وضع الله أسبابا لأي تمكين على مستوى الفرد أو الأمة، واستبعاد هذه الأسباب والقفز عليها هو إطالة لزمن التيه الفردي والمجتمعي. أحسنوا التعامل مع الأسباب واسعوا جهدكم لتحقيقها، ولن يخيّب الله سعيكم، ولكم في قصة يوسف عظة وعبرة.

تأملات في سورة يوسف (3) الانتقال من (الرؤيا) ... إلى (الرؤية)

في سورة يوسف أربع (رؤى) منامية، ثنتان منها أساسية (رؤيا يوسف، ورؤيا الملك)، ورؤيتان ثانويتان هما (رؤيتا صاحبي السجن) وهذه بعض التأملات حول هذه الرؤى المنامية:

رؤيا يوسف عليه السلام: وتعتبر محور السورة، وقد بدأت بها السورة وانتهت بتحقيقها، وقد فسرها يعقوب عليه السلام، بأن يوسف سيكون له شأن عظيم، ولكن عاطفة الأبوة جعلته يزداد تمسكا به، وحرصا على كتمان هذه الرؤيا، ولكن الله غالب على أمره، فقد ظهرت الرؤيا وجرت أحداث القصة المعروفة.

رؤيتا صاحبي السجن تعتبر من الرؤى الشخصية، وتفسير يوسف لهما يعتبر في حكم التعريف بما لدى يوسف من القدرات والمواهب التي أعطاه الله إياها، ومقدمة لتفسير الرؤيا الأساسية الثانية (رؤيا الملك)، وقد عرّف بيوسف عند الملك الرجل الذي نجا منهما.

أما الرؤية الرابعة فهي (رؤيا) و(رؤية) في نفس الوقت، فقد فسرها يوسف كرؤيا، ولكنه وضع لها رؤية اقتصادية استراتيجية (خطة مستقبلية لخمسة عشر عاما) كما ذكرت

السورة، فتحولت من رؤيا منامية إلى رؤية مستقبلية، استطاع يوسف من خلالها انقاذ شعب مصر والبلاد المجاورة من المجاعة التي كانت متحققة في ظل غياب هذه الرؤية الاستراتيجية.

صديقي العزيز: قد تقول: ومن لنا بمثل يوسف يعرفنا بمآلات الرؤى المنامية؟ فأسارع إلى القول إن ما يفيدنا الآن ويجعلنا نمسك بزمام الحاضر ونستشرف المستقبل هي (الرؤية) لا (الرؤيا)، والتي لا نحتاج معها إلى كثرة أحلام ورؤى منامية، بل نحن محتاجون إلى مراكز أبحاث، ومراكز دراسات مستقبلية متعمقة، ودراسات استطلاعية واستكشافية، ندرك ونستشف من خلالها حاضرنا ومستقبلنا، ونضع على ضوئها (رؤية مستقبلية استراتيجية) في جميع المجالات.

إن أول علامات تحقيق الحلم (الرؤية) هي أن تصحو من النوم، وتبتعد عن أحلام اليقظة التي لاتسمن ولا تغني من جوع.

تأملات في سورة يوسف (4) القميص الذي... يخفي.... ويقضي...ويشفي

في قصة يوسف الصديق وعلاقته بالقميص ثلاث حالات هي:

أول حالات هذا القميص هي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨، وهي تمثل حالة إخفاء الحقائق وتزييف الشواهد وتغيير الوقائع بأدلة خادعة ومزيفة، يلتبس معها الحق بالباطل والصواب بالخطأ، ويصاحبها تمثيل لدور الضحية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يوسف: ١٦، مع أيمان مغلظة بصدق طرحهم، رغم أنهم قد قلبوا الحقائق رأسا على عقب. إنه الإعلام عندما يتحول إلى حاجب للحقيقة ومُسوِّق للخداع والزيف، فكم تلاعب الإعلام والدعاية المزيفة بعقول الناس وسوّق لهم الخداع، وزيّف لهم الحقيقة، وبَدَلَ أن يكون موضحا للحقيقة صار حاجبا ومخفيا لها.

ثاني حالات هذا القميص جاء في قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يوسف: ٢٦، ورغم أن القميص كان دليل براءة ليوسف لأنه ﴿ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾ يوسف: ٢٧، إلا أن دوائر الحكم والقضاء حولته إلى دليل إتهام، ودخل يوسف الصديق بسبب ذلك السجن لبضع سنوات.

هذا هو حال القضاء غير النزيه، والذي تسيره الأهواء والرغبات، يصبح فيه المتهم بريئا والنزيه مذنبا، ورغم اعتراف الجميع في نهاية المطاف ببراءة يوسف إلا أن الحقيقة لم تظهر إلا بعد سنوات. فقد شهد شاهد من أهله ببراءة يوسف، كما ذكرت الآية السابقة، ووجه الملك التهمة للنساء ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ يوسف: ٥١، كما أن النساء اعترفن ببراءة يوسف (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ)، واعترفت امرأة العزيز أخيرا بأنها المتهمة (أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ)، فكم في السجون من مظاليم لا ذنب لهم إلا أن من يقضي بينهم لا يقضي بالحق بل يقضي بهواه ورغباته.

حالة القميص الثالثة هي قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ يوسف: ٩٣، إنه قميص الشفاء والبشارة، ليس ليعقوب عليه السلام فقط بل شفاء لقلوب تعلقت بيوسف كثيرا من أم وأب وأقارب آخرين غير إخوته المذكورين.

هذا هو حال رسل السلام وسفراء المحبة وحاملي البشريات، يعيدون البسمات إلى الشفاه كما يعيدون النور إلى العيون، ينزعون الغشاوة عن العقول والقلوب كما ينزعونها عن العيون، يجمعون الشمل ويؤلفون القلوب، ويعيدون المياه إلى مجاريها، كما يعيدون للإنسان فرحته بعودة بصره. رسل السلام هؤلاء لهم قلوب في طهارة قميص يوسف، ولهم

رائحة كرائحة الثياب التي تلتصق بأجساد الأنبياء الزكية، ملامحهم مأخوذة من ملامح صاحب الحسن والجمال يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

أيها الأفاضل: أنني أبحث عن رسل السلام والمحبة هؤلاء واستعجل قدومهم، ليعيدوا العقول الحكيمة لأصحابها، ويعيدوا القلوب الرحيمة لمحتاجيها، ويعيدوا البصيرة لفاقديها، ويعيدوا البسمة إلى شفاه بللتها الدموع من طول المواجع.

ومع هؤلاء أبحث عن الكلمة الصادقة الهادية المنجية، التي تضع الحق في نصابه، كما أبحث عن الذين يحكِّمون نظما وقوانين تنبثق من دينهم وتحترم إنسانية الإنسان، وتعتبره بريئا حتى تثبت إدانته لا العكس . لعلي أسرفت في البحث، ولكن هذا أملي ورجائي في خالقي جل وعلا، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ الإسراء: ٥١

معادلة الماضي والحاضر والمستقبل...

عندما نولي وجوهنا كلية نحو الماضي، نكون في نفس الوقت قد تركنا المستقبل خلفنا ووراءنا وهذا حمق وغباء.

وعندما نولي وجوهنا كلية نحو المستقبل، نكون في نفس الوقت قد تركنا الماضي خلفنا ووراءنا وفي هذا خسارة وبلادة.

وعندما نتعسف تطبيق الماضي بكل تفاصيله في المستقبل، نكون قد خسرنا الماضي والمستقبل، ومعهما فقدنا الاستفادة من الحاضر.

وعندما نتوجه إلى المستقبل بكل عزم وبصيرة، وننتقي من الماضي ما يفيدنا ويزيدنا بصيرة، نكون قد ربحنا الماضي والمستقبل، ومعهما الحاضر.

هناك أناس مشدودون ومغرمون بالماضي بكل تفاصيله، متناسين أن الماضي غير المستقبل، وهناك من هم مشدودون إلى المستقبل دون أدنى اعتبار للماضي، ونسوا أن المستقبل ابن الحاضر والماضي، والذكي من يكون مشدودا ومتطلعا إلى المستقبل ومستفيدا من الماضي والحاضر.

أحسن التعامل مع معادلة الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل) حتى لا تعيش في غير زمانك، أو تطبق على زمانك زمان غيرك.

بين الفعل وردة الفعل....

في قصة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ذكر القرآن أن نبي الله موسى قتل قبطيا بالخطأ أو كردة فعل على ما كان يفعله فرعون ببني اسرائيل، وهي جريمة واحدة ونادرة، فقال له فرعون مشنعا كما ذكر القرآن:﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٩

وتجاهل فرعون " أبو الفعايل " أنه قتل المئات إن لم يكن الآلاف من بني اسرائيل عن سبق اصرار وترصد، وبخطة ممنهجة، كما تحدث القرآن عن ذلك:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص: ٤

فرعون يكيل بمكيالين، يرى القشة في عين موسى ولا يرى الجذع في عينه، يشنّع بموسى لأنه قتل رجلا بالخطأ أو كردة فعل، ويتجاهل جرائمه التي لا تعد ولا تحصى. المجرمون والطغاة ومعهم السذج والأغبياء، يشنعون بردة الفعل، وينسون الفعل والفاعل ابتداء.

استراتيجية نزع الثقة الشعبية....

يدرك خصوم الشعوب من المستبدين والطغاة في الداخل، والمستعمرين من الخارج، أن ثقة الشعوب بقادتها وقدواتها يعتبر رأس مالها، وأنها تراهن عليه حاضرا ومستقبلا.

ولكي تنزع ثقة الشعوب بهؤلاء القادة والقدوات، تلجأ إلى حيلة خبيثة ماكرة، فتسوّق قادة وقدوات مهازيل، وتصنع منهم قادة وأبطالا شعبيين، حتى إذا وثقت بهم الشعوب

وسلمت لهم زمام أمورها، أسقطتهم، واتضح للشعوب أنهم ليسوا قادة ولا قدوات، وإنما مجرد مرتزقة وعملاء، يتلاعب بهم الآخرون من الداخل والخارج كيفما يشاؤون.

والطغاة بهذا يضربون عصفورين بحجر واحد، فمن جهة يخترقون صفوف الشعوب ويصنعون لهم قدوات وقادة، فتثق بهم الشعوب، ثم في اللحظة الحرجة يظهرون فسادهم، ويسقطونهم ويسقطون ثقة الشعوب بهم. ومن جهة أخرى يزرعون بذور الشك والريبة في أي قائد أو قدوة على الحقيقة، فلا تثق به الشعوب خوفا من أن تُظهره الأيام القادمة كالصنف الأول (مرتزق وعميل).

وما نشاهده في عالمنا الإسلامي خير دليل، فيصدق الكاذب، ويؤَّمن الخائن (القدوات والقادة المزيفون المصنوعون على أعين الطواغيت في الداخل والخارج)، ويكذب الصادق ويخوّن الأمين (لعدم ثقة الشعوب بهم كردة فعل على كذب وخيانة من قبلهم)، وهذا في العموم، وإلا فهناك قادة وقدوات حقيقيون، وثقة الشعوب بهم باقية.

وعليه وحتى لا تلدغ الشعوب من جحر مرات ومرات، عليها أن تصنع قادتها وقدواتها بنفسها، وعلى عينها، وتثق فيهم، وتكون مراقبة لهم على الدوام، وألا تدع للطغاة والمستبدين صناعة رواد المستقبل حتى لا تلدغ مرات كثيرة .

فعلا.... ما أكثر ما يكون الموت راحة...

سمى الله الموت مصيبة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ المائدة: ١٠٦، ولكنه غالبا ما يكون راحة.... نعم راحة أقولها مرارا. ألا ترون إلى الظلمة والمجرمين والبغاة والمستكبرين والفراعنة في الأرض، من الذي أذل رقابهم إلا الموت! نعم إنه راحة.... راحة للعباد والبلاد منهم ومن شرهم.

ثم ألا ترون إلى المظلومين والمستضعفين في الأرض، والذين بلغ بهم الألم مبلغة، يأتي الموت ليكون راحة لهم من هذا العناء. فالموت إما راحة من أناس أو راحة لهم.

طبعا... أنا هنا لا أتحدث عن الشهداء فهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

مجرد رأي.... الربيع العربي... فاضح الجميع

عندما انتفضت بعض الشعوب العربية في عام 2011 (الربيع العربي)، ظهر على السطح معطيات جديدة فضحت الجميع، وأوضحت الحقائق التي كانت غائبة عن البعض، ومن هذا المعطيات:

أن النظام العالمي الذي تقوده أمريكا وأروبا وروسيا لا تعنيه حقوق وحريات الشعوب العربية والإسلامية من قريب أو بعيد، إلا بقدر ما تحقق مصالحه، وأن الغرب وأتباعه سيقفون في ظرفٍ ما مع الشعوب (إعلاميا) لإسقاط أنظمتها، ليس حبا في هذه الشعوب، ولكن للتخلص ممن يريدون التخلص منه من الحكام، كما أنهم سيدعمون وبقوة نفس الأنظمة لتأديب الشعوب، وإدخالها في أتون حرب ضروس تأكل الأخضر واليابس دون أن يطرف لهم جفن، بل هم من سيستفيد من هذا الصراع ببيع السلاح وتسويق مشاريعهم المستقبلية.

أن حكام العالم العربي مجرد أحجار على رقعة الشطرنج، يتلاعب بهم ساسة الغرب والشرق متى ما شاءوا وكيفما شاءوا، وأنهم مستعدون أن يدمروا بلدانهم، ويتعاونوا مع المستعمر الجديد في سبيل البقاء مدة أطول متمسكين بكراسيهم، ومتحكمين في رقاب شعوبهم، وإن أظهروا خلاف ذلك في خطاباتهم.

أن دول الممانعة التي تتزعمها إيران، والتي رفعت لواء تحرير الشعوب من الطغيان، ومحاربة الشيطان الأكبر والوقوف في وجه اسرائيل، وقفت مع الطغاة ونسيت شعاراتها وأعدائها التي دغدغت بها وبهم عواطف البسطاء.

أن التيارات الإسلامية خاصة والقومية الوطنية عامة فشلت في سد الفراغ الذي أحدثه سقوط الأنظمة، وأثبتت أنه لم يكن لديها مشروع تحرير وبناء، وإنما شعارات

رفعوها، والشعارات التي رفعوها لا تبني دولا ولا تصنع رخاء، ولم يستفيقوا إلا مع ضربات الثورات المضادة فذهبت السكرة وبقيت الفكرة.

أن الشعوب العربية شعوب عاطفية يمكن التلاعب بها، وجرها شرقا وغربا، وأن العقل العربي لا زال مغيبا في المجموع، وإن وجدت بوادر فردية، وأن أي ثورة يراد لها النجاح لابد أن تسبقها ثورة وعي، وتقديم للعقل والمنطق على العاطفة.

أظهرت معادن الناس، فرأينا من يتاجر بوطنه ومواطنيه في سبيل أموال مدنسة، وعنده استعداد لأن يبيع كل شيء، بل ويمكنه الانتقال من النقيض إلى النقيض دون أدنى حرج.

كما رأينا صورا من البطولة والتضحيات يعجز الإنسان عن وصفها، من أناس مغمورين لم يكونوا ليظهروا بهذه العظمة والسمو لولا هذه المواقف.

الخلود والرحمة لشهداء الربيع العربي وكل شهداء الوطن الجريح. والنصر لمن ساروا على دربهم وكانوا أوفياء لدمائهم.

سنمضي والنجومُ لنا دليلٌ ... متى أصغى السحابُ إلى النباح
فقد ولَّى زمانك يا أُبيٌّ ... كما ولّى زمانك يا سجاح

الإسلام صديق القطة والكلب...

جميعنا يعرف حديث المرأة التي دخلت النار بسبب حبسها لقطة (هرَّة)، وحديث الرجل الذي دخل الجنة بسبب أنه سقى كلبا، وهذين العملين (كفعل) ليسا من أعظم الأعمال أجرا أو جرما ليترتب عليهما دخول جنة أو نار.

دعونا نتأمل الحديثين لندرك المغزى منهما وما يرميان إليه: حديث المرأة التي دخلت النار بسبب حبسها لقطة، يشير إلى تصحر قلب هذه المرأة وانتكاس فطرتها حتى أصبحت تتلذذ بالتعذيب والقتل، ولم يكن مطلوبا منها أن تطعم القطة، بل كان مطلوبا منها ألا تحبسها، فاستحقت النار لا لهذا الفعل المفرد، بل لانعدام الرحمة في قلبها وانتكاس فطرتها، وفعلها مع القطة إحدى مؤشرات ذلك الجفاف والتصحر.

أما الرجل الذي رقّ لحال الكلب وسقاه عندما رأى من حاله ما رأى، ولم يكن مطالبا بذلك، بل قام به لاتساع مساحات الخير والرحمة في نفسه، فنزل البئر مرة ثانية على صعوبة ذلك، ولم يكن معه وعاء يستخدمه لغرف الماء، فاستخدم حذاءه، ولصعوبة الصعود أمسك الحذاء بفمه. وكان بإمكان أحد هذه الأعذار أن يصرفه عن القيام بهذا العمل، ولكنه أصرَّ على أن يسقي الكلب، مثل هذا العمل يدل على تمكُّن وتأصُّل بذور الخير والرحمة في نفسه، وما قام به مع الكلب إحدى مؤشرات الخير لديه التي استحق عليها الجنة.

صديقي العزيز: الإسلام صديق الفطرة والإنسانية، يبني ويربي الإنسان الذي يتعامل مع الكون كله جماده وحيوانه وإنسانه بمساحات الخير والرحمة والفطرة السوية، والقطة والكلب نموذجان لأصدقاء الإسلام.

لا تقل للآخرين أنك رحيم، دع مساحات الرحمة والخير تدل عليك، وعندها ستكون صديقا لهذا الكون بما فيه ومن فيه، وهناك ثم جنة الدنيا والآخرة.

البوصلة.... اتجاه ناجح نحو الهدف

الذي ليس لديه بوصله توجهه نحو أهدافه، فهو كالبحار الذي لا يملك بوصلة توصله إلى شاطئ الأمان .

وكم من أناس رأيناهم عندما فقدوا البوصلة الهادية يرسون كل يوم في ميناء، وينتقلون من هذا البحر إلى هذا المحيط ومنه إلى هذه الجزيرة... وهكذا، وأهدافهم في غير المكان الذي أبحروا إليه، وفي غير الميناء الذي رسوا فيه .

ستنتهي حياتهم (إن لم يعيدوا النظر فيها) إما في عرض البحر، أو في الميناء الخطأ.

في عيد ميلادي الاحتمالي الثالث والأربعون (2016م) اتلفت إلى الوراء فلا أكاد أرى شيئا يمكنني القدوم به على الله إلا أن يتغمدني الله برحمته.

وأرنو إلى المستقبل فلا أجد الأمر بيدي، لكن كل أملي من ربي أن يبصرني بعيوبي حتى أنشغل بها وأصلح ما استطعت منها، بدلا من الانشغال بعيوب الآخرين.

اللهم إني أعوذ بك أن: أَضِل أو أُضل أو أَزِل أو أُزل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجَهل أو يُجهل عليّ.

رحلة إلى ماضيك القريب...

أصبحت علاقتنا بمواقع التواصل الاجتماعي علاقة وطيدة، وأصبحت هذه المواقع تستنزف كثيرا من أوقاتنا وتواصلنا الطبيعي مع الآخرين، إضافة إلى استنزافها لنا ماليا، وأصبح البعض منا مدمنا عليها إلى درجة الهوس.

ولذا كان لزاما علينا أن نقف وقفة مصارحة صادقة مع أنفسنا في طبيعة علاقتنا بهذه المواقع (نشرا ومشاركة واعجابا وتعليقا) أو حتى متابعة وتصفحا، خاصة والبعض منا له أكثر من اسم (حقيقي أو مستعار) ومشترك في أكثر من موقع (فيس، واتس، توتير، تلغرام،...)، والجميع مضى عليه سنوات في الاشتراك في هذه المواقع.

والوقفة التي أريد أؤكد عليها هنا هي أن يقوم كل واحد منا بفتح صفحته في كل موقع وإعادة قراءتها وتقييمها ومن خلال ذلك يسأل نفسه:

1. هل تطورت أفكاري وأرائي أم تراجعت؟
2. هل استفدت من هذه المواقع ووسعت أفقي أم ضيعت وقتي وتراجعت رؤيتي؟
3. هل ارتقى تواصلي مع الآخرين أم تراجع وهل حظيت باحترامهم أم حدث العكس؟
4. هل يعتبر تواصلي مع الآخرين من خلال هذه المواقع إضافة لهم أم أنني صرت عبئا عليهم؟
5. هل ارتقت عقليتي بحيث أصبحت أفرق بين الغث والسمين أم أنني لا زلت كحاطب ليل أعجب بالقبيح وأعلق على التافه من المنشورات وأشارك الرديء من المنشورات؟
6. هل صرت مستقلا برأيي ومعتزا به ومؤمنا به مع احترامي لرأي الآخرين، أم أنني لا زلت ذاك الساذج الذي يستفزه ويستثيره أي منشور فيخرج عن اللياقة والأدب؟

وأخير ستتعجب من نفسك كثيرا عندما تراجع صفحاتك على المواقع، ولكن هذه هي شخصيتك في قوتها وضعفها، وفي تقدمها وتراجعها، وفي إصابتها وخطئها، وفي سلامتها وانكسارها.

فائدة أخيرة: إذا كانت هذه المواقع تحفظ ما تكتب وتنشر ألا يذكرك ذلك بكتاب يحفظ كل صغيرة وكبيرة قال عنه تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩

مهمات النبي صلى الله عليه وسلم لتحرير الإنسان

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

1. يأمرهم بالمعروف .
2. وينهاهم عن المنكر .
3. ويحل لهم الطيبات .
4. ويحرم عليهم الخبائث .
5. ويضع عنهم إصرهم .
6. والأغلال التي كانت عليهم.

إن أي دين أو منهج يزيد من الأثقال على كاهل الإنسان فلا يمتُّ إلى الإسلام بِصِلة، لأن الدين الحق جاء ليضع لا يزيد، وأي دين أو منهج يضع القيود والأغلال فليس من الإسلام بشيء، لأن الدين الحق جاء ليفك لا ليقيد.

الإسلام جاء ليحرر جسد الإنسان بوضع الأثقال عن كاهله، ويحرر عقل الإنسان بكسر الأغلال والقيود التي تعيقه.

وعند يتحرر الإنسان من آصار(أثقال) الثقافات والعادات والتقاليد ... التي تثقل كاهله، ويتحرر عقله من القيود التي تكبله، عندها سينطلق ويبدع، لأنه صار خفيف الجسم من ثقل الموروثات السيئة، مطلق العقل واللسان (يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث)، وفقا لهذه النظرية التحررية التي صنع منها الإسلام عظماء التاريخ.

هذه المهمات هي وظيفة أتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم، فليحسنوا القيام بها، ليحرروا بها أنفسهم والعالم من حولهم.

أصدقائي الأربعة....

من خلال تفاعلي من الأصدقاء في الفيسبوك وجدت أن من يتابع ما أنشر أحد أربعة أصدقاء:

الأول: صديق معجب بشخصي أولا ثم بما أنشر، وربما يعجب بما أنشر حتى قبل أن يقرأه لثقته بي، وهذه ثقة أعتز بها، ولكنني أنصحه بأن يعجب بالفكرة قبل الشخص.

الثاني: صديق معجب بما أنشر قبل اعجابه بشخصي، فلا يعجب أو يعلق أو يشارك إلا بعد أن يقرأ، وهذا الصديق استفيد منه كثيرا، وانتظر رده بشغف.

الثالث: صديق لا يعجب بشخصي ولكن قد يعجبه بعض ما أنشر، وهذا صديق يحترم الفكرة وإن لم يعجبه الشخص، وهذ أكنّ له الاحترام واستفيد من تعليقاته.

الرابع: صديق لا أعجبه شخصاً ولا فكرة فهو يمر على ما أنشر، ونادرا ما يعجبه شيئ ولكنه يمر عليه مرور الكرام، وهذا صديق احترمه، ولا أفرض عليه متابعتي وهو في حِل من البقاء أو المغادرة مصحوباً بالسلامة.

فما رأيكم هل هذا الشعور عند الجميع أم أنني أبالغ؟! خالص تحياتي لأصدقائي بأنواعهم الأربعة.

حقيقة الحوار القرآنية...

تنطلق هذه الحقيقة من الآية القرآنية التالية: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ سبأ: ٢٤

أي دخول لحوار بغير هذه العقلية والنفسية والاستعداد محكوم عليه سلفا بالفشل.

إذا دخلنا الحوار من البداية متعادلين 50/50 فسنخرج من هذا الحوار في النهاية متفاهمين.

تمثيل الأدوار...

انتبه.... هناك من يمثلون أدوارا على مسرح الحياة، الممثل البارع هو الذي يستطيع أن يتقمَّص الشخصية التي يمثل دورها بإتقان، ويجعل المشاهد والمتابع يتأثر حزنا أو فرحا بتمثيله، رغم أن هذا تمثيل.

وفي مسرح الحياة هناك ممثلون كثر، خاصة في أيام المحن والفتن، فنراهم يمثلون (أدوارا) معينة، وما يجري خلف الكواليس غير ذلك.

هناك من يمثل (دور) الوطني الغيور على وطنه، وهو خلف الكواليس يبيع وطنه بثمن بخس.

وهناك من يمثل (دور الوحدوي الجسور) وفي الكواليس يمزق أوصال وطنه.

وهناك من يمثل (دور) البطل الشجاع وفي الكواليس هو ذاك الجبان الرعديد .

وهناك من يمثل (دور) النزيه والحريص على مصالح بلده، وفي الكواليس لا يتورع عن المتاجرة بمقدرات وطنه .

وهناك من يمثل (دور) ال..... و.....و.....الخ

وحتى لا يخدعنا هؤلاء الممثلون للأدوار، والذين اكتوينا بنارهم، لا بد أن نضع نصب أعيننا الآية القرآنية التي فضحتهم: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ محمد: ٣٠ ، فلنتنبه لهؤلاء الممثلين وليفضحوا على الملأ حتى لا تطول معاناتنا.

خياران صح.... الخيار الثالث خطأ

كمسلمين نحن مطالبون أمام ما يحدث وموقفنا منه أن نختار أحد أمرين:

إما أن نقول خيراً، وهذا هو الأفضل، والأكثر تأثيرا.

وإما أن نصمت، عن قول كلا الأمرين من خير وشر، وهذه مرتبة أدنى من الأولى من حيث الأفضلية والتأثير، ولكنها تبقى خيار يمكن اللجوء إليه للضرورة. أما الخيار الثالث، وهو قول الشر، فلا عذر لمن يقترفه.

يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

صناعة التوحش... للبيئة دور بارز

دعا حاكم إيطالي فنانا تشكيليا شهيرا وأمره برسم صورتين مختلفتين ومتناقضتين عند باب أكبر مركز روحي في البلاد. أي أمره أن يرسم صوره (ملاك) ويرسم مقابلها صوره (شيطان) لرصد الاختلاف بين الفضيلة والرذيلة.

قام الرسام بالبحث عن مصدر يستوحي منه هاتين الصورتين، وعثر على طفل بريء وجميل تطل السكينة من وجهه الأبيض المستدير وتغرق عيناه في بحر من السعادة، وذهب مع هذا الطفل إلى أهله واستأذنهم في استلهام صورة الملاك من خلال جلوس الطفل أمامه كل يوم حتى ينهي ذلك الرسم مقابل مبلغ مالي، وبعد شهر أصبح الرسم جاهزا ومبهرا للناس، وكان نسخة من وجه الطفل الملاك، ولم ترسم لوحة أروع منها في ذلك الزمان.

وبدأ الرسام في البحث عن شخص يستوحي منه وجه صورة الشيطان، وكان الرجل جادا في الموضوع، لذا بحث كثيراً وطال بحثه لأكثر من أربعين عاما، وأصبح الحاكم يخشى أن يموت الرسام قبل أن يستكمل التحفه التاريخية، لذلك أعلن عن جائزة كبرى ستمنح لأكثر الوجوه إثارة للرعب، وقد زار الفنان السجون والعيادات النفسية والحانات وأماكن المجرمين، لكنهم جميعا كانوا بشرا وليسوا شياطين.

وذات مره عثر الفنان فجأة على (الشيطان!) في صورة إنسان .وكان عبارة عن رجل سيء يحتسي زجاجة خمر في زاوية ضيقه داخل حانة قذرة، اقترب منه الرسام وحدثه حول الموضوع، ووعده بإعطائه مبلغا كبيرا من المال، فوافق الرجل وكان قبيح المنظر، كريه الرائحة، أصلع وله شعرات تنبت في وسط رأسه كأنها رؤوس الشياطين، وكان عديم الروح، ولا يأبه بشيء، ويتكلم بصوت عال، وفمه خال ٍمن الأسنان.

فرح به الحاكم لأن العثور عليه سيتيح استكمال تحفته الفنية الغالية. وجلس الرسام أمام الرجل وبدأ برسم ملامحه مضيفاً إليها ملامح (الشيطان)!

وذات يوم التفت الفنان إلى الشيطان الجالس أمامه، وإذا بدمعة تنزل على خده، فاستغرب للموضوع، وسأله إذا كان يريد أن يدخن أو يحتسي الخمر! فأجابه بصوت أقرب الى البكاء المختنق: أنت يا سيدي زرتني منذ أكثر من أربعين عاما حين كنت طفلا صغيرا، واستلهمت من وجهي صورة الملاك وأنت اليوم تستلهم مني صوره الشيطان، لقد غيرتني الأيام والليالي حتى أصبحت نقيض ذاتي! بسبب أفعالي وما أحدثه مجتمعي المحيط بي. وانفجرت الدموع من عينيه وارتمى على كتف الفنان وجلسا معا يبكيان أمام صورة الملاك.

أخي وصديقي: خلقنا الله جميعا على الفطرة السوية، في طهر الملائكة، ولكن نحن من نغيِّر ونشوِّه أنفسنا من خلال استعداداتنا الذاتية، وما نكتسبه من مجتمعنا، وبإمكاننا كأفراد وكمجتمع أن نصنع الملاك وأن نصنع الشيطان والخيار بأيدينا.

وقفة مع آية قرآنية ...

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يوسف: ٦٩ ، الأصل في الأخوة أن يُذهب الأخ عن أخيه البؤس والحزن، ويبعث في نفسه الطمأنينة بالود والقرب منه.

ما أجمل الحياة حين تضيق بك الدنيا فتجد فيها أخا عزيزا أو صديقا حميما، يشاركك أحزانك و يُواسيك في همومك. وأجمل من ذلك حين يُقاسمك، الشراكة في العمل الصالح...﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ طه: ٣١ ، ٣٢ .

سئل حكيم: كيف تعرف ود أخيك؟ فقال: يحمل همي، ويسأل عني، ويسد خللي، ويغفر زللي، ويذكرني بربي. فقيل له: وكيف تكافئه؟ قال: أدعو له بظهر الغيب.

وقال ابن تيمية رحمه الله: مثل الأخوة في الله كمثل اليد والعين، إذا دمعت العين مسحت اليد دمعها، وإذا تألمت اليد بكت العين لأجلها.

رسالة المسجد...

المسجد في عهد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان مؤسسة ذات ثلاثة أبعاد: البُعد الديني (معبد)، والبعد التربوي (مدرسة)، والبعد السياسي (برلمان)، وكل واحد من الناس عضو فيه .أما الآن فقد أصبح قصراً فخماً ولكن بلا أبعاد.

إن المسجد الذي يأبى الإسلام تزيينه بات الآن متحفاً مزيناً بالذهب والمجوهرات، وروح الإسلام تسللت منه من بين الطابوق والآجر (البلك والصبّيات) والقناديل ذات الأربعين شعلة.

كان الحكام والحكومات الظالمة تتهرب من المساجد وتتخوف منها، والتاريخ يعطيها الحق في ذلك، لأن المساجد ظلت دائماً هي مصدر الثورات والانتفاضات ضد المستبد الداخلي والمستعمر الخارجي. عليّ شريعتي بتصرف

تجديد الوعي .. رسائل قصيرة

تجديد الوعي 1

1. يكفي مع سلامة القلب كلمة، ولا يكفي مع فساد القلب ألف ألف كلمة، صلاح الداخل هو من يجعل للكلمة وزنها وثقلها ومدي قبول الآخرين لها.
2. أقسى ما يمر بنا، هو أن نفهم الأشياء في وقت متأخر جداً.
3. أحصد الشر من صدر غيرك، بقلعه من صدرك.

تجديد الوعي 2

1. عندما تصير الإشاعة غذاء عاماً، وعلفاً دائماً لوجدان المجتمع، تفسد فيه ملكة الإدراك والنفاذ إلى بواطن الأمور وحقائقها، وهذا هدف لكل الطغاة والمستبدين.
2. الطغيان والاستبداد أصلح البيئات والحقول التي يترعرع فيها ميكروب الإشاعة.
3. الإشاعة هي العادة السرية للمجتمع المضطهد.

تجديد الوعي 3

1. الانحراف أو المرض الخُلقي يبدأ رغبة، ثم يصير سلوكاً، ثم يكون عادة، ثم يغلب عليه الإدمان الضاغط.
2. الانحطاط الخُلقي، ابن شرعي للانحطاط العقلي.
3. يقول أحد الفلاسفة: إن العبد لا يستطيع أن تكون له أخلاق لأنه لا يملك اختيار خلق لنفسه، إن سيده هو الذي يفرض عليه نوع سلوكه وحياته.

تجديد الوعي 4

1. الناس يتصرفون دائماً أو غالباً وفق القواعد والقيم التي تسود بيئتهم ومجتمعهم.
2. من العسير على الأفراد أن يظفروا بفضائل ليس لها في روح الجماعة وجود.
3. لا شيء يرسي قواعد الفضيلة في أمة ما مثل القدوة المتمثلة في عظمائها الصامدين.

تجديد الوعي 5

1. الدولة مثل القلب أو الكبد إذا تضخم فسد، وإذا فسد تضخم.
2. المقدمات غير الصحيحة لا تثمر إلا عواقب وخيمة، وسنن الله لا تحابي أحداً، وعلى المؤمنين ألّا يَقعوا في الجهل السنني.
3. النقد المفيد والمنتج هو الذي يتم في ظل البناء. إنه نقد يقوم به البنّاؤون أنفسهم، وأولئك القريبون منهم.

تجديد الوعي 6

1. للجهل سوق قائمة وروَّاد، وهم يستهلكونه وبه يحيون، وذووا الجهل يروون الجهل عن نظرائهم.
2. صدق من قال: أن درهم مالٍ يحتاج إلى قنطار عقل. نعم ويحتاج إلى قنطار آخر من الدين والمروءة.
3. قال أحد الحكماء: إن من يملك معلومة كمن يملك قطعة ذهبية، أما من يملك (منهجاً) يستطيع من خلاله توظيف كل معلومة والاستفادة منها، فإنه كمن وضع يده على مفتاح منجم ذهب.

تجديد الوعي 7

1. في الطب من الأفضل تقوية مناعة الجسم بدلاً من استخدام الأدوية والوسائل الأخرى، وعلينا نحن كعرب أولاً وكمسلمين ثانياً أن نعتني بتطوير أنفسنا وتقوية صفوفنا بدلاً من الانشغال بالخصوم.
2. هناك كثيرون ممن يعبدون إلهاً صنعه خيالهم، إنهم يحتاجونه كوسيلة للعيش والشفاء من الأمراض، وكبديل عن العمل والسعي والطب والعلم.... إلخ.
3. الكلمة تكشف الحقيقة، ولكنها قد توظف لإخفائها.

تجديد الوعي 8

1. ما دامت الحرب تبدأ في عقول الرجال، فإنه ينبغي أن توطد دعائم الدفاع عن السلم في عقول الرجال أيضاً.
2. كلما تقدم العقل وثبتت أقدامه، تقدم معه السلوك القويم ورسخت دعائمه.
3. الكذب هو القنطرة التي تعبرها جميع الرذائل والموبقات.

تجديد الوعي 9

1. تستنشق الرئة المريضة الهواء النقي، فتحوله إلى سعال، وتهضم المعدة السقيمة الغذاء الشهي، فتحوله إلى مرض، ويتلقى العقل المخبول الكلمة المضيئة والحكمة المشرقة، فيحولها إلى هذيان.
2. قال عمر بن الخطاب لابن مسعود رضي الله عنهما عندما رآه ووراءه كوكبة من المسلمين فقال له مقرعاً: ما شاء الله يا ابن أم عبد، ثم صاح بالذين خلفه وفرّقهم قائلاً: لا تفعلوا ذلك مرّة أخرى، فإنه فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.
3. يارب انفعني بعقلي... واجعل ما أنا صائر إليه، أهم إليّ مما أنا مدبر عنه.

تجديد الوعي 10

1. التعليم الجيد مُكلِف، والتعليم الرديء أعظم كلفة، وإنما على المدى البعيد.
2. الجهل من جذور الظلم، أو على الأقل مادة له.
3. التعليم هو أعدى أعداء التعصب.

تجديد الوعي 11

1. من أقوال نيلسون مانديلا :إن بلادي غنية بالمعادن والأحجار الكريمة المدفونة تحت ترابها، ولكنني أؤمن بأن أعظم ثروة تملكها هي أبناؤها الذين يفوقون الذهب والماس قيمة وأصالة.
2. لم نكن نهدف إلى تدمير البلاد قبل تحريرها.

3. الكراهية تُكتسب، وما دامت لدى الإنسان قدرة على أن يتعلم الكراهية فهو قادر على تعلم الحب، لأن الحب أسهل وأسلس على قلوب البشر من الكراهية والبغضاء.

تجديد الوعي 12

1. إذا كان الدين عقيدة وعبادة وأخلاق فإن:

العقيدة تزكي العبادة وتدعم الأخلاق .

والعبادة تدعم العقيدة وتزكي الأخلاق .

والأخلاق عنوان العقيدة الصادقة وثمرة العبادة الخالصة.

2. في الحوار مع الآخر تأتي التجربة العلمية للرأي بعد تمحيصه والتثبت من مدى صحته وخطئه، فقد يختلف المتحاوران وأحدهما مصيب والآخر مخطئ، وقد يختلفان وكلاهما مخطئ، وقد يتفقان وكلاهما مخطئ. كل هذه احتمالات قائمة، وليست بعيدة عن الضعف البشري.
3. لا بد مع النص الشرعي من عقل ذكي واعٍ، يضع الشئ في موضعه، ويُحسن فهم النص، كما يحسن إدراك الواقع، فيحسن تنزيل النص على الواقع، فيصلح الواقع ويستقيم على أمر الله.

تجديد الوعي 13

1. المتشائم يشكو من الريح، والمتفائل ينتظر تغير الاتجاه، والواقعي يضبط الأشرعة.
2. كل شجرة كانت بذرة وكل إنجاز كان فكرة.
3. إن العالم يفسح الطريق لمن يعرف إلى أين هو ذاهب.

تجديد الوعي 14

1. المتفائل ليس أعمىً ولا واهماً يعيش في الأحلام، وإنما هو واقعي يدرك أن الحياة بقدر ما فيها من المشكلات يوجد إلى جوارها الحلول، وبقدر العقبات فهناك الهمم القوية التي تحول المشكلة والأزمة إلى فرصة جميلة.

2. أهم سبب لانهيار الأنظمة هو مقايضة الحرية بالأمن، نسلب حريتكم مقابل حماية بعضكم من بعض.
3. ما أسرع ما نصدّق الإشاعات ونرفض تأسيس الثقة.

تجديد الوعي 15

1. تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقل عبد.
2. الكثير من الناس يضيعون أوقاتهم في تمنى أشياء يستطيعون الحصول عليها لو صرفوا وقت التمني لتحقيقها.
3. أفضل طريقة للتنبؤ بالمستقبل هي المشاركة في صناعته.

تجديد الوعي 16

1. إن الثناء على الناس وتحفيزهم على فعل الخير والإشادة بإنجازاتهم، تخرج أكرم وأنبل ما في نفوسهم من المعاني، وتوفر لهم الوقود الروحي الذي يحتاجونه للاستمرار في العطاء والتضحية.
2. النقد لا يعني التركيز على السلبيات والمعائب والنواقص فحسب، كما قد يتوهم وإنما يعني الكشف عن مساحات الجمال والإبداع في العمل أو النشاط كما هو الشأن في النقد الأدبي.
3. أفضل النقد هو الذي يتم في ظلال البناء، وإذا تباطأت حركة اليد، فلا بد أن تتباطأ حركة الفكر، وعليه فلا بد من شيئين: عمل يتبعه نقد، ونقد يتبعه تغيير وإصلاح.

تجديد الوعي 17

1. ليست وظيفة التعليم حشو العقل بالمعرفة، وإنما تكوين هذا العقل ليصير قادراً على صنع المعرفة بذاته، ومن هنا ينبغي أن يكون الطفل محور العملية التربوية بدءاً من الروضة.

2. الموازنة في حياة الأمم لا يوفق لها قادة نظرتهم جزئية أو مرحلية أو مرتجلة أو عاطفية، ويتقبلون استفزاز الآخرين لهم بسرعة، والأمر يستدعي قيادة ثابتة الجنان لا تهزها الطوارئ ولا تلتفت لصغار القضايا، بل تركز على كبارها، وعلى ما هو بعيد المدى وله صفة إنتاجية وتراكمية، ويدخل في رصيد الأمة من غير تبديد.
3. شرح التهانوي الهندي قوله تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ طه: ١١٨ فقال : جاء بالجوع مع العُري، والأصل أن يكون مع الظمأ، وبالضحى مع الظمأ، والأصل أن يكون مع العُري، لأن الجوع والعُري اشتركا في الخُلو، فالجوع خلو الباطن من الطعام، والعُري خلو الظاهر من اللباس، والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق، فالظمأ احتراق الباطن من العطش، والضحى احتراق الظاهر من الشمس.

وفيما سبق من تفسير التهانوي تعليم للمؤمنين عامة، ولمن يحكمونهم خاصة، أن يلتفتوا إلى أحوال الناس فيجعلونها مجال خطة تنموية، وهي الطعام الكافي، والماء الصافي، والملبس الضافي (الذي يكسو الجسم)، والمسكن الخافي، والدواء الشافي، والتعليم الوافي.

تجديد الوعي 18

1. حديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: " لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم، فقد جهل ."هو قول يقطع بأن العلم طريق يسار عليه، وليس نهاية يوصل إليها. فالعلم منهاج قبل أن يكون نتيجة مقطوع بصوابها، العلم تيار متدفق، كل موجة فيه تتبعها موجة، في حركة تدوم ما دام للعقل نشاطه.
2. صفة المثقف الأساسية الأولى هي أن يكون دائم التطلع، دائم التساؤل، طالباً للحقيقة في هذه المسألة أو تلك، فهو مثقف بقدر ما تؤرقه هذه الجذوة، التي تدفعه إلى طرح الأسئلة ومحاولة العثور على إجابات لها.
3. سأل شيخٌ أبا عمرو بن العلاء: هل يَحْسُن بالشيخ أن يتعلم؟ فأجاب قائلاً: إن كان يَحْسُن به أن يعيش، فإنه يَحْسُن به أن يتعلم.

تجديد الوعي 19

1. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٠ قال ابن عطية مفسراً هذه الآية: أخبر الله سبحانه وتعالى على وجه التسلية أن الأيام على قديم الدهر وغابره أيضاً إنما جعلها دولاً بين البشر أي: فلا تنكروا أن يدال عليكم.
2. ثروة في الكفّ الشمال، لا يحميها صارم في الكفّ اليمين، تكاد أن تغري السارق بنهبها.
3. صاحب التقوى لا يقول غير الصدق، وتلك نعمة من الله على العبد، والكذب دليل غضب رباني.

تجديد الوعي 20

1. العاطفة العارية عن الوعي هي التي تقف وراء أي تخليط أو غبش في الرؤية.
2. نعوذ بالله من حالات الإحباط إذا عاش المؤمن بلا موهبة صبر.
3. التحولات الضخمة تحتاج عدة هزات تجريبية لتنمو وتتضح معانيها، ولتكون عرفاً يقبله الناس وتراعيه الدول الأخرى في مواقفها.

تجديد الوعي 21

1. أحياناً يكون الانشغال المكثف بقضايا يثيرها خصومنا (غربيين وشرقيين) هي مجرد فرقعات يتعمدون بها إلهاءنا واستنزاف جهودنا فيها، ومعظم التصريحات الإلحادية والرسوم المسيئة لمقدساتنا ورموزنا هي من هذا الصنف الاستفزازي.
2. العلم الذي يحصل به التقدم، هو العلم المحفوف بالعدل، والمحروس بالحرية.
3. كما يكون الفقر سبباً للكفر: فإنه يكون سبباً فيما هو دون الكفر، من الذلة والخنوع والاستسلام لقدر السوء دون منازعته بقدر الخير.

تجديد الوعي 22

1. طبيعة الفكر الحر أن يكون حواراً متعادل الأطراف، لا يأمر فيه أحدٌ أحداً، ولا يطيع فيه أحدٌ أحداً إلا بالحق، ليس فيه رجحان للموتى على الأحياء، ولا تفضيل لطائفة من الأحياء على طائفة.
2. يقول أبو العلاء المعري: نُطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق، ويُحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديّناً، وإنما يجعل ذلك تزيّناً، يريد أن يصل به إلى ثناء، أو غرض من أغراض الدنيا الفانية.
3. إننا لنخدع أنفسنا عبثاً إذا ظننا أن النظم الديمقراطية التي قد نصنعها جادين مخلصين، تكفل لنا الديمقراطية محتوىً ومضموناً، فالوعاء وحده لا يكفل لك نوع الشراب، وقد تكون صِحاف ولا يكون ثريد .

تجديد الوعي 23

1. القانون عندنا يُسن لمن لا يستطيع عصيانه، والنظام بيننا يُقام لمن لا يقوى على هدمه.
2. طبيعي أن نختلف...والأجمل ماذا بعد ذلك؟! من الطبيعي أن نختلف ونعتذرونتعاتب ونجتمع ونفترق.
3. . ولكن الجميل أن نختلف بلباقة، ونعتذر بتواضع، ونتعاتب برفق، ونجتمع بحب، ونفترق بود.
4. القلوب أحيانا كحبيبات السكر قاسية، لكنها سرعان ما تذوب حين تنغمس بطيبة الغير. روعة الإنسان ليس بما يملكه بل بما يمنحه فالشمس كتلة من نار لكنها أعطت الكون أجمل ما لديها.

تجديد الوعي 24

1. يقول أبو حيان التوحيدي محذراً من التناقض في حياتنا:

"إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا، إلى متى ندَّعي الصدق، والكذب شعارنا ودثارنا؟ إلى متى نستظل بشجرة تقلّص عنا ظلها؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن أن الشفاء فيها؟

2. لكل أمّة فضائل ورذائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمالٌ وتقصيرٌ، وهذا يقتضي بأن الخيرات والفضائل والشرور والنقائص مُفاضة على جميع الخلق.
3. في عملنا الفكري ترانا أحد رجلين: فإما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكراً عربياً معاصراً، لأننا في اقتصارنا على الحالة الأولى سنفقد المفكر العربي، وفي الحالة الثانية سنفقد المفكر المعاصر، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد، سواءً عَبَرْنا المكان للنقل من الغرب، أو عَبَرْنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين.

تجديد الوعي 25

1. الفكرة عندنا ممزوجة بشخص صاحبها وكرامته، ارفضها ترفضه معها، واقبلها تقبله معها، إنها شبيهة بالمثل الإنجليزي القائل: من أحبني أحب كلبي.
2. يُحكى عن أصحاب الصلاح والطيبة كل الخوارق التي تبطل أي قانون من قوانين الطبيعة التي وضعها الله فيها، كأن الله تعالى يرضيه أن تكون سنته في كونه لهواً ولعباً.
3. أُس البلاء في الفكر هو أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يدٍ واحدة، فإذا جلا صاحب السيف صارمه، وتلا باطله، زاعماً أنه وحده الصواب المحض والصدق الصراح، فهنا تكون محنة الفكر والمفكر.

تجديد الوعي 26

1. الأصل في الفكر -إذا جرى مجراه الطبيعي المستقيم -هو أن يكون حواراً بين (لا) و (نعم) وما يتوسطهما من ظلال وأطياف، فلا الرفض المطلق الأعمى يُعدُ فكراً، ولا القبول المطلق الأعمى يُعدُ فكراً، ففي الأول عناد الأطفال وفي الثاني طاعة العبيد.
2. عِلْمُنا نحن البشر، أقصاه معرفة تحتمل البدائل، نرجح منها بديلاً عن بديل، فما من فكرة (بشرية) إلا وتحتمل أن يكون نقضيها هو الصواب.
3. من الأخذ والرد خلال عملية الحوار، نقبل من الآراء المعروضة ما نقبله، ونرفض ما نرفضه، على أن القبول هنا قبولاً لما نظن أنه الصواب، ويكون الرفض رفضاً لما نظن أنه الخطأ.

تجديد الوعي 27

1. صناعة الحرب، أسهل من صناعة الحب والسلام، وصناعة الكراهية والأحقاد، أسهل من صناعة الحب والسلام.
2. لا تخسر أحداً من أجل نقاش حول السياسة!! فأنت وهو لن تُغيّرا شيئاً! فالقرار بيد آخرين ...إذا ما اتفقوا لن يهتموا برأيك أو برأيه..
3. وعلينا أن نتذكر تجاربنا الماضية عند كل موقف فهي دروس وفيها عبر فلا تملأ صدرك حقدا بالوكالة. فالإنسان أدرى بنفسه، فليعد لها ويصلح من شأنها ويقوِّم اعوجاجها، فذلك أمرٌ مُجْهِد يتكاسل عنه معظم الناس.

تجديد الوعي 28

1. عجزنا عن الخلاف البنّاء هو الذي يدفعنا في كثير من الأحيان إلى تجنب الخلاف فيما بيننا، واللجوء إلى النفاق والكذب بعضنا على بعض، وقد نسمي ذلك ذكاءً اجتماعياً، وهو في الحقيقة ليس إلا نفاقاً اجتماعياً.
2. الذكاء الاجتماعي لا يعني أن تخفي رأيك عن الآخرين حينما تختلف معهم، بل أن تبدي لهم هذا الرأي بطريقة يتقبلونها.

3. غِنى المجتمع يأتي من تنوع الأفكار واختلافها، وحينما يسود المجتمع النفاق يقل الإبداع المتولد عن الاختلاف والحوار وتعدد وجهات النظر وتلاقح الأفكار والتفاعل فيما بينها، وبالتالي تقلّ الأفكار والحلول في مجتمع كهذا، وتكثر فيه المشاكل والأزمات.

تجديد الوعي 29

1. خلق الله العواطف في الإنسان من أجل وظيفة معينة، وهي حماية الإنسان من الأخطار والحفاظ على وجوده، والارتقاء بهذا الوجود، فعاطفة القلق مثلاً وظيفتها أن تدفع الإنسان إذا وقع في مشكلة أن يبحث لها عن حل، وعاطفة الخوف وظيفتها أن تبعد الإنسان عن الأخطار، وعاطفة الغضب مهمتها أن تدفع الإنسان إلى الدفاع عن حقوقه عندما يعتدى عليها، وعاطفة الحب تدفع الإنسان إلى التضحية في سبيل من يحب، وهكذا....
2. هذه العواطف تلعب دورها الإيجابي، عندما تأتي في الوقت المناسب، وبالشدة المناسبة، أما إذا أتت بشكل أقل أو أكثر من المطلوب، فعندها ستلعب دوراً سلبياً في حياة الإنسان.
3. تجاهل العواطف يشبه إغلاق جرس إنذار الحريق عندما يشب في المنزل بدلاً من الاتجاه إلى إطفاء الحريق. والإنسان الذي يكبت انفعالاته بدل أن يفهمها ويتحكم بها يشبه ذلك الذي يغلق منفذ البخار في وعاء يغلي فيه الماء. الإنسان الذكي عاطفياً هو إنسان لا يتجاهل عواطفه ولا يكبتها، وإنما يفهمها ثم يتعامل معها بطريقة إيجابية خلَّاقة.

تجديد الوعي 30

1. لا يجدي أن نملأ وعاء الحق في أذهاننا، حين يكون وعاء الباطل مازال هناك قائماً إلى جواره، فالباطل -على مر الزمن-جدير أن يفسد الحق، كما تفسد الثمرة الفاسدة ما حولها من ثمرات صحاح.

2. لا بناء قوي وسليم إلا بعد أن نزيل الأنقاض، ونمهد الأرض، ونحفر الأساس القوى المكين.
3. ثمة اكتشافان إنسانيان يحق لنا اعتبارهما أصعب الاكتشافات: فن حكم الناس وفن تربيتهم (كانط).

تجديد الوعي 31

1. علماء السلوك يشبهون الفترة التي يمر بها الإنسان في بداية التغيير بالمرور في عنق الزجاجة، فالإنسان هنا إما أن يدفعه الضيق إلى الرجوع، فيتخلص من عنق الزجاجة، لكنه يظل محبوساً داخلها إلى ما شاء الله، أو أن يصبر ويتابع السير إلى أن يخرج إلى الآفاق الواسعة.
2. بعض الناس ينصت إليك وهو يفكر في الرد عليك لا فيما تقوله.
3. عندما يكون الإنسان في حالة ارتباك تسهل السيطرة عليه وتوجيهه.

تجديد الوعي 32

1. السعيد من اتعظ بغيره والشقي من شقي بنفسه.
2. الذي يدفع بالتي هي أحسن يولد التي هي أحسن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤
3. إن الصغار إذا لجأوا إلى القوة في حل مشكلاتهم، فإنهم قد باعوا قضيتهم للمترفين في الأرض (سماسرة الحروب).

تجديد الوعي 33

1. التاريخ يقول: إن اضطهاد أي فكرة هو عامل مسرّع في انتشارها، واعتناق الناس لها، والموت في سبيلها، خاصة إذا كانت الفكرة دينية شاملة.

2. جرت سنة الله في خلقه أن رفع الصوت في أي حوار أو نقاش يتماشى بشكل طردي مع ضعف الحجة.
3. إذا كررت فكرتك لشخص ما عشرين مرة وشعرت أنه قد فهم منك فأنت متفائل.

تجديد الوعي 34

1. كما أن إيمان المؤمن يزداد وينقص، فما المانع أن كفر الكافر يزداد وينقص، فالنفس الإنسانية دوماً في حالة ديناميكية.
2. يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه.
3. نقطة انطلاق المرض ليست في وجود الجرثوم، لأن وجوده قائم، بل بانهيار حاجز المقاومة في جسم الإنسان (أو المجتمع أو....) لسبب أو لآخر مما يعطي الفرصة لهجوم الجرثوم وإحداث المرض.

تجديد الوعي 35

1. هناك علاقة بين الفكر والسلوك، حيث أن الأفكار تُصحّح بعواقب (نتائج) السلوك، والمشكلة كائنة في الالتباس الذي يحصل في فهم العواقب وتصحيح السلوك.
2. موقف من يشبهون سيد الشهداء (حمزة رضي الله عنه) هو الموقف الذي لا لبس فيه، موقف من يقول :يمكنك أن تقتلني، ولكن لا يمكنك أن تجعل مني قاتلاً.!!
3. المجتمع المُكرَه والمقهور أسير من يملك القوة وليس مع الذي يملك الحق.

تجديد الوعي 36

1. أعظم الخير يكون في معرفة كيفية تحصيل الخير الكامن في الإنسان.
2. لن يتعلم أحدٌ السباحة من كتاب، لأن الله جعل تعلم السباحة في الماء.
3. العلم هو الذي يزكي صاحبه لا المال، وإذا تزكى الإنسان؛ تزكى معه كل شيء، وإذا تدسَّى؛ تدسَّى كل شئ يتصل به.

تجديد الوعي 37

1. الشيطان أخذ إجازة طويلة، حيث مثقفو العصر الحديث (المزيفون) يقومون بدوره في معالجة الذين يتخبطهم الشيطان من المسّ.
2. الحَجَر الذي رفضه البناؤون صار حَجَر الزاوية. الانجيل
3. لا يوجد علم، ولا فهم، ولا يقين غير قابل للزيادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤

تجديد الوعي 38

1. من لا يعرف التاريخ يضل (فيه) و(به)، ومن يعرف التاريخ وعواقب الأمور يهتدي به.
2. التاريخ ليس هو الكذب والدجل، وإنما هو المصير الذي يؤول إليه الكذب أو الصدق.
3. من لا يعرف التاريخ، ولا يتأمل فيه، يظن ويتوهم أنه لا يوجد حساب، ولذلك فهو بطيء محبط، أما الذي يعرف التاريخ، فإنه يشعر بمعنى سرعة الحساب، الحساب الذي نعيشه في عصرنا هذا، يشعر بهذا من دروس الأزمان التاريخية، وكيف كان سيرها في الماضي بطيئاً مملاً، وكيف صار التاريخ الآن يسير بتسارع مستمر.

تجديد الوعي 39

1. المقهور حين يسعى للخروج مما هو فيه من قهر، لا يهدف إلى السواء، بل يهدف إلى أن يتحول إلى قاهر، ولهذا فإن الصراع مأساوي، وتكاد الحلقة تكون مفرغة، وهي ليست مفرغة.
2. حيث لا يوجد مقياس لا يمكن أن يكون هناك حق أو باطل، و ماتراه حقاً مبيناً، قد يراه الآخر باطلاً مبيناً.

3. الحق ليس هو ما في ذهنك وتصورك، الحق هو المصير، هو المنقلب، هو العاقبة، هو الموجود في الواقع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾ الرعد: ١٧

تجديد الوعي 40

1. إن ما بالأنفس هو الذي يصنع الوقائع.
2. كما يخطئ الناس في تفسير حركة الأفلاك السماوية، كذلك يخطئون في تفسير حركة الأفكار وسيرها في المجتمعات.
3. حين تقبل حماية وجهة نظر الآخر الخاطئة تكون قد جعلت لنفسك الحماية والحق في الحياة؛ لأن الآخر ينظر إليك على أنك مخطئ .لن تكون محمياً إلا إذا حميت الآخر وأعطيت له نفس الحق الذي تعطيه لنفسك.

من أقوالهم....

1. التاريخ غالباً قاضٍ عادل. لا توجد هزائم غير مستحقة. نزل الناس عن مسرح التاريخ مع المصير الذي يستحقونه. خالد محمد خالد
2. يمكن أن تخدع الجميع لبعض الوقت، ويمكن أن تخدع البعض طوال الوقت، ولكن لا يمكن خداع الجميع طوال الوقت. ابراهام لينكولن
3. إحدى الوسائل التي ينتصر بواسطتها الشر في البلد، أن يصمت الناس الأخيار ويمتنعوا عن عمل أي شيء . برهان جوقارجي
4. كلما ازداد الإنسان غباءً... ازداد يقيناً بأنه أفضل من غيره في كل شيء . عليّ الوردي
5. لقد خلقت بجناحين فلماذا تفضل أن تعبر الحياة حبوا .... جلال الدين الرومي
6. من أجل تخريب مبدأ لا تهاجمه بقوة، بل دافع عنه بشكل ضعيف . شمندل.

مثلث التحكم بالناس...

مثلث التحكم بالناس له أضلاع ثلاثة من الاستبداد والاستثمار والاستحمار. الأول يربط الإنسان من رأسه، والثاني يقوم بتنظيف جيبه، والشريك الثالث يشرع بتقديم النصائح والمواعظ قائلاً بلسانه الرباني العطوف: اصبر يا أخي أفرغ جوفك من الطعام، وجيبك من المال، واجعل جوعك وفقرك رصيداً لك يوم القيامة ليخفف لك من ذنوبك. وبالله استعن على هؤلاء الفسقة، فسوف يلقون جزاءهم في الآخرة. عليّ شريعتي بتصرف يسير.

الخروج عن القطيع

اللوحة اسمها "الشرود عن القطيع"، وهي لرسّام بولنديّ مغمور اسمه توماس كوبيرا. قد لا تثير اللوحة اهتمامك للوهلة الأولى لبساطة توليفها ولأن شكلها يذكّرنا بعشرات اللوحات التي ألفنا رؤيتها في بعض برامج الرسوميات. غير أن الرسّام يصوّر فيها، بطريقة عميقة ومثيرة للإعجاب، ماهيّة ثقافة القطيع وتأثيرها على صناعة الذات.

القطيع في اللوحة يأخذ شكل طابور من البشر، ملامحهم زرقاء، كئيبة ومتجمّدة وهم أشبه ما يكونون بقوالب الثلج. الهيئات المتجمّدة لأفراد القطيع قد تكون كناية عن أن نموّهم توقّف عند مرحلة معيّنة، كما أنهم متشابهون وبلا ملامح نتيجة كون أفكارهم وعقلياتهم مقولبة ومسبقة الصنع.

لكن هناك شيئا غريبا في هذه الصورة. إنه الشخص المندفع بقوّة إلى خارج القطيع. هذا هو التفصيل الذي يجتذب العين أكثر من سواه في اللوحة. ومن المثير للانتباه أن الرسّام لوّنه بالأحمر، أو ربّما الأصح أن نقول أن لونه يتحوّل شيئا فشيئا إلى الأحمر؛ لون النار ورمز التحدّي والإصرار والتمرّد.

الرجل إلى أقصى اليمين يظهر أنه زعيم القطيع أو رمز السلطة الأبويّة. يبدو هذا الشخص وهو يجاهد مع زميله الآخر إلى يمينه للإمساك بالرجل الخارج وإعادته إلى بيت الطاعة، أي إلى حظيرة القطيع. الواقع أن فعله ليس فقط فعل خروج ولا حتى شرود عن القطيع، حركته حركة انشقاق أو انسلاخ في عنفها وقسوتها. القطيع يشدّه كي يبقى، فيما هو يشقّ طريقه منطلقا بكلّ قوّة للفكاك والانعتاق من الأسر الذي ضاق به.

شكل القطيع الذي يشبه أمواج البحر ربّما قصد الرسّام أن يرمز به إلى طغيان القطيع وجبروته وقدرته على البطش بكلّ من يحاول الخروج على الأعراف المستقرّة والجاهزة.

هذه اللوحة عبارة عن دراسة رائعة عن الذاتيّة وعن بحث الإنسان عن وجه وهويّة في المجتمعات القطيعية أو الشمولية. تأمّل قليلا تعبيرات وجه الرجل، إنها مملوءة بالمعاناة

والألم، عيناه تصرخان لكن روحه تقاوم، عينه مثبّتة على شيء يراه من بعيد، قد يكون نجمه الهادي؛ حلمه الذي يريد بلوغه، توقه لأن يصبح إنسانا مختلفا ومتميّزا عن البقيّة. الهارب من سجن القطيع في اللوحة ربّما يصحّ فيه وصف أحد الكتّاب بأنه واحد ممّن قضوا معظم حياتهم وهم يعتقدون بأنهم يدافعون عن أفكارهم وقناعاتهم الخاصّة. ثم اكتشفوا ذات يوم أنهم إنما كانوا يدافعون عن أفكار وتصوّرات زرعها في عقولهم أناس آخرون. نقلا عن محمد عصمت

رُقيُّ النقد...

كان الأستاذ مع طلابه يتدارسون في علم الحديث ما هو المقبول منه وما هو المردود، ومَن مِن الرواة للحديث ثقة ومن منهم متساهل، وبدأوا يذكرون الرواة واحداً بعد الآخر، تحت ما يسمى في علم الحديث (بالجرح والتعديل)، حتى وصلوا إلى ذكر أحد الرواة، فقال أحد الطلبة: هذا كذَّاب دجَّال، فالتفت إليه الأستاذ وقال له: أكسو (ألبس) ألفاظك أحسنها، فقال الطالب: وماذا أقول عنه، فقال الأستاذ: قل ردّوا حديثه، أو توقفوا عن أخذ الرواية عنه.

أي صديقي: قد لا تجد فرقاً بين عبارتي الأستاذ والطالب السابقتين إلا في اللفظ، أما المعنى فواحد في كلا العبارتين. وهنا يكمن الرُقيُّ، وإلباس الألفاظ أحسن ثيابها.

بإمكانك أن تقول كلمة الحق الصريحة، وما عليك إلا اختيار ألفاظها فقط، ويمكنك أن تدين شخصاً ما أو جهة ما أو دولة ما، ما عليك سوى اختيار اللفظ الذي يؤدي المعنى بدون فحش أو بذاءة .

لقد أصبحت قاعدة عند كثير من الناس أنهم إذا أردوا أن ينتقدوا أو يهاجموا أو يدينوا أو يردوا على المخالف فلا بد أن يصطحبوا معهم قاموس الشتائم والبذاءة والفحش ليفحموا الآخر، الذي بدوره سيستخدم نفس القاموس، وبدلاً من استخدام العقل والحكمة والاغتراف منهما للمناقشة والحوار، يصبح الحال وكأن هؤلاء يغترفون من

الصرف الصحي (أعز الله أذواق القارئين) ليردوا على بعضهم بعضاً. خذها قاعدة في ذهنك أن أحسن اللفظ ما كانت زينته فيه ومنه.

عدوى الأخلاق...

كثيراً ما نصاحب أشخاصاً فنحسّ بأننا نرتقي معهم، فنكتسب منهم رجاحة العقل وحسن التصرف وعذوبة اللفظ واتساع الأفق، دون أن يقولوا لنا ذلك، ودون قصد منا أحياناً، إلا أن عدوى أخلاقهم تتسرب إلينا فتغيرنا.

واليوم وقد حلّت شبكات التواصل الاجتماعي بدلاً عن اللقاء والصحبة المباشرة في الغالب، فإن ما يتم تناقله وتداوله عبرها يؤثر فينا ونصاب (بالعدوي) غالباً، فإذا كان أحد أصحابي في إحدى هذه الشبكات سواءً كانت الصحبة فردية أو من خلال مجموعات يائساً أو محبطاً أو ضيق الأفق أو متحزباً أعمي أو متشدداً جاهلاً أو مستهتراً أو.... إلخ، فسأتلقى سيلاً من الرسائل والمشاركات التي تغزو كياني عن وعي أو بدون وعي مني، فأبدأ بالتراجع وتصيبني عدوى هذه المنشورات، عندها يأتي اليوم الذي أُصبح فيه من فريق (السبّابين والشتامين والمستهترين والمتحزبين.... إلخ).

ومن تجربتي الشخصية في هذا المجال أنني أتجنب صحبة هؤلاء الذين يدمرون شخصيتي قدر المستطاع، وأحاول نصحهم بإخلاص وتجرد، فإن رفضوا اضطررت لأن أغادرهم أو يغادروني ولسان حالي معهم: " أنا أبحث عمّن أزداد به وأرتقي معه، ولا أبحث عمّن أنقص به وأتراجع من خلاله."

أي صديقي: حياتك الشخصية وصفحاتك على مواقع التواصل هي ذاتك فلا تُدخل الآخرين سيئ الطباع ليعبثوا بها، فرب منشور يسد أمامك الآفاق وآخر يفتح لك أبواب المستقبل، ورب صورة تغرب معها أحلامك في تذوق الجمال، وأخرى تشرق معها أحاسيسك بالفن والجمال، ورب اقتباسة تقرأها في الصباح فيظلم عليك نهارك، ورب اقتباسة أخرى تأخذها على الريق فيحلو ويطيب بها لسانك وقلبك وعقلك وكل جوارحك طوال يومك وليلتك .

وتذكر في الأخير قول ابن الرومي فيمن تصاحبه:

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام

أنواع الحبال....

1. أنفعها: الحبل السري الذي يتغذى منه الجنين ليبقي حيًا في بطن أمه.
2. .وأشنعها: حبل الإعدام الذي يوقف الأنفاس ويؤدي إلى الموت.
3. .وأرقها: حبل الأفكار الذي يمكن أن تقطعه بكلمة.
4. .وأقصرها: حبل الكذب الذي ينتهي حيث بدأ.
5. .وأوثقها: حبل المودة، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ﴾ آل عمران: ١١٢
6. .وأقربها: حبل الوريد، الذي قال الله تعالى فيه:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾ ق: ١٦
7. .وأقواها وأعظمها وأجملها: حبل مع الله لا ينقطع، والذي قال عنه تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣

الجنون فنون وكمان أدب..... من لطائف الأدب العربي

الشاعر السوداني الكبير (إدريس جمّاع) فقد عقله في آخر أيامه ودخل مستشفى المجانين، وأراد أهله أن يعالجوه بالخارج، وفي المطار رأى امرأة جميلة برفقة زوجها؛ فأطال النظر إليها والزوج يحاول أن يمنعه (طبعاً مجنون) فارتجل جمّاع قائلا:

أعَلى الجمال تغارُ منا ماذا علينا إذ نظرنا

هي نظرةٌ تنسي الوقارَ وتسعد الروحَ المعنَّى

دنياي أنتِ وفرحتي ومنَى الفؤادِ إذا تمنَّى

أنتِ السماءُ بدت لنا واستعصمت بالبعدِ عنَّا

وعندما سمعها الأديب/ عباس محمود العقاد رحمه الله سأل عن قائلها فقالوا له: إنه الشاعر السوداني (إدريس جماع) وهو الآن في مستشفى المجانين..

قال: هذا مكانه، لأن هذا الكلام لا يستطيعه ذوو العقول!! ...

وعندما ذهبوا بإدريس جمّاع إلى لندن للعلاج أُعجب بعيون ممرضته وأطال النظر في عينيها، فأخبرت مدير المستشفى بذلك فأمرها أن تلبس نظارة سوداء ففعلت، و عندما جاءته نظر إليها جملع و أنشد:

والسيف في الغمدِ لا تخشَى مضاربُه وسيفُ عينيكِ في الحالين بتارُ

وعندما تُرجم البيت للممرضة بكت.

وصنف النقاد هذا البيت كأبلغ بيت شعر في الغزل في العصر الحديث!!

وهذا الشاعر إدريس جمَّاع هو صاحب الأبيات الشهيرة التي يقول فيها:

إن حظي كدقيق فوق شوكٍ نثروه ثم قالوا لِحُفاةٍ يومَ ريحٍ اجمعوه

عَظِم الأمرُ عليهم ثم قالوا اتركوه إن من أشقاهُ ربي كيف أنتم تُسعدوه.

الشهوات... زيت الإنسان

إذا شبّهنا الإنسان بمصباح، فجسده هو المصباح، وشهواته هي الزيت، وإذا أنت أهرقت (سكبت) زيت المصباح على الأرض ذهب بدداً وضاع، وإن أنت احتبسته داخل المصباح، استطعت أن تحوله إلى ضياء ونور.

أي صديقي :إن استطعت التعامل مع شهواتك، وكنت حكيماً في التحكم في مسارها، فلا تلغيها فتترهبن (من الرهبانية)، ولا ترخي لها الزمام فتفسد، فإنك ستحوّل تلك الشهوات من نار إلى نور، ومن وسيلة تدمير إلى وسيلة إعمار. فقط أحسن إدارتها بالحلال ولن تجد وقتاً للولوغ في الحرام.

أبو حامد الغزالي والبحث العلمي

قال أبو حامد الغزالي: " لم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ - قبل سن العشرين - وحتى الآن - بعد سن الخمسين - أقتحم لجة هذا البحر العميق (البحث والتحري والتمحيص)، وأخوض غمراته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مُظلِمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميّز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، ولا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطِلاً إلا وأتحسس وراءه للتنبيه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري، وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلّتي لا باختياري وحيلتي، حتى انحلّت عني رابطة التقليد، وانحسرت عني العقائد الموروثة على قرب عهد بسن الصبا ". من كتابه المنقذ من الضلال.

صدق الله القائل: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

كما نكون تكون تربيتنا

دخل الولد على أمه وهو يصيح، أمي أمي لقد رأيت في الحديقة (فأراً كالفيل)، فالتفتت إليه الأم وقالت غاضبة: ألم أقل لك (مليون مرّة) ألا تبالغ . إذن الفأر الذي كالفيل في كلام الطفل يساوي قول أمه أنها قالت له مليون مرة ألا يبالغ.

كثيراً من كلام أبنائنا وتصرفاتهم هي صدى لكلامنا وتصرفاتنا (بضاعتنا ردت إلينا). وكما نكون تكون تربيتنا.

أجلُّ نعمة بعد الإيمان...

إذا كانت نعمة الإيمان هي أعظم النعم، فالنعمة التي تليها هي نعمة العقل الواعي الفاحص المتأمل، إنها نعمة كبرى، إذ بدون نعمة العقل لا تحصل نعمة الإيمان، وبدون هذه النعمة لا تعمل تلك عملها الأتم، ثم بدون هذه النعمة لا تستقيم تلك على أمر الله، بل سرعان ما تنحرف بها الأهواء.

اللهم اجمع لنا بين نعمة الإيمان ونعمة العقل، وانفعنا وارفعنا بهما في الدنيا والآخرة.

الدين النصيحة...

عندما تراني أسير في طريق الخطأ، أو مستمر فيه ولا تنصحني فأنت تُبيّت لي أحد أمرين:

الأول: إمّا أنك تنتظر أن تلتهمني أخطائي.

الثاني: أو أنك تُجمّعُ أخطائي وعيوبي لتفضحني بها على الملأ.

إليك عني أيها الصديق: المؤمنون نَصَحَه (من النصح) والمنافقون غششه (من الغش)، وأريدك أن تكون من الصنف الأول لا من الثاني، وهذا أنفع لي ولك. رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي.

قدوتنا العسكرية فقط.

هناك شباب مهموم بآلام الأمة يفكر أن يكون قائداً (كصلاح الدين) ليخرج الأمة من عجزها وهوانها، ولا يفكر أحد هؤلاء الشباب أن يكون الشافعي أو أبو حنيفة أو الإمام زيد أو العز بن عبد السلام أو ابن الامير أو الشوكاني أو الزبيري أو ابن النفيس أو ابن الهيثم أو ابن سيناء أو البيروني أو آخرين من غير دينهم مثل إنشتاين، أو غاندي أو مانديلا أو تولستوي .... الخ، العالم المتخصص المبدع في تخصصه، ألسنا نفكر بطريقة انتقائية، ونتعامل مع الحياة على أنها معركة عسكرية، الذي يفوز فيها يحصل على كل ما يريد.

من تجاربهم...

ذكر طه حسين في مذكراته (كتاب الأيام) أثناء دراسته، أنه وزملاؤه أضربوا عن حضور درس لمدرس إيطالي كان يدرسهم، احتجاجاً على إعلان إيطاليا الحرب على تركيا في حينه، وخرجوا من الفصل، فقال لهم المدرس الإيطالي: مثلكم في تصرفكم هذا كمثل الرجل الذي أراد أن يغيظ امرأته فخصى نفسه.

عطاء بلا حدود

يحكى أن شيخاً عالماً كان يمشي مع أحد تلاميذه بين الحقول وأثناء سيرهما شاهدا حذاء قديما، اعتقدا أنه لرجل فقير يعمل في أحد الحقول القريبة، والذي سينهي عمله بعد قليل. التفت الطالب إلى شيخه وقال له: هيا بنا نمازح هذا العامل بأن نقوم بتخبئة حذائه، ونختبئ وراء الشجيرات، وعندما يأتي ليلبسه يجده مفقوداً فنرى دهشته وحيرته! فأجابه العالم الجليل: "يا بني يجب أن لا نُسلِّي أنفسنا على حساب الفقراء، ولكن أنت غني، ويمكن أن تجلب لنفسك مزيداً من السعادة، والتي تعني شيئاً لذلك الفقير؛ بأن تقوم بوضع قطع نقدية بداخل حذائه، ونختبئ كي نشاهد مدى تأثير ذلك عليه .!! "

أعجب الطالب بالاقتراح وقام بوضع قطع نقدية في حذاء ذلك العامل ثم اختبأ هو وشيخه خلف الشجيرات؛ ليريا ردة فعل ذلك العامل الفقير... وبعد دقائق جاء عامل فقير رث الثياب بعد أن أنهى عمله في تلك المزرعة ليأخذ حذاءه، وإذا به يتفاجأ عندما وضع رجله بداخل الحذاء بأن هنالك شيئا ما بداخله وعندما أخرج ذلك الشيء وجده (نقوداً)!!.

وقام بفعل نفس الشيء في الحذاء الآخر ووجد نقوداً أيضاً !! نظر ملياً إلى النقود وكرر النظر ليتأكد من أنه لا يحلم ... بعدها نظر حوله بكل الاتجاهات ولم يجد أحداً حوله !! وضع النقود في جيبه وخرَّ على ركبتيه، ونظر إلى السماء باكيا ثم قال بصوت عال يخاطب ربه: "أشكرك يا رب يا من علمت أن زوجتي مريضة وأولادي جياع لا يجدون الخبز؛ فأنقذتني وأولادي من الهلاك". واستمر يبكي طويلاً ناظرا إلى السماء شاكرا هذه المنحة الربانية الكريمة.

تأثر الطالب كثيرا وامتلأت عيناه بالدموع ... عندها قال الشيخ الجليل: "ألست الآن أكثر سعادة مما لو فعلت اقتراحك الأول وخبأت الحذاء؟ أجاب التلميذ: "لقد تعلمت درسا لن أنساه ما حييت ... الآن فهمت معنى كلمات لم أكن أفهمها في حياتي: "عندما تعطي ستكون أكثر سروراً من أن تأخذ."

فقال له شيخه: والآن لتعلم أن العطاء أنواع: العفو عند المقدرة عطاء. والدعاء لأخيك بظهر الغيب عطاء. والتماس العذر له وصرف ظن السوء به عطاء. والكف عن عرض أخيك في غيبته عطاءً. فهذه بعض العطاءات حتى لا يتفرد أهل الأموال بالعطاءات وحدهم!!

الحدث الواحد برؤيتينً

جلس مؤلف كبير أمام مكتبه وأمسك بقلمه، وكتب: في السنة الماضية أجريت عملية إزالة المرارة، ولازمت الفراش عدة شهور، وبلغت الستين من العمر فتركت وظيفتي المهمة في دار النشر التي ظللت أعمل بها ثلاثين عاماً، وتوفي والدي، ورسب ابني في بكالوريوس كلية الطب لتعطله عن الدراسة عدة شهور بسبب إصابته في حادث سيارة، وفي نهاية الصفحة كتب: يا لها من "سنة سيئة للغاية."!!

دخلت زوجته غرفة مكتبه، ولاحظت شروده، فاقتربت منه، ومن فوق كتفه قرأت ما كتب، فتركت الغرفة بهدوء، من دون أن تقول شيئا، لكنها وبعد عدة دقائق عادت وقد أمسكت بيدها ورقة أخرى، وضعتها بهدوء بجوار الورقة التي سبق أن كتبها زوجها.

تناول الزوج ورقة زوجته وقرأ منها: "في السنة الماضية... شفيت من آلام المرارة التي عذبتك سنوات طويلة، وبلغت الستين وأنت في تمام الصحة، وستتفرغ للكتابة والتأليف بعد أن تم التعاقد معك على نشر أكثر من كتاب مهم، وعاش والدك حتى بلغ الخامسة والثمانين، من غير أن يسبب لأحد أي متاعب، وتوفي في هدوء من غير أن يتألم، ونجا ابنك من الموت في حادث السيارة وشفي بغير أية عاهات أو مضاعفات...، وختمت الزوجة عبارتها قائلة :يا لها من سنة أكرمنا الله بها وانتهت بكل خير.

لاحظوا... نفس الأحداث لكن بنظرة مختلفة. دائماً ما ننظر إلى ما ينقصنا، لذلك لا نحمد الله على نعمه. دائماً ما ننظر إلى ما سُلِبَ منا، لذلك نقصر في حمده على ما أعطانا.

سفينة المجتمع

علّق أديب العربية مصطفى صادق الرافعي رحمه الله على حديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذي قال فيه: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيهما كمثل قوم استهموا على سفينة..... الحديث."

فقال الرافعي: فهذا تمثيل لحالة طائفة في (الأسفل) تعمل لرحمة من هم في (الأعلى): عاطفة شريفة ولكنها سافلة، وحميّة ملتهبة ولكنها باردة، ورحمة خالصة ولكنها مهلكة؛ ولن تجد كهذا التمثيل في تصوير البلادة الاجتماعية والغفلة الفلسفية لأناس هم عند أنفسهم أمثلة الجد والعمل والحكمة، فكأن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول لهؤلاء من ألف وأربعمائة سنة :أنتم المصلحون إصلاحاً مخروقاً!

سيكولوجية الإنسان المتعصّب...

المتعصّب يعيش على أعصابه وتقوده عاطفته، أما عقله ففي إجازة مفتوحة. المتعصّب يبرر أخطاء زعيمه أو جماعته أو طائفته أو قبيلته أو منطقته ويزينها، يفاضل بين أفعال زعيمه أو حزبه أو... وبين أفعال من يخاصمهم، ولو كان الإثم مشتركاً بين الإثنين. المتعصّب كالقبلي يعادي من تعاديه القبيلة، وإذا خرج عن هذه التبعية واختار طريقاً آخر، يصير صعلوكاً، يشتري حريته بتشرده.

المتعصّب إنسان مواظب على الطاعة العمياء، يحب إطاعة الأوامر، حتى ولو كانت تلك الأوامر لا تتفق مع عقل أو شرع أو إنسانية.

المتعصّب يشبه رجل المخابرات أو الحاكم المستبد، يحجر على عقول الآخرين ويدفعها للرضوخ والتسليم بما يعتقده هو، وبالتالي يعطّل عمل العقل لديهم كما تعطّل عمل العقل لديه.

المتعصّب ينتقل من النقيض إلى النقيض، ويبقى بعقليته المتحجرة مشرّقاً ومغرّباً، مع هؤلاء أو أولئك.

المتعصّب يتبرع بخصاء فكره مفضلاً التبعية الطفيلية على ما سواها من الاستقلال الذاتي. والعقل المتعصّب لا يفكر بل ينسخ، يسمع فيستجيب فوراً، إنه لا يختار بل ينساق بسرعة، ويقاد دوماً بإرادته.

المتعصّب ليس بحاجة إلى أن يتدرب كي تنزع منه حريته، فهو يسلم بالطاعة منذ نعومة وعيه، وليس بحاجة لانتزاع حريته.

المتعصّب كائن ناقص الوجود، يكاد يكون غير موجود إلا في ثياب غيره، لا يملك القدرة على اتخاذ قرار ذاتي، ولا يتصرف وفق رؤيته أو بناءً على تحليله الخاص ونقده الموضوعي وآلياته المعرفية. ويتم ترويض المتعصبين عبر اخضاعهم للذة الامتثال، وجاذبية الحماس، وإلف الظهور بمظهر الولاء. والتعصب الأعمى سلاح دمار شامل، فهو أداة إلغاء، وأول من يتم الغاؤهم هم الذين انضووا تحت أقدامه.

رزقنا الله وإياكم التوسط والاعتدال وجنبنا وإياكم الغلو والتعصب، وأرانا وإياكم الحق حقاً ورزقنا اتباعه، وأرانا وإياكم الباطل باطلاً ورزقنا اجتنابه.

عندما تغيب الحكمة على المسلم ويجدها غيره...

في برنامج تفاعلي يستقبل اتصالات الطلبة المبتعثين للدراسة في الخارج اتصل أحد الطلبة وكان يدرس في بريطانيا، وكان له قصة جميلة مع الأسرة البريطانية المستضيفة له، هذه الأسرة مكونة من الأم والأب وطفلة عمرها خمس سنوات.

يقول هذا الطالب: في يوم قرر الزوجان الخروج في شأن لهما، وسألاني إذا كنت لن أغادر الشقة حتى تبقى الطفلة معي، فقلت لا بأس سأبقى مع الطفلة، وبعد خروجهما ذهبت الطفلة للمطبخ وأوقعت كأساً وانكسر فسمعت بكاءها، وأسرعت إليها فقالت: أمي ستعاقبني لأنني كسرت الكأس، فقلت للطفلة لا تخافي، وإذا سألتك أمك من كسر الكأس، فقولي لها أنني أنا الذي كسرتها.

وفعلاً عندما عادت الأم لاحظت الكأس المكسورة، وسألت الطفلة فأخبرتها بما قلته لها، وذهبت أنا للسوق واشتريت طقم كاسات جديدة، وفي المساء جاءتني الطفلة تبكي، وقالت لي: إنني لا أستطيع النوم لأني كذبت على أمي وسأخبرها الحقيقة، وفعلاً أخبرت والدتها بالحقيقة، وقد جاءتني أمها بمنتهى الهدوء لتتأكد من صدق الطفلة، فأخبرتها بأن ما قالته الطفلة صحيح.

عندها قالت لي: إنك شاب طيب ومحترم، ونحن منذ ولادة هذه الطفلة، ونحن نعلمها الصدق، وهذه هي المرة الأولى التي تكذب فيها. عذراً منك أيها الشاب لن أدمر شخصية ابنتي بسلوك شنيع كالكذب . أمامك 24 ساعة لتغادر منزلنا، وابحث عن مكان آخر. يقول الطالب: وقد خرجت وأنا في منتهى الأسف والندم والخزي لأنني شوهت صورة الإسلام لدى هذين الزوجين بهذا التصرف السيئ.

أعزائي الأفاضل: الكذب مرة واحدة يعني الكثير في تربية الأطفال، ويعني الكثير أيضاً في علاقتك بالآخرين. أحسنوا تمثيل دينكم لدى أبنائكم ومع من تتعاملون معهم في مجتمعكم، ومع من ليسوا على دينكم.

ملاحظة: مهما كانت ملابسات القصة إلا أن الشاهد فيها أن الغرب أدرك قيمة وفائدة الصدق، كما أدرك أن الكذب منقصة في حياة الإنسان السوي.

افعل على أيّة حال...

ستيفن كوفي هو واحد من أشهر كتّاب التنمية البشرية في العالم، ومن أهم كتبه العادات السبع للأشخاص الأكثر فعالية، ثم تبعه بكتاب عن العادة الثامنة. لنقرأ ما كتبه ستيفن كوفي من وصايا عجيبة في العادة الثامنة:

1. الناس غير منطقيين ولا تهمهم إلا مصلحتهم. أحِبهم على أيّة حال.
2. إذا فعلت الخير سيتهمك الناس بأن لك دوافع أنانية خفية. افعل الخير على أيّة حال.

3. إذا حققت النجاح سوف تكسب أصدقاء مزيفين وأعداء حقيقين. انجح على أيّة حال.
4. الخير الذي تفعله اليوم سوف يُنسى غداً. افعل الخير على أيّة حال.
5. الصدق والصراحة يجعلانك عرضة للانتقاد. كن صادقاً وصريحاً على أيّة حال.
6. إن أعظم الرجال والنساء الذي يحملون أعظم الأفكار يمكن أن يوقفهم أصغر الرجال والنساء الذي يملكون أصغر العقول. احمل أفكاراً عظيمة على أيّة حال.
7. الناس يحبون المستضعفين لكنهم يتبعون المستكبرين. جاهد من أجل المستضعفين على أيّة حال.
8. ما تنفق سنوات في بنائه قد ينهار بين عشية وضحاها. ابنِ على أيّة حال.
9. الناس في أمسّ الحاجة إلى المساعدة لكنهم قد يهاجمونك إذا ساعدتهم. ساعدهم على أيّة حال.
10. إذا أعطيت العالم أفضل ما لديك سيرد عليك البعض بالإساءة. أعط العالم أفضل ما لديك على أيّة حال.

إهداء لمن يستخدمون عقولهم

تشجيع الفكر من خلال الحوار والنقاش وتعزيزهما باستمرار، يطلق مادتي (الاندروفين والدوبامين) في الدماغ، وهما ينشطان الفكر التحليلي النقدي، ويساعدان على تكوين الشبكات العصبية في الدماغ، من خلال نمو الشجيرات التي تربط الخلايا العصبية، وكلما زادت التحديات الذهنية ومعها النشاط المعرفي نمت هذه الشجيرات، وتوفرت للدماغ شبكات عصبية جديدة تزيد من كفاءته.

أما التزمُّت والتعصب والحجر على الفكر من خلال التحريم والتجريم الذي ما أنزل الله به من سلطان، وكذلك التلقين وفرض الجواب الصحيح الواحد، كل ذلك يؤدي إلى تصلّب الدماغ وتردي كفاءته.

أيها الأعزاء الأفاضل: استخدموا عقولكم في الحوار الراقي والنقاش المثمر والنقد البنّاء، لتزداد كفاءة أدمغتكم وتتخلصوا من كارثة التعصب والتَّحجُّر وتصلب الدماغ إلى الأبد.

الحقد المدمر...

حاول قدر استطاعتك ألا تحقد على أحد، فالحقد ينال منك أكثر مما ينال من خصومك، ويُبعد عنك أصدقاءك، كما يؤلّب عليك أعداءك، ويكشف من عيوبك ما كان مستوراً، وينقلك من زمرة العقلاء، إلى حثالة السفهاء، ويجعلك تعيش بقلب أسود، ووجه أصفر، وكبدٍ حرّى.

عندما يكون هناك عقل...

يمكننا أن ندع فسوق الحضارة الغربية، ونأخذ بأسباب قوتها، فإن أمم الغرب ما استطاعت أن تستعمرنا وتمتص خيراتنا وتتفوق علينا وعلى كل العالم إلا بالمنهجية العلمية الصحيحة، والعلوم التخصصية العميقة، وفهمها الجيد للحضارات السابقة القديمة وأخذها بأحسن ما فيها. بل هم أبرع منا في فهم حضارتنا الإسلامية وتوظيف حسناتها لهم.

ولكني أعرف من يستجيب

كان أحدهم يدعو ويقول: اللهم ارزق آل فلان حتى يتصدقوا عليَّ. وآخر يسأل شخصا: أتعرف أحدا مستجاب الدعوة؟ قال لا ولكني أعرف من يستجيب الدعوة.

نعم اطلب منه مباشرة من غير أي واسطة واشكُ إليه نفسك فهو الخبير الحكيم اللطيف الغني العزيز

معاناة الوردة ... معاناة الحضارة

انظر إلى الفارق البعيد بين شجرة الورد وهي تعتمل وترهص وتعاني لتلد وتثمر، وبين من يجيء عابراً على الطريق، فيقطف الوردة جاهزة، ويشمها، ثم يضعها في عروة سترته. تلك هي حالنا مع ثمرات الحضارة في عصر التحول هذا.

فالعالم المتحضر بحق، يعاني من الداخل مخاضاً ليلد الثمرة، ونجيئ نحن (دول العالم الثالث) على طريق الحياة عابرين، فنقطف الثمرة من خارج، دون أن تهتز في أبداننا خلية :نقطف الثمرة نظماً للتعليم، ونظماً للحكم، ومذاهب وفلسفات، وأفكاراً وسيارات وطائرات، وفناً وأدباً وعلماً، نقطف الثمرة ثم نتبجح. وقد قال أحد المفكرين منبهاً ومحذراً: لو قيل لكل مصنوع أو منتج عُدْ إلى بلدك لخشيت أن نمشي عراة.

أما لهذه السذاجة من آخر...

رفع أحد الأفاضل صورة، وكتب تعليقاً عليها أنها صورة أحد الجنود الروس يقاتل في سوريا ويرفع الصليب دلالة على أنها حرب صليبية. وهذا فحوى كلامه.

والعجيب أننا كمسلمين وكعرب لم نرشد بعد ولازال العدو شرقياً أو غربياً يتلاعب بنفسياتنا متى ما أحب، وأصبحنا دون وعي منا جزءاً من مشروعه في سفك دماء بعضنا بعضا، بل وصل الحال بنا إلى الفرح بقتلنا من قبل أمريكا أو روسيا لأن البعض هواه مع هذه وذاك هواه مع تلك .

يا ناس يا عالم... لم تدخل روسيا في سوريا اليوم بداعي الصليبية كما لم تدخل من قبلها أمريكا العراق بدافع الصليبية، لقد جاءوا لمصالحهم الدنيوية البحتة اقتصادية وسياسية ومناطق نفوذ، ومستعدون أن يقاتلوا على احتكار برميل النفط أكثر مما يقاتلون على صلب المسيح، فمتى نعقل ونفهم ذلك؟

لم يعد الدين عندهم بنفس المكانة عندنا وخاصةً النخب السياسية، وإلا لرأينا أوباما (شيخ المسيحية) وبوتين (مفتي الديار المسيحية الروسية).

هم يُظهرون لنا ما يستفزنا ويخرجنا عن توازننا ويدفعنا وراء عواطفنا فندخل معركة لا ناقة لنا فيها ولا جمل، وإن كان لنا فيها ناقة أو جمل فلسنا في مستوى هذه المعركة من الإعداد والإدراك فنخسرها، وكم خسرنا معارك من هذا النوع .

أخيراً لابد أن ندرك أنهم درسوا نفسياتنا جيداً ولديهم القدرة على تحريكنا عاطفياً بكاريكاتير هنا أو تهجم على إحدى مقدساتنا هناك، أو يخدِّرونا بنفس الطريقة بأن الإسلام يغزو العالم من خلال خمس مصليات للعيد في أمريكا أو أوروبا، فنرتاح لذلك وننام.

متى يصبح دخول المعارك أو الخروج منها بأيدينا لا بأيدي عمرو، ومتى يصبح قرار السلم أو الحرب قرارنا نحن كعرب وكمسلمين 100%، أتمنى أن يكون قريباً حتى لا تطول سنين التيه. والله من وراء القصد.

الشيطان في التفاصيل...

خذ ما شئت من معاني الدين والسياسة والاجتماع في إجمالها تجد أن الناس متفقين عليها، فإذا ذكرت التفصيلات تفرقوا وتنازعوا، فإذا كان المجال مجال الدين كفَّرَ بعضهم بعضاً، أو كان مجال السياسة قاتل بعضهم بعضاً، أو كان مجال أوضاع اجتماعية اتهم بعضهم بعضاً بالرجعية من فريق وبانحلال من الفريق الآخر.

صلاح الدين والناس الذين معه...

ظل إمام مسجد كبير يدعو الله في صلاة الجمعة قائلاً: "اللهم أرسل لنا صلاح الدين لتحرير القدس"، فاستجاب الله له، وخرج الناس من المسجد فوجدوا صلاح الدين ينتظرهم بباب المسجد على حصانه، يدعوهم لتحرير القدس، لكن المصلين اعتذروا تباعاً من عدم اللحاق به، لأن أحدهم عنده موعد مع طبيب الأسنان، وآخر مرتبط بحفل زفاف أحد أصدقائه، وآخر عليه أن يأخذ أولاده إلى الدروس الخصوصية، وآخر... الخ، فلم يجد صلاح الدين من حوله أحداً، فعاد إلى الاختفاء ثانية، وفي الجمعة التالية، دعا إمام المسجد بعد الصلاة من جديد ولكن مع زيادة في الدعاء عما كان يدعو من قبل، قائلاً: "اللهم أرسل لنا صلاح الدين لتحرير القدس، هو والناس الذين معه."

تعبر هذه الطرفة عن واقع المسلمين مع زهرة المدائن (القدس)، وأن المقدسيين هناك هم من يمثل دور صلاح الدين في الواقع لا من خلال الأمنيات. لكم الله أيها المقدسيون

نصرتم الله حسب قدرتكم، وأقمتم الحجة على جميع المسلمين شعوباً وحكاماً بجيوشهم وأسلحتهم.

الفصام النكد...

أعرف كثيراً من الناس يجيدون الحديث عن الظلم والكذب والنفاق الذي يمارسه حكام المسلمين، في حين أن كلاً منهم يمارس الظلم في بيته على أسرته وأقاربه، وفي عمله على موظفيه، ويمارس الكذب والغش على زبائنه، ويمارس النفاق للحكام الذين يلصق بهم كل مصائب الأمّة.

إن الكلام عن الحكام وإلقاء التبعة عليهم سهل لا يكلف شيئاً، وربما أكسب مالاً وجاهاً، أما أن يلتفت الإنسان إلى نفسه فإنه يقف أمام الصوبة والتحدي الحقيقي.

والله يعلم وأنتم لا تعلمون

تقدم رجل عاطل عن العمل لشغل وظيفة منظف حمامات في شركة مايكروسوفت، وأخذ موعداً لمقابلة مدير الشركة وأثناء المقابلة قال المدير للعاطل عن العمل: إنك قُبلت في الوظيفة ولكن نحتاج بريدك الالكتروني لنرسل لك عقد العمل والشروط، فردّ الرجل العاطل عن العمل أنه لا يملك بريداً الكترونياً وليس لديه جهاز كمبيوتر في البيت، فأجابه المدير ليس لديك جهاز كومبيوتر يعني أنك غير موجود، وإن كنت غير موجود يعني أنك لا تستطيع العمل عندنا.

خرج الرجل العاطل عن العمل مستاءً، وفي طريق عودته اشترى بكل ما يملك وهو 10 دولارات كيلو من الفراولة، وبدأ بطرق الأبواب ليبيعها، في نهاية المطاف ربح الرجل 20 دولاراً، بعد هذا أدرك الرجل أن العملية ليست بالصعبة، فبدأ في اليوم التالي بتكرار العملية 3 مرات وبعد فتره بدأ الرجل بالخروج في الصباح الباكر ليشتري أربعة أضعاف كمية الفراولة، وبدأ دخله يزداد إلى أن استطاع الرجل شراء دراجة هوائية وبعد فترة من الزمن والعمل الجاد استطاع الرجل شراء شاحنة، إلى أن أصبح الرجل يملك شركة صغيرة لبيع الفراولة.

بعد خمس سنوات أصبح الرجل يملك أكبر مخزن للمواد الغذائية في مدينته، وبدأ الرجل يفكر بالمستقبل إلى أن قرر أن يؤمِّن على شركته عند أكبر شركات التأمين وفي مقابلة مع مدير شركة التأمين قال له المدير: أنا موافق على التأمين لشركتك. ولكن احتاج بريدك الالكتروني لأرسل لك عقد التأمين، فأجابه الرجل بأنه لا يملك بريداً الكترونياً، وحتى أنه لا يملك جهاز كمبيوتر !...

رد موظف التأمين مستغرباً لقد أسست أكبر شركة للمواد الغذائية في خمس سنوات ولا تملك بريداً الكترونياً! ماذا كان يحدث لو أنك كنت تملك بريداً الكترونياً؟! رد الرجل عليه بهدوء!: ((لو كنت أملك بريداً الكترونياً قبل خمس سنوات لكنت الآن أنظف حمامات شركة مايكروسوفت))!! .

الشاهد من القصة :أنه في بعض الأحيان قد يمنع الله عنك أمراً تعتقد أنه صالحك ولكنه سبحانه وتعالى يخبئ لك الأفضل دائماً ... واحياناً يمنع عنك ميزة أو شئ تحسبه خيراً لك وقد يكون هذا الشيء فيما بعد سبباً في تعاستك. مهما دبرنا لأنفسنا فإن تدبيرنا لن يكون أجمل وأكرم وأرحم من تدبير الله لنا.

ملاحظة: لا يفهم من القصة عدم الأخذ بالوسائل الحديثة، بل الأصل أن نأخذ بها ونحن نسعى وراء أهدافنا.

طريقة نقد الآخرين بصورة بنّاءة...

علينا حين ننقد الآخرين ألا نستفزهم ونثيرهم، إذا ما أردنا منهم أن ينصتوا إلينا، ويتقبلوا وجهة نظرنا.

أنت قلت أو فعلت كذا، وذلك أشعرني بكذا، وأتمنى لو فعلت كذا. أي أنك تعترض على قول الآخر أو فعله وليس على شخصه، وتبين شعورك تجاه هذا الفعل، ثم تطرح البديل.

الفرق بين الخلاف البنّاء.... والخلاف الهدّام

الخلاف البنّاء: يتناول الأفكار أو الأقوال أو الأفعال ويحترم الأشخاص.

الخلاف الهدّام: يتجه إلى تجريح الأشخاص والتهجم عليهم.
الخلاف البنّاء: تُحرك أطرافه الرغبة في الوصول إلى الحقيقة وإرشاد الآخرين إليها.
الخلاف الهدّام: تُحرك أطرافه الرغبة في الانتصار على الآخر وافحامه.
الخلاف البنّاء :يهتم أطرافه بمشاعر بعضهم ويحرصون على عدم إيذائها.
الخلاف الهدّام :لا يُلقي أطرافه بالاً للمشاعر، وقد يتعمدون الجرح والإساءة.
الخلاف البنّاء لا ينتهي بخصومة وبغضاء، حتى لو لم يتوصل أفراده إلى الاتفاق.

الجنة..... والنار

سأل جندي من الجنود اليابانيين (الساموراي) أستاذه ومدربه عن الجنة والنار فأجابه: أنت إنسان تافه لا تستحق أن أتحدث إليك، فغضب الجندي لذلك غضباً شديداً، واستل سيفه وهمَّ بقتل أستاذه ومدربه، فقال له أستاذه ومدربه: "هذه هي النار". فعلم الجندي أن أستاذه ومدربه يريد أن يلقنه درساً فهدأ غضبه، وأعاد السيف إلى غمده، فقال له أستاذه ومدربه: "وهذه هي الجنة".

قد يكون المقصد في هذه القصة جنة الدنيا ونارها، ولكني اعتقد أن جنة الآخرة ونارها تتوقف على هذه الأعمال وأمثالها فعلاً وتركاً.

الشدائد تختبر معدنك...

ما يحدد سمو أخلاقك :هو تعاملك مع من (لا تحب) وليس مع من (تحب) .تعاملك مع من (تخالف) وليس مع من (توافق) . تعاملك في ظروفك (الصعبة) وليس في ظروفك (الرائعة) .

الكل لطيف في الأوقات الرائعة، لكن حين تتغير الظروف، وحين تختلف الأفكار والآراء؛ يتكشّف الخُلُق السامي المترفع !!كن على يقين أن ضغوط الحياة تخرج حقيقة معدنك!!

صاحب العقلية السطحية

كان المطر يتسرب من السطح فقال الضيف لمضيفه: لماذا لا تصلح السقف حتى تمنع تسرب الماء؟ فرد عليه المضيف: كيف أصلحه والمطر ينهمر؟

فقال الضيف: ولماذا لا تصلحه بعد توقف المطر. فقال المضيف: لأن التسرب يتوقف حالما يتوقف المطر!

قصة الناس مع البحر

ضاع حذاء طفل في البحر. فكتب الطفل على الساحل هذا البحر (لص.!!..) .

وليس ببعيد منه كان هناك صياد وقد اصطاد الكثير من السمك.. فكتب على الساحل إن هذا البحر (سخي!! .) .

وغرق شاب في البحر... فكتبت أمه الثكلى على الساحل ... إن هذا البحر (قاتل!!..).

ثم جاء الموج العالي فغسل كل ما كتب على الساحل..

أنت يا صديقي: لا تهتم لكلام الآخرين ما دمت في الطريق الصحيح فكل شخص يرى الدنيا من وجهة نظره. أُمْحُ الخطأ لتستمر الأخوة. . . ولا تمح الأخوة من أجل الخطأ... وعندما تتعرض لأي إساءة فلا تفكر في أقوى رد، بل فكّر في أحسن رد ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴾ فصلت: ٣٤ .

الإعاقة العقلية

صورة لطفل قطعت ساقيه، فرسم بقية ساقيه بالطباشير، فقلت معلقا على ذلك:

لستَ المعاق وأنت تكمل ما نقص

بالرسم للساقين قلي كيف وافاك القبس

كم من معاقٍ كامل الأعضاء لا عضو نقص

لكن علته الكبيرة في إرادته وعقل مُنتكِس

التدين الحقيقي والتدين الصناعي

يقول الأديب والمؤرخ المصري أحمد أمين (متوفى 1954): هل تعرف الفرق بين الحرير الطبيعي والحرير الصناعي، وبين الأسد وصورة الأسد، وبين النائحة الثكلي والنائحة المستأجرة ... إن عرفت ذلك عرفت الفرق بين التدين الحقيقي والتدين الصناعي.

إن هناك فرقا واضحاً بين من يحمل الدين برأسه (عقله) أو بقلبه ومن يحمله برأسه وقلبه معاً، وهناك فرق بين من يكثر الكلام في الدين ومن يكثر العمل به، وهناك فرق بين المتدين الفاضي الذي يجوب الأسواق ويقلب صفحات النت، ويدمن على شبكات التواصل الاجتماعي، والمتدين صاحب المشروع الذي يعمل من أجله .شتان بين الرجلين، رزقنا الله وإياكم تديناً يبني ولا يهدم يجمع بين العقل والقلب وينفعنا في الدنيا والآخرة.

نظرة ..... ونظرة

نظرة تشاؤمية تبريرية غير مسؤولة تقول مناهجنا سيئة، مناهجنا صعبة، ومشكلة التعليم عندنا في مناهجنا ومعلمينا الذين لا يفهمون شيئاً، والتعليم فاشل في بلادنا.

ونظرة تفاؤلية عملية مسؤولة تقول: إن مناهجنا جيدة ولكن تحتاج منا إلى جهود إضافية حتى نصل بها إلى درجة عالية من التمام والكمال، ومعلمينا جيدين ونحن من يجب أن نساعدهم بمزيد من الانتباه والتساؤل والتفكير، حتى نستخرج أفضل ما عندهم من العلم. وقِسْ على ذلك بقية جوانب الحياة.

الأزمة المالية "العقلانية (عقلان الراشدي)"

احتار الناس في فهم حقيقة ما جرى في الأزمة المالية العالمية الأخيرة، فتم الطلب من خبير مالي محنك أن يبسّط للناس العاديين أسباب الكارثة التي حدثت في أسواق البورصة فحكى لهم قصة قديمة لتاجر يهودي تقول:

ذهب التاجر اليهودي إلى قرية نائية، عارضاً على سكانها شراء كل حمار لديهم بعشرة دولارات، فباع قسم كبير منهم حميرهم، بعدها رفع اليهودي السعر إلى 15 دولاراً للحمار،

فباع آخرون حميرهم، فرفع اليهودي سعر الحمار إلى 30 دولاراً فباع باقي سكان القرية حميرهم حتى لم يبق في القرية حمار واحد.. !!

عندها قال اليهودي لهم: أنا مستعد لشراء الحمار الواحد بخمسين دولاراً، ثم ذهب إلى استراحته ليقضي إجازة نهاية الأسبوع. حينها زاد الطلب على الحمير وبحث الناس عن الحمير في قريتهم والقرى المجاورة فلم يجدوا!!

في هذا التوقيت ... أرسل اليهودي مساعده إلى القرية، وعرض على أهلها أن يبيعهم حميرهم التي اشتراها منهم بأربعين دولاراً للحمار الواحد. فقرروا جميعاً الشراء حتى يعيدوا بيع تلك الحمير لليهودي الذي عرض الشراء منهم بخمسين دولاراً للحمار، لدرجة أنهم دفعوا كل مدخراتهم، بل واستدانوا جميعا من البنك حتى أن البنك قد أخرج كل السيولة الاحتياطية لديه. كل هذا فعلوه على أمل أن يحققوا مكسباً سريعاً!!

ولكن للأسف بعد أن اشتروا حميرهم بسعر 40 دولاراً لم يروا التاجر اليهودي الذي عرض الشراء بخمسين دولاراً ولا مساعده الذي باع لهم.

وفي الأسبوع التالي أصبح أهل القرية عاجزين عن سداد ديونهم المستحقة للبنك الذي أفلس، وأصبح لديهم حميراً لا تساوي حتى خُمس قيمة الديون، فلو حجز عليها البنك مقابل ديونهم فإنها لا قيمة لها عند البنك، وإن تركها لهم أفلس تماما ولن يسدده أحد. بمعنى آخر أصبح على القرية ديون وفيها حمير كثيرة لا قيمة لها.

ضاعت القرية، وأفلس البنك، وانقلب الحال رغم وجود الحمير، وأصبح مال القرية والبنك بكامله في جيب التاجر اليهودي وأصبحوا لا يجدون قوت يومهم!!

صديقي العزيز :احذف كلمة (حمار) وضع مكانها أي سلعة أخرى :أرض -شقة -سيارة -أسهم ... إلخ، ستجد بكل بساطة أن هذه هي حياتنا الحقيقة التي نحياها اليوم.

حياة الأفكار...

الفكرة كالبذرة لا تثمر إلا في موسمها فإذا تقدمت أو تأخرت عن موسمها فسدت أو ضعفت، فأحسنوا اختيار مواسم أفكاركم.

والفكرة كالبذرة لا تثمر إلا في التربة والجو المناسب لها فإذا بذرت في غير تربتها أو في غير جوها المناسب فسدت أو ضعفت، فأحسنوا اختيار تربة أفكاركم وأجوائها المناسبة.
والفكرة كالبذرة تحتاج إلى سقى ورعاية فإذا لم تسق ولم ترع ماتت أو ضعفت، فأحسنوا سقى أفكاركم بتطبيقها ورعايتها بتطويرها.

الدين المعاملة...

في كندا تم احضار رجل عجوز قام بسرقة رغيف خبز ليمثل أمام المحكمة، واعترف هذا العجوز بفعلته ولم يحاول أن ينكرها لكنه برر ذلك بقوله :كنت أتضور جوعاً، كدت أن أموت من الجوع . قال له القاضي:"أنت تعرف أنك سارق وسوف أحكم عليك بدفع 10 دولارات وأعرف أنك لا تملكها لأنك سرقت رغيف خبز، لذلك سأدفعها عنك."

صمت جميع الحضور في تلك اللحظة، وشاهدوا القاضي يخرج 10 دولارات من جيبه ويطلب أن تودع في الخزينة كبدل حكم علىهذا العجوز. ثم وقف فنظر إلى الحاضرين وقال :"محكوم عليكم جميعاًبدفع 10 دولارات، لأنكم تعيشون في بلدة يضطر فيها الفقير إلى سرقة رغيف خبز."

في تلك الجلسة تم جمع 480 دولاراًومنحها القاضي للرجل العجوز. قاضي ينقصه الإسلام فقط، بينما ينقص الكثير من المسلمين كل شئ عدا الإسلام (إن صح التعبير.
تذكرت قول الشيخ الشعراوي رحمه الله: "إذا رأيت فقيراً في بلاد المسلمين فاعلم أن هناك غنياًسرق ماله!!"

قاعدة: شاحنة النفايات

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: ذات يوم كنت متوجهاً للمطار مع صاحب التاكسي "الأجرة". وبينما كنا نسير في الطريق وكان سائق التاكسي ملتزما بمساره الصحيح. انطلقت سيارة من موقف سيارات بجانب الطريق بشكل مفاجئ أمامنا. وبسرعة ضغط سائق الأجرة بقوة على الفرامل، وكاد أن يصطدم بتلك السيارة.

الغريب في الموقف أن سائق السيارة الأخرى "الأحمق" أدار رأسه نحونا وانطلق بالصراخ والشتائم تجاهنا، فما كان من سائق التاكسي إلا أن كظم غيظه ولوَّح له بالاعتذار والابتسامة !! استغربتُ من فعله وسألته: لماذا تعتذر منه وهو المخطئ؟ هذا الرجل كاد أن يتسبب لنا في حادث صِدام؟ هنا لقَّنني سائق التاكسي درساً، أصبحت أسميه فيما بعد: قاعدة "شاحنة النفايات"

قال: كثير من الناس مثل شاحنة النفايات، تدور في الأنحاء مُحَمَّلة بأكوام النفايات "المشاكل بأنواعها، الإحباط، الغضب، الفشل، وخيبة الأمل" وعندما تتراكم هذه النفايات داخلهم، يحتاجون إلى إفراغها في أي مكان قريب ... فلا تجعل من نفسك مكبّاً للنفايات !!!

لا تأخذ الأمر بشكل شخصي، فقط ابتسم وتجاوز الموقف ثم انطلق في طريقك، وادع الله أن يهديهم ويفرّج كَربَهم. وليكن في ذلك عبرة لك، واحذر أن تكون مثل هذه الفئة من الناس تجمع النفايات وتلقيها على أشخاص آخرين في العمل، البيت، أو في الطريق.

في النهاية، الأشخاص الناجحون لا يسمحون أبداً لشاحنات النفايات أن تستهلك يومهم وأعمالهم وتفكيرهم!! . لذلك اشكر من يعاملونك بلطف ... فهم الزهرات الجميلة في الحياة.

وادع لمن يسيئون إليك ... فهم بحاجة للرحمة والشفقة. .. وافعل هذا وذاك لوجه الله سبحانه ونيل الأجر.

وتذكر دائماً أن حياتك محكومة بما تفعله، وبكيفية تقبلك وتفسيرك لما يجري حولك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣

فليقل خيراً..... أو ليصمت

ليس كل صامت غير قادر على الرد، هناك من يصمت حتى لا يجرح غيره وهناك من يصمت لأنه يتألم وكلامه سيزيده والآخرين ألما، وهناك من يعلم أن الكلام لن يفيد إذا

تحدث، وهناك من يصمت وقت غضبه حتى لا يخسر أحدا، ويبقى الصمت الأعظم هو صمتك كي ترتقي بنفسك وبأسلوبك.

القوة الناعمة...

لا يوجد سبب جذري يمنع الناس من التسامح مثل خوفهم أن يفسر تسامحهم بأنه ضعف. وأهم وسيلة لإشاعة استخدام التسامح بين الناس هو إقناعهم بأن التسامح قوة... وليس ضعفا.

بعض الاعتقادات تدوم، ولكن ذلك لا يعني أنها صحيحة.

وبعض القواعد تتجذر، ولكن ذلك لا يعني أنها عادلة.

وبعض التقاليد تتأصل، ولكن ذلك لا يعني أنها ضرورية.

ثمة اعتقادات وقواعد وتقاليد تستمد ديمومتها من قدرتها على الاستمرار وليس من صحتها أو عدالتها أو من ضروريتها.

ابذر... وسيأتي اليوم الذي يظهر فيه زرعك

إن فقدت مكان بذورك التي بذرتها يوما ما... سيخبرك المطر أين زرعتها ...لذا ابذر الخير فوق أي أرض وتحت أي سماء ومع أي أحد... فأنت لا تعلم أين تجده ومتى تجده؟! ازرع جميلا ولو في غير موضعه ... فلا يضيع جميلا أينما زرعا ... فما أجمل العطاء... فقد تجد جزاءه في الدنيا أو يكون لك ذخرا في الآخرة... لا تسرق فرحة أحد ولا تقهر قلب أحد ... أعمارنا قصيرة ... فالبصمة الجميلة تبقى وإن غاب صاحبها.

أيها اليمنيون ... تعالوا إلى كلمة سواء.

لكي تحل أي مشكلة وقعت فيها فعليك أن تفكر بغير العقلية التي صنعت بها المشكلة وإلا زدت المشكلة تعقيدا.

والمتأمل فيما ينشره الناس في مواقع التواصل الاجتماعي وكذا حواراتهم البينية توضح بجلاء أننا ما زلنا بعقلية صنع المشكلة لا حلها، فالاتهامات المتبادلة بالعمالة

والخيانة والكفر بين من نقرأ لهم أو نسمعهم هي سيدة الموقف، بل وصل الحال الى الاتهام في الاعراض...

اليمنيون حتى الآن وفي مثل حالهم الداخلية هذه في المعركة الخطأ، وإن سمعنا وقرأنا من يردد أننا جميعا أبناء بلد واحد ودين واحد و....الخ، وأخشى أن ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الحشر: ١٤

الجميع بلا استثناء مطالبون بأربعة أمور للخروج مما نحن فيه (شروط التوبة) :

1. الاعتراف بكل شجاعة وتضحية وانكار للذات بأن سياستنا العقيمة وأنانيتنا المفرطة هي من أوصلنا إلى ما نحن فيه، وعلى الجميع دون استثناء الاعتذار للوطن ممثلا بهذا الشعب الطيب، اعتذار صادق نسمعه من الجميع بكل شجاعة وتجرد.

2. الندم والحرقة على كل ما اقترف بحق هذا الوطن، والعزم على عدم الرجوع الى المربع وقع فيه الجميع بسياستهم العقيمة، ووضع الأسس التي تمنع تكراره في المستقبل، حتى لا تتكرر دورات العنف مستقبلا، بمعنى آخر القطيعة الصارمة مع هذا الماضي المظلم التعيس.

3. الشروع الفوري في تغيير المسار والاتجاه الذي أوصلنا لهذا الحال، والبدء ببناء ثقافة السلم التي نأمل الوصول إليها، وعمل (خفض وإضافة) للحال التي نحن فيها، خفض واسقاط لكل السوءات التي كانت تفضحنا، وإضافة لكل ما من شأنه أن يعزنا ويعيد تماسكنا وكرامتنا.

4. المسارعة إلى رد المظالم التي اقترفناها ضد بعضنا البعض، وأن نتسامح فيما لا نستطيع أن نرده، وأن نتعالى على الجراح، وننتقل لبناء مستقبلنا جميعا.

أعتقد أن باستطاعتنا فعل ذلك إذا صدقت النيات وتجردنا من الموانع التافهة والصغيرة، حتى نورث لأبنائنا ما يتفاخرون به في المستقبل، وإلا فسنورث لهم أحقادا وثارات لن يسامحنا التاريخ في اقترافها ولن يسامحنا ابناؤنا أيضا، وسيشعرون بالخزي والعار عندما

يتذكرون تاريخهم الذي صنعناه لهم نحن. لنعش معا حكماء ونورث لأبنائنا وطنا يتفاخرون بنا وبه، أو فلنمت جميعا أغبياء وحمقى ولا وطن ولا مستقبل لنا ولا لأبنائنا:

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

غافر: ٤٤

إنه لا يجنى من الشوك العنب...

نريد نشر ثقافة السلم ... وكلامنا ومنشوراتنا قصف بالأسلحة الثقيلة.

نريد أن نتقارب من بعضنا ... وكلامنا ومنشوراتنا تجعل ما بيننا وبين بعضنا بعد المشرقين.

نرغب في حب بعضنا بعض ... وكلامنا ومنشوراتنا تسمم البحار.

نريد أن تتوحد كلمتنا ... وكلامنا ومنشوراتنا تمزق الأجساد والأوطان.

نرغب في أن يحترمنا ويقدرنا الآخرون .... ونحن لا نعطي لبعضنا البعض أي اعتبار.

نرغب في حل مشاكلنا ... ولكننا نفكر بعقلية صنع المشكلة لا حلها.

إلى متى نبحث عن السراب ونظنه ماء.

لعدم رغبتنا الخروج من النفق المظلم ...معنا لكل أقرع كوفيه

أصبح حديث الناس عندما يلتقون هو الجدال حول من على صواب ومن على خطأ، وعندما تقول لشخص أو يقول لك رأي تجد ويجد أن الرد عند كلا الطرفين جاهز، وكثيرا ما تسمع كلمة (ولكن) بعد كل رأي، وكأن هناك مطبخ لصناعة الرأي ونقضه، فيقال للشخص إذا قيل لك كذا وكذا فقل كذا وكذا (رد جاهز ومعلب ولا تتعب نفسك)، وأصبح الحال للجميع كما قيل (غني لك جنب أصنج) .

متى نتحرر من التبعية في تداول الآراء، حتى يصبح لكل واحد منا رأيه الذي يقتنع به لا الرأي الذي تم إقناعه به، ويكون قوله باستمرار (عقلي ليس للبيع ولا للأجرة).

ذل من لا سفيه له ... ضاع من لا حكيم له.

كنا نردد كثيرا في السنوات الماضية أن (ذل من لا سفيه له) يوم كان العقلاء كثير والسفهاء قلة، فكثر السفهاء والحمقى وصرنا نصطلي بنارهم وسفههم وحماقاتهم، ألا

فلنغير مسار هذا المثل بما يتوافق مع العقل والمنطق، فالسفاهة أبدا لا يأتي من ورائها العز بل هي طريق الذل والمهانة وإن طال الزمان، وحتى لا نضيع فلنرفع من قيمة العقل والحكمة ولنقدم الحكماء والعقلاء قبل فوات الأوان. اللهم ألهمنا رشدنا وزكنا عقولنا وأجعل مصير اليمن بيد العقلاء والحكماء لا بيد الحمقى والسفهاء.

في زمن العقلاء ... في زمن السفهاء

سمعت من أحد الآباء الساكنين في إحدى مديريات محافظة عمران أنهم في مرة من المرات تداعوا لاجتماع بشأن قضية وأثناء الاجتماع حدث نقاش حاد مما جعل أحد الحاضرين يشهر (جنبيته) ويريد طعن أحد الموجودين الذي ما كان منه إلى الهرب، ولأن المنطقة بها مدرجات زراعية فكان يقفز من واحدة إلى الأخرى، والآخر (الشاهر للجنبية) يتبعه ويصيح به يا جبان انتظر لو عندك شجاعة ما هربت، فرد عليه الرجل الهارب بمقولة عجيبة قائلا له (أنا أهرب لي ولك) فاستغرب الرجل الآخر وما كان منه إلا أن رمى جنبيته محكِّما الرجل الهارب وطالبا منه المسامحة.

في زمن العقلاء أهرب لي ولك، وفي زمن السفهاء أقرب عليَّا وعليك.

التجاوزات الخاطئة ... ادهن ظهري وادهن ظهرك.

المشكلة ليست في تجاوزات فرد ولكن في ذيول ذلك، حيث أن الشرائح التي تُؤمِّن له الغطاء الدعائي تربط مصالحها بمصالحه، وتستمد نفوذها من نفوذه، وهو لا يستطيع أن يمنعها من التجاوز لأنها هي التي تساعده عليه، وتلك الشرائح تشكل من جهتها طبقات تقتات على التجاوز التي يؤمنه لها النفوذ، وهكذا يتم نشر ما لا يحصى من الأخطاء الاجتماعية، ويصبح العدل كلمة حبيسة في بطون المعاجم وترتفع الأسعار ارتفاعا مذهلاً، لوجود أقوام ينفقون مما لم يتعبوا بالحصول عليه، ويدخل المجتمع في دوامة من الأزمات التي لا يجد لها حلاً أو مخرجاً. ونسأل الله العافية.

الأخطاء القاتلة...

إن الأخطاء حين لا تجد من يصححها تتجمع لتتضاغط كما يتضاغط البخار حتى إذا طفح الكيل انداحت في صورة انفجار مروع يذهب بالصالح والطالح، وفي حالة المجتمعات الشيوعية، والدول الفاشلة عبرة لمن يعتبر

التآمر .....للخلف در

القرآن يعلمنا أن أساس المشكلة لا ينبثق من وجود الآخر، فالآخر موجود، ولكن بوجودنا الخاطئ الضعيف المقصر.

إننا لا نستطيع أن نمنع الآخرين من التفكير بمصالحهم والاستجابة لنزواتهم، لكن بإمكاننا أن نسلح أنفسنا بما يجعل كيدهم باطلا أو مؤقت التأثير.

فالأمر مختلف جدا...

في حفل حضره الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله قام أحد الحاضرين بمدح الوزير الذي جاء لفتح أحد المشاريع ويعدد مناقبه قائلا: إن سعادته طيب جدا وعلى خلق متين ويقيم الصلاة في مواقيتها (وما يفوتش فرض) فقام المسيري محتجا قائلا: إن هذه صفات إيجابية إن كان الحديث عن زوج لابنتي، ولكن إن كان الحديث عن وزير فالأمر مختلف جدا.

قصة ... وعبرة.

كان بين شخص وآخر خصومة شديدة وكانت أم أحد الشخصين تدعو باستمرار بأن يزيل الله المؤذي، وعندما تكرر منها الدعاء قال لها ابنها: يا أمي إذا أردت الدعاء فليكن على خصمي بأن يزيله الله أما المؤذي فهو أنا ... ألسنا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الصراحة في زمن قل فيه قول الحق ولو على النفس.

الفرق بين المجهر .... والمرآة.

المجهر يُضخِّم التفاصيل الصغيرة ويكشف مواطن القبح، والمرآة (المستوية) تعكس ما تراه أمامها بحيادية. فأيهما نختار أن نكون ؟!

صناعة الأعداء ... كيف تصنع عدوا في خمسة أيام بدون معلم؟

1. شهِّر به على الملأ بأنه على الباطل المطلق وأنك على الحق المطلق.
2. أكثر من الحديث عنه بأنه عميل محض وأنك الوطني المخلص.
3. أخبر كل من لقيت أنه من أهل النار وأنك من أهل الجنة.
4. حذر الآخرين منه ومن أقواله وحبب الآخرين فيك وفي أقوالك.
5. لا تنس أن تقول عنه بأنه وحش كاسر وأنك حمل وديع.

أعظم خسارة في أي خصومة هي أن تتواصل وتدوم حتى يهلك الخصمين أو أحدهما . وأعظم نصر يمكن أن تحققه مع خصمك هو أن تحوله إلى صديق.

المشائخ ..... سم اليمن القاتل.

في مثل هذا اليوم قبل 49 عاماً وبالتحديد في 31 / 3 / 1965م اغتالت يد الغدر والخيانة أبو الأحرار / محمد محمود الزبيري رحمه الله وهو يحاول ترشيد الجمهورية، وبعدها بثلاثة عشر عاماً اغتالت تلك الأيادي الرئيس الراحل / إبراهيم الحمدي رحمه الله وهو يحاول تمدين القبيلة بمشائخها، وقبل ذلك وبعده كانت تلك الأيادي الآثمة تمارس هوايتها الوحشية في الاغتيال والتصفية الجسدية.

هذه الأيادي يمثلها في اليمن في الغالب (مشائخ القبائل) مع استثناء القليل منهم من الأحرار والشرفاء والصادقين الذين لا يجاوزون 10%، أما البقية وهم كثير (لا كثرهم الله) فيسعون في عرض البلاد وطولها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً لبناء ذواتهم الخاوية ومراكزهم المتهاوية، لا هم لهم إلا مصالحهم ومراكزهم ، يستخدمون الماضي لإرباك الحاضر وابتزاز المستقبل، يحقدون على كل من حاول أن يتقدمهم في أي مجال من مجالات الحياة، ويحاولون بشتى الوسائل إعاقته وإعادته تابعا لهم، فإن استعصى عليهم إعاقته أو إعادته دفع حياته ثمنا لهذا الاستعصاء، والتاريخ يشهد بذلك.

هؤلاء المشائخ يحبون أن يتقدموا في كل شيء إلا أن يكون ذلك الشيء بذلاً وتضحية وفداء، عند ذلك يقدمون غيرهم، وينتظرون ما تسفر عنه المواجهة ليتوزعوا الغنائم فيما بينهم بعد إرهاق الكل.

والمتأمل لنفسية هؤلاء المشائخ يجد أنهم يشبهون البرمائيات فعندهم قدرة عجيبة على العيش في الماء كقدرتهم على العيش في اليابسة، وعندهم مهارة الحرباء في التلون بلون البيئة التي اضطرتهم الظروف للعيش فيها (البس لكل ساعة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها)، يمكن لأحدهم أن يصلي خلف (الحسين بن علي) رضي الله عنهما ويبكي بكاءً مراً، ولكنه لا يجد أدنى غضاضة أن يكون في الغد على مائدة (يزيد) وكل شيء في بابه (فالصلاة خلف الحسين أتم والطعام على مائدة يزيد أدسم)، كما يمكن لأحدهم أن يُسمعك روائع الشعر ودرر الحكم والأقوال والزوامل في حب الوطن والتضحية من أجله، ثم لا يجد حرجا أو مانعا أن يكون عميلاً (بدراهم معدودة) لمن يريد أن يضحي بهذا الوطن وينتهك سيادته.

المشائخ هؤلاء عابرون للأحزاب والمذاهب والجماعات والولاءات، ينتقلون من النقيض إلى النقيض دون أن يرمش لهم جفن، ما يقولونه بالليل يناقضونه بالنهار (كلام الليل يمحوه النهار)، تطربهم أي نغمة ما دام من ورائها فائدة، ويرقصون على أي مزمار ما دام من ورائه مكسب، يزرعون العداوات بين الناس، ثم يدَّعون أنهم يحلونها وهم في الحقيقة يمتصون دم الطرفين ويضعفونهما .

ويحزُّ في النفس أن ترى من يحمل درجة علمية ولا زال يتمسك بمسمى كلمة شيخ ويقدمها على الدرجة العلمية، فلا يقبل منك أن تقول له الأستاذ الشيخ ولا الدكتور الشيخ، بل لا بد أن تقدم كلمة الشيخ فتقول له الشيخ الاستاذ أو الشيخ الدكتور، وهذا من البلاء .

ومن البلايا أيضاً أن هؤلاء المشائخ (الكبار) لا زالوا يفرخون مشائخ (صغار) ويؤهلونهم لاستلام الراية بعد عمر طويل، والعجيب أن ترى المجتمع يسايرهم في ذلك

وينادي ابن العشر سنوات أو أكثر بقليل (يا شيخ...)، يا قوم ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٥٢

المشائخ سم اليمن القاتل ...نعم !!! والبلد الذي يقوده أمثال هؤلاء يسير إلى الخلف، لأن عقلية الشيخ تجعل القبيلة والوطن تابعاً للشيخ وليس العكس، وكثيراً ما يتردد على السنة الناس (قبيلة الشيخ فلان)، وكأن الشيخ أصل والقبيلة والوطن فرع أو تابع، لسان الحال (قبيلة (أو وطن) من أجل الشيخ لا شيخ من أجل القبيلة أو الوطن).

إن اليمن سيراوح مكانه إن لم يتراجع إلى الخلف ما دامت أعراف القبيلة (قانون الثيران نموذجا) التي يمثلها المشائخ هي التي تحكم البلاد بدلاً عن الدستور والقانون، والأجدر بأبناء اليمن في هذه المرحلة تمدين القبيلة بمشائخها لا مشيخة الدولة بدستورها وقانونها .

المشائخ سم قاتل لليمن إن تركوا على ما هم عليه وعندها سيصل سمهم القاتل إلى كل مفاصل الجسد اليمني، إن لم تكن هناك وقفة جادة لمنع انتشار هذا السم في الجسد، وهذا يتم من خلال أمرين اثنين هما :

1. تحصين الجسد ضد هذا السم برفع مستوى الوعي الثقافي والمدني والديمقراطي، وتطبيق مواد الدستور والقانون ومضامينها بصرامة .
2. محاولة إعادة تأهيل مشائخ القبيلة ولو على المدى الطويل حتى يبلغوا أحد الأجلين (التقاعد أو الموت) وتقليص كل ماله علاقة بشؤون القبائل بصورة تدريجية حتى يتم إدماج هؤلاء المشائخ مدنيا لتسلم اليمن من شر سمومهم، والله من وراء القصد .

أعداء الحوار...

يتعين على الإنسان استخدام عقله كمرآة، دون أن يقبل شيئا أو يرفضه إلا وفق دليل وحجة وبرهان واضح، إن هذه المرآة (العقل) يجب أن يستفيد منها الإنسان ليرى

نفسه أولاً في كل مرة يرى فيه الآخر خصماً تجب كراهيته، فهناك من يبحث عن القشة في عين خصمه ولا يرى الجذع في عينه هو .

كما لا بد أن نتأكد أن كل شيء في العالم ما هو إلا تضاد واستقطاب (سنة التدافع). وإن إبراز تماسك المتناقضات ووحدتها هو سر حقيقة الأشياء وهو الشيء المطلوب للحياة، فالمادة والمادة المضادة موجودتان في توازن دائم، لن تستطيع أي منهما البقاء على قيد الحياة بمفردها. حتى بداخل أجسامنا، فهناك نِزال مستمر بين القوى الموجبة والسالبة، فالنور والظلام والخير والشر يعرِّف ويحدد كل منهما الآخر. لا يمكننا الاستغناء عن الآخر ونحن الآخر بالنسبة له.

ولا بد من تنمية بذرة الشك (لا أعني الشك الوجودي في أصول ما نعتقد، ولكن بذرة الشك الصحية)، فالشك هو شيء أساسي للنضج، لكي يغيرنا ويجعلنا أكثر تواضعا ونضجا. فالذي يطمئن تماما لأفعاله على الدوام، لن يستطيع أبدا أن يصحح من أخطائه، أو أن يتعلم من الآخرين ويحسِّن من نفسه.

وغالبا ما نعلن استعدادنا للحوار، ليس لأننا نعتبر بحق أن (الآخر) جدير بالتقدير، ولكن لأننا نعتبر أنفسنا على قدر كبير من الشجاعة والكرم والعدل يسمح لنا بالتعايش مع أي شخص آخر.

ولهذا نجد أن عدو الحوار يرغب في الجهل، فهو لا يشعر بأي احتياج لتعلم أي شيء ممن لا يفكرون على شاكلته. إنه يعرف أن كل ما يعتقده هذا الآخر، وكل ما يقوله أو يفعله خطأ، لذلك فهو لا يريد حتى أن يسمع أي شيء عنه.

وعدو الحوار شخص يُعرض عن سماع الأسباب، انطلاقا من محتوى عاطفي يؤدي به كفرد أو كجماعة إلى التطوع بحمل يقين مطلق يجب على الآخرين مشاركته فيه، وإن لم يفعلوا فجزاؤهم التهميش، أو الطرد أو حتى التصفية الجسدية، والحوار هنا لا يعني على الاطلاق الاستغناء عن اليقين الشخصي الراسخ، بل فقط الاستغناء والكف عن ترسيخه لدى الآخرين بوسائل مغايرة لوسائل الاقناع بالحجة والبرهان والدليل.

إن أعداء الحوار يعتقدون اعتقاداً راسخا أنهم يملكون الحق المطلق، وأن ما لدى خصومهم هو الباطل المطلق، ولذلك فهم يقاتلون بكل بسالة ووحشية من أجل نصرة حقهم المطلق وإزهاق باطل خصمهم المطلق، ويتم ذلك في نهاية المطاف بإزهاق روح هذا الخصم وتصفيته جسديا.

أعداء الحوار في حاجة ماسة للعودة سريعاُ إلى رحاب الإنسانية ليعيشوا فيها من جديد، ويدركوا أن خصومهم الآخرين لهم حق الإنسانية والعيش أيضاً، وهذه مهمة يجب أن يتصدى لها من يريدون ترسيخ مفهوم التعايش، وهي مهمة صعبة تتطلب نزع التوحش واللاإنسانية من أعداء الحوار، وغرس لغة التعايش والتسامح. إنها وظيفة الطبيب الماهر الذي يقتل المرض ليتعافى المريض.

فوائد الصراحة الصادقة...

1. تكسبك أصدقاء كثيرون، لا يعجبهم إلا الصراحة الصادقة، ولا يمكن أن يكونوا أصدقاءك إن لم تكن صريحا صادقا، وهم بالمناسبة كثيرون.
2. تخسر أصدقاء يعجبهم النفاق والتملق، وهم قلة، وفي خسرانهم فائدة كبيرة لك، لأنك تتعب كثيرا معهم لترضي عجزهم ونقصهم.
3. تريح وتستريح، لأن الصراحة لا تحتاج إلى كلام كثير، فخير الكلام ما قل ودل.
4. وأخيرا الصراحة صابون القلوب.

الصراحة راحة...

كنا نتمنى أن يتم بث جلسات لجان مؤتمر الحوار الوطني مباشرة وعلى الهواء حتى نتعرف أكثر على المزايدين والذين يظهرون بوجوه متعددة داخل لجان الحوار وخارجها. ولو تم ذلك لما طال الحوار إلى هذا الحد ولتم معرفة المزايدين والمبتزين بسرعة ولما عانت قضايا كثيرة عرقلة واضحة كالقضية الجنوبية وشكل الدولة وغيرها.

هناك من أعضاء مؤتمر الحوار من يظهرون لنا خارج جلسات المؤتمر بأنهم وطنيون ولكنهم داخل الجلسات مبتزين وأنانيين ومصلحيين ولكان بإمكان الصراحة أن تفضحهم.

مزيدا من الشفافية والصراحة . يرحمكم الله . رحمة بهذا الوطن المغلوب على أمره وإيقافا للمتاجرين بقضايا الوطن عند حدهم العجز عن إظهار الحقيقة أو تعمد اخفاءها خيانة للوطن والمواطن.

نُكب وطننا الحبيب بحوادث وجرائم فضيعة لعل أبرزها حادثة وزارة الدفاع، وحادثة السبعين، وسقوط الطائرات فوق العاصمة، واغتيال القيادات العسكرية والأمنية والمدنية، وحوادث النفط والغاز والكهرباء المتكررة، وغيرها طبعا. وكلما وقع حادث مما سبق يتم تشكيل لجنة للتحقيق وينتظر الشعب نتائج التحقيق ومن هم المتورطين ولكن دون جدوى تسجل كل الحوادث ضد مجهول. فهل هذا عجز عن إظهار الحقيقة، أم تعمد اخفاءها، لينشغل كل طرف باتهام الآخر، ويتوه الناس في التأويلات والتحليلات. ألا ما أجمل أن تظهر الحقيقة ويعرف الجاني ويأخذ جزاءه.

ولتتأكد قيادة الدولة في هذه المرحلة أن عدم إظهار الحقيقة أو تعمد اخفاءها جريمة لن يغفرها الشعب لمن يرتكبها فهي تعد خيانة للوطن والمواطن.

صراع له بداية ..... وليس له نهاية

تاريخ صراعنا مع الشيطان يخبرنا أن العيوب ولادة، وأن شهية الشيطان الإغوائية لن تقف عند حدود عيب أو عيبين، فما لم نصلح خللنا ونرقع الخرق الواقع بالمعصية، فإن الخرق سيتسع، وإذا اتسع فنخشى أن نجد إيماننا غارقا في بحر الغفلات، ليموت القلب من جراح السيئات، لنتنبه مبكرا لنمنع عدونا من مواصلة إفساده وتتابع غاراته.

الوحدة يصنعها ويحافظ عليها الكبار فقط...

الوحدة من الغايات الكبرى، وعندما يتبناها أصحاب الاتجاهات المختلفة، كل في إطار اتجاهه هدفا وغاية، يمكن أن يتلاقى مع سواه على أرضية مشتركة، ووسائل مشتركة، وجهود مشتركة، وآنذاك... يتحول الهدف الكبير الذي نمعن في تمزيق أوصاله بأنفسنا، إلى دواء من الأدوية التي نحتاج إليها جميعا، على مختلف المستويات، ورغم تعدد الانتماءات، فخلاصة كلمة الوحدة هي أنه يوجد انتماء أكبر وأهم، وهو الأجدى ببذل الجهد المتواصل

للانطلاق منه، وتحقيق مختلف الأهداف الأخرى، جنبا إلى جنب مع تحقيقه، أو كنتائج حتمية لتحقيقه.

الوحدة من الغايات الكبرى وتحتاج إلى الكبار برؤاهم وتطلعاتهم وأهدافهم، الكبار بأنفسهم، وأقلامهم، وعطاءاتهم، وإنجازاتهم، وتضحياتهم، فمن لا يستطيع أو لا يريد أن يكون كبيرا، لا ينبغي أن يجعل من نفسه وصَغار ما يفكر وما يحلم وما يصنع، أغلالا تقيد أولاده وأحفاده وسهاما موجهة إلى مستقبلهم.

كلمتي السر في الوحدة الألمانية...

يمكن القول أن الألمان دخلوا بوابة الوحدة بكلمتي سر هما: الديمقراطية وثورة الاقتصاد... ولولا الظروف التي هيأتها هاتين المفردتين السحريتين لما كان بوسع أحد اليوم التحدث عن أي "وحدة ألمانية!"

"إن الوحدة هي أكبر من أن تكون وسيلة لضخ الأموال أو مشروعا إصلاحيا. فالبلد بحاجة إلى نقطة ارتكاز وهدف واحد، حتى يسهل التعامل مع التحديات والصعوبات. وهذا ما قد يتأتى من خلال إذكاء روح التضامن الجماعي الألماني." المستشارة الألمانية ميركل.

مجرد رأي...

المتابع لما يحدث في بلدنا الحبيب من حالات إضراب واعتصام وتهديد بهما في غالبية مؤسسات الدولة مدنية وعسكرية مطالبة بالحقوق يجعل المرء يتوقف ويتساءل:

1. هل كان الناس مظلومون وخائفون إلى هذه الدرجة فلما زال الخوف طالبوا بالحقوق؟
2. أم أن الناس لم يكونوا يعرفون أن لهم حقوقا على دولتهم فلما عرفوا طالبوا.
3. أم هي عملية ابتزاز لحكومة لا تستطيع أن تقول لا فكل واحد يريد أخذ كامل حقوقه التي ضيعها في السنوات الماضية ولم يتذكرها إلا الآن.
4. أم هي عملية إرباك وعرقلة للحكومة حتى تسقط وبسقوطها ودخول البلد في نفق مظلم (لا قدر الله) سيختفي المرتب فما بالك بالزيادة.

5. أم أن الحكومة عندها المقدرة على اعطاء كل ذي حق حقه ولكنها تتعامل مع مواطنيها على قاعدة من طالبنا حق منحناه ومن سكت نسيناه.
6. أم ..... أترك لك أخي القارئ مساحة لتشارك برأيك فما قلته أنا مجرد رأي.

الموظف بين الفرحة بالمرتب ..... والتأسف على ضياع العمر

الموظف في حيرة من أمره فحاجته للمرتب تجعله يتمنى أن يمر الشهر بسرعة حتى يسعد بلقاء مرتبه. ولكنه بالمقابل يرى أيام عمره تمر من أمامه شهرا بشهر، فلا يدري أيفرح بمجيئ المرتب أم يحزن لذهاب العمر. إنها معادلة صعبة الحل ولكن الجميع راضون بهذه المعادلة التي ستحيلهم على المعاش إن طال بهم العمر. أهنئكم بقدوم المرتب آخر الشهر وأعزيكم في شهر كامل تم اقتطاعه من رأس مال عمركم.

فوائد الأعداء والخصوم ..... تشبه فوائد التطعيم من الأمراض

عداتي لهم فضل علي ومنَّة ..... فلا أبعد الرحمن عني الأعاديا
همُ كشفوا عن زلتي فاجتنبتها ..... وهم نافسوني فارتقيت المعاليا

جميل أن يتتبع الناس أخطاءك حتى تصححها أولا بأول وهذا ما يقدمه المنتقدون لمن ينتقدونهم، أما أن يتركوك تخطئ دون أن ينبهوك فإن هذا يعني أن يتركوك تتمادى حتى تسقط في شر أعمالك. شكرا لكل من ينتقد مع رجاء أن يكون ما ينتقدني به صحيحا حتى لا يضيعوا وقتي في تصحيح أمر أكتشف في النهاية أنه صحيح.

الذنوب المفيدة...

من رحمة الله بي أنه عندما يراني قد أُعجبت بطاعة أو احتقرت عاصيا لوقوعه في الذنب، أن يبتليني باقتراف ذنب (ما) أعرف من خلاله ضعفي وستر الله علي فأرجع إلى ربي نادما خاضعا متواضعا. وأكون مع كل مذنب رفيقا رحيما لأنني ذقت مرارة الذنب وعرفت أن المعصوم من عصمه الله. فأحاول أن أدله على طريق الله بكل شفقة وتواضع ولسان الحال يقول مذنب يأخذ بيد مذنب آخر ليدخل الاثنان على رحمة الله الواسعة. عندها

أعرف أن هذا الذنب كان نعمة من الله عليَّ يستحق ربي بها أن أحمده ليلا ونهارا. اللهم أقبل المذنبين وردهم اليك ردا جميلا.

أنا أرفض ..... أنا موجود

نعم، إنني أرفض الواقع العربي والإسلامي الحالي وما يتولد منه ويتفرع عنه من المآسي والمخازي على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلى كل صعيد ... أرفضه أشدَّ ممّا رفضته في أي يوم من الأيام وظرف من الظروف .

وأرفض الواقع العالمي الحالي الذي تحول فيه العالم إلى غابة، وكثير من دوله ومؤسساته وأفراده إلى وحوش، وانهارت فيه العقائد والقيم، واختلت الموازين والمقاييس، وعبد الناس فيه المال والأهواء والشهوات دون الله عز وجل .

وليس يجهل أحد أن الفساد في العالم قديم، وأن الطغيان قديم؛ ولكن لم يسبق قطّ أن كان له مثل هذه الأنياب والأظفار، ومثل هذه القوة والقدرة، ومثل هذه الضحايا البشرية والبيئية، والآثار المدمرة الحاضرة والقادمة .

أرفض الواقع العربي والإسلامي والعالمي ... وهو رفض مضحك يدعو إلى الإشفاق والرثاء، وإلى السخرية والهزء – كما يبدو لأكثر الناس – فمن الذي يستطيع أن يصد هذا التيار الجارف أو يحوّل مجراه؟ ومن الذي يستطيع أن يواجه هذه الآلة المخيفة الضخمة التي تعلو بجبروتها على الحق والعدالة والقانون، وتسحق – بلا رحمة ولا تحرّج – من يفكر أو يحاول أن يخرج عن سلكانها، أو أن يسدّ عليها بعض الطريق؟ !!

أرفض هذا الواقع المخيف كل الرفض، وآبى لنفسي وغيري أن نكون تروسا في آلته، أو أن نعيش فيه على حساب الحق والعدالة والقيم العليا، وحساب المظلومين والمحرومين والمسحوقين – إن لم نكن في جملة المظلومين والمحرومين والمسحوقين.

ولكن رفض الواقع الراهن هو أحد وجوه القضية، وهو لا يكون جادّا ولا مجديا دون وجهها الآخر الأهمّ والأجلّ والأصعب: كيف يكون بإمكاننا أن نغير الواقع الراهن في أنفسنا، وفي أمتنا وبلادنا، وأن نسهم في تغييره في عالمنا وعصرنا، وكيف نوفّر من خلال إيماننا

وإخلاصنا، وعلمنا ووعينا، وإرادتنا وجهدنا وتضحيتنا، الأسس الضرورية، والشروط الموضوعية، لأية نهضة حقيقية أو عمل مثمر أو مشروع كبير أو صغير، على المدى الطويل أو القصير.

المرأة ..... نسمع جعجعة ولا نرى طحينا

نعم، إن المرأة معززة مكرّمة في تعاليم الإسلام، ولكنها ليست كذلك – غالبا – في واقع المسلمين. وقد تسمع أحيانا من يُحَدّثك أجمل الحديث عن "مكانة المرأة في الإسلام"، وزوجتُه في بيته ليس لها أي مكانة من الرعاية والتكريم . .. وهذا مثَلٌ من أمثلة الافتراق الأليم الذميم بين الإسلام وبين أكثر المسلمين.

الهدف واحد .... الوسائل مختلفة

لا يمكن أن تجعل الطباع كلها طبعا واحدا، ولا الآراء كلّها رأيا واحدا، ولا السلوك البشري كلّه نمطا واحدا، فلا بدّ من أن يفهم الناسُ بعضُهم لبعض، وأن يتلمّسوا – جاهدين صابرين – أسباب التعاون على البرّ والتقوى، ويجدوا الطريق المشتركة إلى أهدافهم الواحدة، رغم اختلاف الاجتهادات – أحيانا – واختلاف الأمزجة والطباع.

كيف تبيع أمريكا أصدقاءها؟!

رغم أن الولايات المتحدة قد تخصصت عبر عقود طويلة في بيع حلفائها وأصدقائها، بمجرد أن تجد البديل الأفضل، أو أن تراهم آيلين للسقوط- وغالبا ما تكون هي السبب الرئيسي في هذا السقوط- إلا أن كثيرين هم الحكام الذين لا يتعظون، وما أن تغدر أمريكا بحاكم، حتى يتطوع آخر، ويقدم نفسه لها كـ "عميل مرشح" على أمل أن تكون هي "المظلة" التي يستخدمها هو للقفز على كرسي الحاكم، وتدور الأيام ليجد في النهاية الغدر بانتظاره، وربما ترفض حتى استقباله في بلادها، ولو للعلاج، لأنها ببساطة استنفذته، حتى سقط في أعين شعبه، ولا تريد أن تراهن على جواد خاسر، بل تريد أن تراهن على البديل، وغالبا ما تكون قد أعدته، أو طرح هو نفسه عليها كبديل أفضل.. وهكذا !!

وكم سنطالع تجارب حلفاء كثيرين لواشنطن طالهم منطق الغدر الأمريكي بالحلفاء والأصدقاء "لا صداقة تدوم... ولا وفاء يستمر" ومنهم الرئيس الباكستاني برويز مشرف، وتجربة شاه إيران محمد رضا بهلوي، وتجربة الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس، وتجربة مانويل نورييجا رئيس بنما .

وسنطالع أيضا تجارب هؤلاء الذين باعتهم أمريكا أيضا ومنهم الرئيس العراقي صدام حسين، وإدوارد شيفاردنادزه رئيس جورجيا، وسوهارتو رئيس إندونيسيا، وبينوشيه ديكتاتور شيلي، وباتيستا ديكتاتور كوبا، وموبوتو رئيس الكونغو، وبي نظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة، وجان أريستيد رئيس هاييتي، وعسكر آكاييف حاكم قرقيستان وغيرهم وغيرهم .

إنه الخطأ التاريخي الكبير الذي يقع فيه أي حاكم إذا اعتقد ولو لحظة واحدة أن أية قوة عظمى خارجية يمكن أن تضمن له الاستمرار في السلطة، لأن الضمانة الوحيدة هنا هي شعبه، والتاريخ شاهد على هذه القوى العظمى وكيف تغدر بأصدقائها، وتراهن على البديل لتبدأ اللعبة من جديد! والواقع الحاضر يشهد بذلك

أرقى أنواع العتاب بين الأحباب...

خاطب الشهيد محمد محمود الزبيري شقيق روحه السفير والشاعر والأديب عمر بهاء الدين الأميري قائلا له في عتاب مغلف بالحب:

أنا من عرفتَ ومنْ بلوتَ فلا تظنَّ بي الظنونْ أنا شخصك الثاني ولمْ أُمسخْ إلى وحلٍ وطينْ
إنْ لمْ أكنْ أنا أنتَ يملكني هواكَ فمنْ أكونْ؟ تجري حياتكَ في دِمايَ فمنْ أسوءُ ومنْ أخونْ.

ما حيلتي ... وقلوب من حولي حجر.

عاد عمر بهاء الدين الأميري إلى الباكستان سفيراً مفوّضاً فحيّاه الزّبيري بقصيدة من سبعة أبيات مطلعها:

رفقاً بقلبك يا "عمرْ" لم تُبقِ منه ولمْ تذرْ حمّلتهُ عِبْءَ البشرْ وحكمتهُ حُكمَ القدَرْ.

رفقاً به طال المسيرُ عليه، واتصلَ السفرْ...

فأجابه عمر بهاء الدين الأميري بقصيدة من مئة وخمس عشرة بيتاً جاء فيها:

وافى كتابُكَ بالغُرَرْ من فيضِ وُدِّكَ والدُّرَرْ قد فصّلتْ آياته بالحبّ وازدهتِ السُوَرْ

..وذكرتَ قلبي والأسى لمْ يُبقِ منهُ ولمْ يَذَرْ ودعوتني للرِّفق في أمرٍ تَضيقُ بهِ القُدَرْ

ما حيلتي يا صاحبي وقلوبُ مَنْ حولي حَجَرْ.

جيل الشكوى والعجز

لا تكونوا يا شباب من جيل الشكوى والعجز، الذي يشتكي نواقصَ العمل وأخطاءَه؛ يشتكي الحقيقيَّ والوهميّ، وما يُشتكى منه وما لا يُشتكى؛ ولكنّه لا يبذُل جهداً يُذْكَر لمعرفة أسبابِ ما يشتكيه، واكتشافِ طريقِ تَجاوزِه والخلاصِ منه، والوصولِ إلى ما يتطلّع إليه من الأصْوَب والأكْمَل على كلّ صعيد، ولا يسلكُ هذا الطريقَ إن اكتشفه، أو كشفه له سواه، ولا يتحمّلُ تكاليفَه ومشقّاتِه وتبعاتِ السير فيه شكوى وشكوى وشكوى... وليس من شيءٍ وراءَ هذه الشكوى التي تتكرّر بتكرّر اللقاءات، وتتعدّد بتعدّد الأماكن والمناسبات.

شكوى مَرَضِيّة، وشكوى تَبْريرِيّة، وليست هي الشكوى التي تلتمس العلاج، وتَنْشُد الشفاء، وتنتهي إلى التشخيص الصحيح، والرّؤية الواضحة، والنّهج القويم، والعمل الإيجابيّ المثمر.

شكوى مرضيّة: يُدْمِن عليها أصحابُها فينتشون بها، ويعانون عقابيلَها، ولا يستطيعون تجاوزَها والخلاصَ منها... فهم فيها كمُدمِن الخمر والأفيون.

وشكوى تبريريّة: يُبَرِّرُ بها أصحابُها لأنفسهم، ولإخوانهم وأصدقائهم، نكوصَهم عن العمل، وانصرافَهم عن الواجب، وهربَهم من المسؤوليات، وخوفَهم من حمل التبعات. وانصرافَهم -كغيرهم-إلى الدنيا، واستسلامَهم لها.

مرَّة أو مرَّتين..... لا تكفي

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله مفسراً قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ الفاتحة: ٦ : " نحن نكرر الدعاء لأنفسنا كما نكرر غسل أعضائنا لأن أسباب هذا التكرار قائمة، فالجسم الإنساني لا يكفي لتطهيره أن يغسل مرة أو مرتين، بل لا بد من

تكرار الغسل مدى الحياة، والطبع البشري لا تصقله دعوة أو دعوتان، بل لا بد من تكرار الوقوف بين يدي الله، لأن رعونات النفس، ووساوس الشيطان لا تنتهي".

المواد الحافظة لكل طاغية...

يقول لابواسيه في كتابة العبودية المختارة (قبل 600 سنه) متحدثا عن الطغاة وأعوانهم :"هم دوماً أربعة أو خمسة يبقون الطاغية في مكانه، أربعة أو خمسة يشدُّون له البلد كله إلى مقود العبودية، في كل عهد كان ثمة أربعة أو خمسة يُبقون الطاغية في مكانه، أربعة أو خمسة يشدون له البلد كله إلى مقود العبودية، في كل عهد كان ثمة أربعة أو خمسة تصيخ إليهم أذن الطاغية، يتقربون منه أو يقربهم إليه ليكونوا شركاء جرائمه، وخلان ملذاته، وقواد شهواته، ومقاسميه فيما نَهَبَ.

هؤلاء الستة يدربون رئيسهم على القسوة نحو المجتمع، لا بشروره وحدها، بل بشروره وشرورهم. هؤلاء الستة ينتفع في كنفهم ستمائة يفسدهم الستة مثلما أفسدوا الطاغية، ثم هؤلاء الستمائة يذيلهم ستة آلاف تابع، يوكلون إليهم مناصب الدولة ويهبونهم إمَّا حكم الأقاليم، وإما التصرف في الأموال، ليشرفوا على بخلهم وقساوتهم، وليطيحوا بهم متى شاءوا، تاركين إياهم يرتكبون من السيئات ما لا يجعل لهم بقاءً إلا في ظلهم، ولا بعداً عن طائلة القوانين وعقوباتها إلا عن طريقهم. ما أطول سلسلة الأتباع بعد ذلك."

الأبله ... يضر ولا ينفع

لقد آن الأوان لأبناء الإسلام أن يحرروا أنفسهم من صورة ذلك المسلم الأبله الذي ينادي بتغيير الكون، وهو لا يدرك ما يدور في محيطه القريب، تقوده رغبة بغير عزم، ويحركه حماس بغير خبرة. يشعل الحروب في كل مكان ويخسرها، ويستفز العالم كله، على قلة زاد، وضعف استعداد.

يقول الكواكبي متحدثاً عن حال العرب: " نحن (العرب) ألفنا الأدب مع الكبير حتى ولو داس رقابنا، وألفنا الثبات وثبات الأوتاد تحت المطارق، اِلفْنا الانقياد ولو إلى المهالك، أَلِفْنا أن نعتبر التصاغر أدباً، والتذلل لطفاً، والتملق فصاحة، واللكنة رزانة، وترك الحقوق

سماحة، وقبول الإهانة تواضعا، والرضا بالظلم طاعة، ودعوى الاستحقاق غروراً، والبحث عن العموميات (الأمور العامة) فضولاً، ومن النظر إلى البعد أملاً طويلاً، والإقدام تهوراً، والحمية حمقاً، والشهامة شراسة، وحرية القول وقاحة، وحرية الفكر كفراً، وحب الوطن جنوناً.

شرط التغيير الحقيقي...

إنّ الصدق في مواجهة أنفسنا، ومواجهة واقعنا، والاعترافَ الجريء بمسؤوليتنا، شرطٌ في كلّ تغييرٍ حقيقيٍّ لِمَا نحن عليه.

يجب أن تنشأ فينا وتنموَ بيننا عناصرُ عالميّةُ المستوى في كلّ مجال من المجالات، ليكون للإسلام مكانه القياديّ المؤثر في عالمنا... وإلاّ بقينا دون مستوى مهمّتِنا، ودون مستوى التأثيرِ في عالمنا ومجتمعنا، وفي حاضرنا ومستقبلنا... واضطررنا إلى مزيد من الهامشيّة والعزلة والخضوع والضياع وهذا الهدفُ الكبير الذي نرسمه، والمطلبُ الجليل الذي نطلبه، لا يمكن أن نصل إليه إن تجاهلناه، وتجاهلنا قصورنا الرهيب عنه، كما لا يمكن أن نبلغه بالأماني، وبأحلام اليقظة، إن اعترفنا به، وتطلَّعنا إليه.

تربية تنتج نسخ مكررة حسب الطلب...

إنّنا – في خيرِ أحوالِنا – نربّي أجيالَنا الإسلاميّةَ الجديدةَ على بعض الشعاراتِ والعبادات والآداب ... لتنقادَ لنا فيما سوى ذلك من شؤون الحياةِ انقيادَ الجاهلِ الذي لا يَعلم، والأعمى الذي لا يُبْصر ... ولا نُنشِّئُ هذه الأجيالَ على فهمٍ شاملٍ للإسلامِ وواقعِ المسلمينَ وواقع العالمِ والعصر... بحيثُ تكون قادرةً على نقدنا إن أخطأنا، ومعارضتنا إن أصررنا، وإقصائنا إن انحرفنا، وتجاوُزِنا إن عجَزْنا أو قصَّرْنا ... وهذا مِن أحوجِ ما يحتاجُ إليه المسلمونَ في الحاضر والمستقبل.

إمّا أن نكون .....وإلا فنحن آثمون

آثمٌ كلُّ مسلم لا يفجّر كلّ طاقاته وإمكاناته ولا يصل بها في حدود استعداده واختصاصه ومجالاته لأقصى ما يستطيع. وآثمٌ كلُّ مجتمع إسلامي لا يساعد على تفجير

الطاقات والإمكانات، وبلوغ أفراده – صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا – في حدود استعداداتهم، واختصاصاتهم أبعد ما يمكن أن يبلغوه . وآثمٌ كل مجتمع لا يتخذ الأسباب والوسائل الممكنة لتحقيق التواصل والتكامل والتعاون بين أبنائه، وما بينه وبين المجتمعات الأخرى . وآثمون آثمون أولئك الذين يغرَقون ويُغرقون المسلمين في الصغائر والتفاهات، والأنانيات والعصبيات، والخلافات الباطلة والمنازعات، والمصالح الشخصية والحزبية الضيقة، ويحولون بين المسلمين وبين تواصلهم وتكاملهم وتعاونهم على البر والتقوى.

سؤال من يبحث عن التقدم ... من أين نبدأ ؟

لقد وقع العقل الإسلامي ضحية الجمود وتوقفت المعرفة عن النمو والتجدد، وتوقف العالِم المسلم عن الإحساس بأقسام (الزمن) الثلاث: أقسام الماضي والحاضر والمستقبل، بل صار الزمن عنده قسماً واحداً، هو الحاضر الذي بدأ منذ عهود الآباء وضل حاضراً لا يتحول إلى ماضي ولا يحل محله مستقبل، وتوقف الإحساس باختلاف (المكان)، بل صارت الأمكنة عنده مكاناً واحداً هو المكان الذي بدأ فيه مجتمع الآباء. نتيجة لذلك صار فقه الآباء هو العلم الذي لا يتبدل ولا يتغير وما على الأجيال إلا توارثه وتعهده بالحفظ والاستظهار، فهيمنت العصبية المذهبية وجمدت الحضارة الإسلامية وآلت إلى الانحطاط والانهيار.

والأمم الواعية حين تحسّ بأزمة معينة أو نقص في الفاعليّة والإنجاز، فإن أوّل شيء تفعله هو قيام الخبراء فيها بتشخيص القيم الثقافيّة السائدة والنّظام التّربوي القائم. وهذا ما فعلته بريطانيا حين رأت التفوق الألماني خلال الحرب العالميّة الثانية. ففي الوقت الذي كانت أنظمتها الدفاعيّة تتصدى للغارات الألمانيّة في أجوائها وبحارها، كان المربون البريطانيّون يجتمعون ويشخّصون النّظام التّربوي والثقافة الاجتماعيّة في مخابئها وملاجئها . ومثله ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكيّة حين رأت الاتحاد السوفيتي يسبقها في النزول على سطح القمر، وهو ما تفعله في الوقت الحاضر وهي ترى التفوق الياباني في الميادين الصناعيّة والتجارة العالميّة.

ويذكر – ياسوماسا توموداً- الأستاذ في جامعة أوساكا اليابانيّة أنّ أوّل ما فعلته اليابان إثر هزيمتها في الحرب العالمية الثانية هو مراجعة القيم التقليديّة التي كانت تؤكد على الطاعة العموديّة في المجتمع: أي طاعة الصغار للكبار، وطاعة الأتباع للقادة؛ الأمر الذي أدّى إلى مراجعة نظام التربية اليابانيّة، خاصة التربية الأخلاقيّة السياسيّة وإعطاء العناية اللازمة لقيم الديمقراطيّة والحريّة وعلاقة الحاكم بالمحكوم، والوقوف على موروثات التّقاليد والقيم السائدة موقف الناقد العالم، لا التابع المنفعل، والتأكيد على القيادة الجماعية والعمل الجماعي، وتوسيع مفهوم الأخلاق ليشمل ميادين السياسة والإدارة والثقافة والعلم.

والخلاصة أن كلّ بلد نجح في الخروج من أزماته ومجابهة تحدياته بدأ بفحص النظم التربويّة السائدة. وما نجح حزب أو جماعة أو منظمة في برامجها إلا بعد اعتماد مبدأ المراجعة والتقييم الدوري لمبادئها وأفكارها. وما جمد مذهب أو جماعة أو حزب إلا بعد إسباغ العصمة على أفكاره وبرامجه.

الحصاد يأت من نوعية ما بذرناه...

تتضافر المؤسسات التربوية . ابتداءً من البيت حتى الجامعة والبيئة المحيطة . لوأد القدرات والمواهب لدى الناشئة، أو رعايتها لديهم، وفي الحالة الأخيرة فإنها توفر لهذه القدرات والمواهب فرص النمو وأسبابه وبيئته ليستمتع الفرد بالحرية طفلاً في البيت، وتلميذاً في المدرسة، وطالباً في الجامعة، وبذلك يتذوق قيمة الحرية مواطناً في أمة، ويرعاها رباً في أسرة ويذود عنها ممثلاً في البرلمان أو جندياً في الميدان، أو عضواً في المجتمع، ويمنحها للآخرين حاكماً في دولة أو وزيراً في وزارة أو مديراً في دائرة، وهكذا في بقية مواقع المسؤولية التي ترعى العلاقات الاجتماعية وتنظمها. الدكتور / ماجد عرسان الكيلاني

خبراء في تمزيقنا...

عمد الخبراء الأجانب إلى ملأ المقررات الدينية بمقررات الفرق والمذاهب المتصارعة المتنابذة، ومقررات التاريخ بأخبار العصبيات القبلية والعائلية والشعوبية، ومقررات الأدب

بأشعار الغزل والهجاء والمدح والفخر الجاهلي وامتداداتها فيما بعد في العصر الإسلامي. وجميع هذه المناهج أسهمت ومازالت تسهم إسهاما فعالا في إثارة الفتن السياسية والمفاسد الاجتماعية المتمثلة في التفتت السياسي والهويات الإقليمية والنظم المتسلطة والولاءات المذهبية وأنماط الحياة التي تبتعد عن قيم الإسلام شيئا فشيئا.

هدف سامٍ + وسيلة قاصرة = خذلان

لقد تواترت معاني الشرع وحكمة العقل على أن الوسيلة القاصرة تخذل المبدأ السامي، وتقضي على وظيفته في الحياة، وأن حسن النوايا وصدق التوجه لا يغيران اتجاه التاريخ، إذا لم يصحبهما اجتهاد نظري وعملي في استنباط المناهج والوسائل المحققة للغايات. فلا يصلح أن نحاول خدمة المبادئ الإسلامية الجليلة بوسائل متخلفة عن عصرها، ومناهج مهلهلة في منطقها.

الأهداف غير ..... الأماني

إن الأهداف غير الأماني. فالأمنية ثمرة انطباع ونزوع عاطفي، أما الهدف فهو ثمرة عمل ذهني واع، ولا بد من دفع ثمن النصر، ونحن الذين نقرر نوع الثمن الذي سندفعه: إما مزيدا من التخطيط والتنظيم، تمهيدا لبناء قوة نوعية قادرة على الأخذ بقوة. وإما مزيدا من إراقة الدماء الزكية، وهدر الطاقات الفتية، وإضاعة الأوقات الثمينة

الفرق بين القادر ..... والعاجز

الفرق بين الأشخاص القادرين على أخذ زمام المبادرة وبين العاجزين عن ذلك كالفرق بين الليل والنهار، فالقادرون: يستطيعون مشاهدة بدائل السلوك المطلوب، والعاجزون يشعرون بالعجز عن التفكير والاختيار .

والقادرون: لا يخضعون لقسوة البيئة وإنما يحملون أجواءهم معهم. والعاجزون يتكيفون مع المؤثرات البيئية الطبيعية. والقادرون: أناس مدفوعون بقيمهم ومبادئهم. والعاجزون: يتأثرون بمعاملة الناس لهم بين الإحسان والسوء. والقادرون: يتفاعلون مع البيئة تفاعلاً حراً. والعاجزون: يتأثرون بالبيئة تأثراً تلقائياً.

جسد الفرد ..... جسد الأمة

كما في جسد الفرد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد حدد القوميون هذه المضغة فعمدوا إلى (الجيش) يكثفون فيه نشاطهم حتى بلغوا مراكز قيادية فيه انطلقوا منها للسيطرة على المجتمع كله. وحدد الشيوعيون هذه المضغة فانطلقوا الى (النقابات) خاصة وجعلوها مكانا لعملهم يجندون الطبقة العاملة ويوهنون السلطة حتى تضعف فينقضوا عليها وينقضوا على المجتمع كله. بينما الحركة الإسلامية (بكل أطيافها ومسمياتها) لم تحدد بعد هذه المضغة الاجتماعية وظلت توزع جهودها على كل المستويات فتبقى ضعيفة في كل المستويات. ما رأيكم أنتم؟!

الفرق بيننا وبينهم....

لئن كانت تحدياتنا متنوعة: سياسية، عسكرية، اقتصادية... الخ فإن جوهرها حضاري بمعنى أن أفكارنا وقيمنا وما انبثق عنها من مؤسسات وأساليب حياة لم تقدر على تلبية حاجاتنا وحجم مشكلاتنا. وما تشهده بلداننا من فوضى إدارية وسلوكية واجتماعية وهزائم عسكرية وديكتاتوريات سياسية ليس إلا تعبيراً عن هذا النمط الحضاري المتخلف الذي يسود بلداننا.

إن إسرائيل ومن ورائها أمريكا والغرب، لا يتحدثون بقوة السلاح ووفرة المال والرجال، وإنما بنمط حضاري يقدم لأفراد تلك المجتمعات قدرا من الاتجاهات والمسالك، تتيح لطاقاتهم أن تثمر وتنتج وتنتصر على كل المستويات.

توسط بلا حدود...

التوسُّط بالأساس موقفٌ إنسانيٌّ متسامحٌ مع طبائع الأشياء والخلائق، موقفٌ يُدينُ التطرُّف والغُلوّ، دون أن يتطرف أو يغلو في مواجهة التطرف والغلو.

التوسُّط، برمزياته العديدة في الخطاب القرآني، هو توسُّطٌ بإطلاق مدلول الكلمة وليس بنسبياتها، فهو توسُّطٌ مكاني، وزماني، وفكري، وسلوكي، واعتقادي، وشعائري، واجتماعي، واقتصادي.

ولقد وردت مفردة "وسط" ومشتقاتها في كتاب الله العزيز في خمسة مواضع، بعدد الصلوات المكتوبة التي هي عماد دين هذه الأمة التي أراد الله لها التوسُّط "وآخرها آية تخصيص الصلاة الوسطى بالمحافظة" في أربع من تلك المواضع تفضيلٌ صريحٌ للتوسُّط.

عبرة للتاريخ...

وتسألني لماذا طردنا من الأندلس؟ فأقول لك: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤. . ثم أقول لك عبرة التاريخ. . . قانون سقوطنا: حين يبحث كل عضو منا عن نفسه تسقط سائر الأعضاء".

إن سيطرة عنصر من العناصر المتعصبة قوميا أو المتأثرة بخلفية تاريخية لم تتخلص من شوائبها، هو أبرز ما واجه ركب مسيرتنا الحضارية والتاريخية.

وبالقومية المتعصبة وبأصحاب النزعات المشبوهة وذوي الولاء لحضارات معاكسة لنا ولخطنا الحضاري، بهؤلاء تمت عملية سقوطنا المتكرر في مراحل تاريخنا.

للذكرى فقط...

حين لا تتوافر العوامل الحقيقية للنصر، يصبح أي نصر مرحلي عملية تضليل، واستمرارا للسير الخطأ، وتماديا في طريق الوصول إلى الهزيمة الحقيقية، هكذا سار التاريخ في مراحل كثيرة من تطوراته. كان النصر بداية الهزيمة، وكانت الهزيمة بداية للنصر!

ثم توقف المد، لأن بريق المادة غلب على إشعاعات الإيمان!! فقصة الغنيمة، هي قصة الهزيمة في تاريخنا. والذين يسقطون في هاوية البحث عن الغنائم لا يمكن أن ينجحوا في رفع راية عقيدة أو حضارة.

رضى الناس غاية لا تدرك

ضحكت فقالوا ألا تحتشم .....بكيت فقالوا ألا تبتسم

بسمت فقالوا يرائي بها .....عبست فقالوا بدا ما كتم

صمت فقالوا كليل اللسان ..... .نطقت فقالوا كثير الكلم

حلمت فقالوا صنيع الجبان ..... . ولو كان مقتدرا لانتقم

بسلت فقالوا لطيش به ..... وما كان مجترئاً لو حلم

يقولون شذ إذا قلت لا ..... وإمعة حين وافقتهم

فأيقنت أني مهما أُرد ..... رضى الناس لا بد من أن أذم

ذلك فضل الله .....يؤتيه من يشاء

إنَّ طرق الخير كثيرة، وأبواب العملِ الصالح واسِعة، بل إنّ العمل الواحدَ يتفاوت الفضلُ فيه بحسَب ما يمنَح الله عبدَه فيه من قوّة اليقين وصِدق الإخلاص وزَكاة النفس وتحقيق التوكّل.

وإذا كان الأمرُ كذلك فانظروا . رحمكم الله . فيما يفتح الله على عباده من ألوان الطاعات، وصنوفِ العبادات، وأنواعِ الاجتهادات، وطُرق المسابقات إلى الخيرات، فتجدون من يفتَح الله عليه في القرآن الكريم والعنايةِ به، وتلاوته قيامًا وقعودًا وعلى جنبه، في الصلاة وغير الصلاة، في الليل وفي النهار.

ومن الناس من يفتح الله عليه في العِلم أو في باب من أبوابه، من التوحيد والحديث والفقه والتفسير، كما يفتَح لآخرين في علومٍ أخرى من اللغة والتاريخ والسِّيَر والعلوم التجريبية. ومنهم من يُحسن التدريس، ومنهم من يحسِن الوعظ والتذكير، ومنهم من يشتغِل بالجمع والتأليف.

ومِن عباد الله من يفتَح الله عليه في الصلاة، فهي شغلُه الشاغل، وهي قرّة عينه من الليل والنهار، في خشوعٍ وطولِ قنوت وتضرُّع. وآخر يفتح الله عليه في صيام النوافل، فيكثر

من الصيام في أيّامه المستحبّة من الاثنين والخميس وأيام البيض ويصوم يومًا ويفطر يومًا، فيطيق في ذلك ما لا يطيقه غيره.

بينما ترى آخرين قد خصَّهم الله عزّ وجلّ بمزيدٍ من برّ الوالدين وصِلة الأرحام وتفقُّد الأقارب وزيارتهم والسؤال عنهم وبرّهم وصِلتهم والإحسان إليهم من غير انتظارِ مكافأة ومحاسبة.

ومنهم من يُفتح له في مساعدةِ المحتاجين وإغاثةِ الملهوفين، فيسعى على الأرملةِ والمسكين والغُرَباء والفقراء، لا يملّ من جمع التبرّعات وطَرق أبوابِ الأغنياء والدخول على المحسنين وإيصال الخير للمستحقّين، في عملٍ متواصِل في تفريجِ الكروب وسدِّ الديون وكفالةِ الأيتام ورعايتِهم ومواساتِهم وتعليمِهم والمحافظةِ عليهم.

ويفتح الله على أقوام في بناء المساجدِ وإنشاء الأوقاف، وقد أدركوا ما فتَح الله به في وقتنا الحاضر من أبوابٍ في العلاج والتطبيبِ وتأمين الدّواء والأجهزة الطبيّة، مع ما فشا من ابتلاءٍ في أمراض مزمنة وإعاقات مستديمة وغلاءٍ في الأدوية والأدوات الطبّيّة.

وآخرون يفتح الله لهم في الاحتساب بالأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر والصبرِ على الأذى فيه، فيطيقُ في ذلك ما لا يطيق غيره.

وفي الناس من يُفتح له في بابِ الشفاعة والإصلاح بين الناس، فيفكّ أسيرًا، ويحقن دمًا، ويدفع مكروهًا، ويحِقّ حقًّا، ويمنع باطلاً ويحجز ظلمًا، يقدر على ما لا يقدر عليه غيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾

﴿ النساء: ١١٤

العمل الصالح واسعُ الميادين شامل المفاهيم، ينتظم أعمالَ القلوب والجوارحِ من الأقوال والأعمال والمقاصد في الظاهر والباطن والمواهبِ والملكات، من أعمالٍ خاصّة وعامّة، فرديّة وجماعية، في إكرام الضيف وعيادةِ المريض، واتّباع الجنائز، وإجابة الداعي،

ونُصرة المظلوم، ومواساةِ الفقير، وسقيِ الماء، وتفريج الكروب، وإنظار المعسر، وإرشاد الضالّ، وإيجاد فرَص العمل، وإنَّ لكم في البهائم لأجرًا، ومن زرع زرعًا أو غرس غرسًا فأكل منه إنسانٌ أو طير أو بهيمة كان له به أجر، ومن جهّز غازيًا فقد غزا، كما يقول حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

ويكون الفتح في العمَل بمحبّته، والإكثارِ منه، والإحسان فيه، ومزيد الرغبةِ فيه، والاجتهادِ فيه والإقبال عليه، ومن أكثر من شيءٍ عُرف به.

فتنافسوا .رحمكم الله .في أعمالِ البرّ، ولتكن هِممُكم عالية، فإنّ ثمّة أقوامًا يُدْعَوْن من كلّ أبواب الجنّة تعظيمًا لهم وتكريمًا لكثرة صيامهم وصلاتِهم وأفعالهم الخيِّرة، فيخيَّرون ليدخلوا من أيّ أبواب الجنّة شاءوا، فلتكن الهِمَم عالية في المسابقة إلى الخيرات والمنافسة في الأعمال الصالحة .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة: ٧ ، ٨

لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر

إن حركة الزمان لا ترحم الواقفين الجامدين، ولا تنتظر المترددين الخائفين، الذين يعيشون عصرا بوسائل عصور خلت، ولا يميزون بين المبدأ الخالد والوسيلة الفانية. إن كل توقف يتحول إلى تخلف، كما حذَّر من ذلك الدكتور حسن الترابي رحمه الله في قوله: "أنا أعتبر الجمود نكسة، فضلا عن التقهقر إلى الماضي في الفكر أو الحركة. فأنت إذا توقفت تكون قد انتكست، لأن ابتلاء الزمن متقدم دائما، والله سبحانه وتعالى يقلِّب الظروف يوما بعد يوم، وكل فجوة بينك وبين حركة الزمن -التي هي الابتلاء الأساسي في الدنيا -هي نوع من الانتكاس".

الإيجابية الواقعية

تستلزم الإيجابية قدرا من الواقعية تشجع الخير مهما لابسه من غبش، وتتعايش مع الشر من أجل تغييره، دون يأس من الناس، أو تسرُّع غير منضبط، أو خروج على

المجتمع. ولا تترك فراغا يعين عوامل الشر والسلبية على التمكن والرسوخ. وتؤمن بالجهد الدؤوب مهما كان متواضعا، وبالعمل الصامت المؤثر، وبالسير المتدرج في تحقيق الغايات المبتغاة. ولا يتم هذا إلا باستيعاب عوامل القوة والضعف في المجتمع، وجوانب التقدم والقصور في المسيرة، ووسائل الاكتساب والتأثير، وعوامل التسريع بالتغيير، مع انتباه لأي ثغرة تُفتح، واستغلال لكل فرصة تَسنح.

لماذا ... لماذا ...؟

لماذا خبا ضوء المصباح؟ لقد أحطته بردائي لأقيه من الريح لهذا خبا.

لماذا جف الغدير؟ لقد اعترضت مجراه بالسدود ليكون لي وحدي لهذا جف.

لماذا انقطع وتر القيثارة؟ لأنني حاولت أن أوقع عليه لحناً يفوق طاقته لهذا انقطع.

لماذا ذبلت الزهرة؟ لأنني ضممتها إلى قلبي بقلق وحب ولهذا ذبلت.

يستفزونا لنخرج أسوأ ما عندنا

المشكلة ليست في الدفاع عن الإسلام، الذي يجد في جوهره حصانته من عطاء الله إليه، ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم بما في الإسلام من وسائل الدفاع.

مالك بن نبي

وبالتفكير المنهجي سنجد أن أحسن رد على هذه الاستفزازات الفجَّة (الفلم المسيء للنبي صلى الله عليه وسلم) هو تجاهلُها، وأن الرد الصاخب عليها ترويجٌ مجاني لها، وإساءة إلى الذات قبل الغير. وقد أدرك علماء الإسلام منذ قرون خلت حكمة التجاهل للمستفِزّ الساعي إلى الدعاية الفجَّة، فقد ورد في مقدمة صحيح الإمام مسلم أن "الإعراض عن القول المطروح أحْرَى لإماتته وإخمال ذِكْر قائله، وأجدرُ ألا يكون ذلك تنبيهًا للجُهَّال عليه".

المُزكّى من فوق سبع سماوات

إن كرامة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عند الله لكبيرة، فهو المصطفى المجتبى، فلقد اصطفى الله من البشر الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة، واصطفى من أولي العزم الخمسة الخليلين إبراهيم ومحمداً،

واصطفى محمداً ففضله على جميع خلقه، شرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره، وزكاه في كل شيء:

زكاه في عقله، قَالَ تَعَالَىٰ: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ النجم: ٢

وزكاه في صدقه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم: ٣

وزكاه في صدره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١

وزكاه في فؤاده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ النجم: ١١

وزكاه في ذكره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ الشرح: ٤

وزكاه في طهره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ الشرح: ٢

وزكاه في علمه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ النجم: ٥

وزكاه كله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤

كلكم لآدم وآدم من تراب

إن الزيت الذي يطفو على سطح الماء هو أول ما يندلق (ينسكب) من الإناء، وهكذا هو الشأن بالنسبة إلى من لا يعطي من نفسه السوية، ومن يصرُّ على الاستعلاء ولا يندمج مع إخوانه المواطنين. مذكرات القاضي / عبد الرحمن الإرياني ج1

المسلم الحزين ...

نعم هو حزين، والحزن يدل على أنه مغلوب على أمره. ويزيد من حزنه وحسرته أنه يرى ثروات أمته تنهب من قبل أعدائها، لكي تستمر مصانع أسلحة أعدائه بالعمل، ويقوم أعداؤه ببيعها للمسلمين ليقتل بعضهم بعضا.

المسلم الحزين يرى (وحدة جغرافية) أمته تمزق وتقطع بسكاكين أبنائها، وتوزع أشلاؤها شرقا وغربا. المسلم الحزين يرى أقطار أمته توشك أن تصبح تحت الانتداب، إن لم تكن محتلة بالفعل لكثرة الأساطيل والقواعد العسكرية الرابضة على أراضيها وفي مياهها الإقليمية، إضافة إلى فقدانها لقرارها وارتهانها لإملاءات الخارج.

المسلم الحزين يرى بني قومه أشداء على بعضهم البعض، وفيهم غلظة وهمجية وبداوة، ولكنهم رحماء و(حنونين) على خصومهم وأعدائهم، يخالفون بذلك القرآن و﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ المائدة: ١٣

المسلم الحزين يرى مفكري وعلماء أمته إما مكبلون (قدما وفما)، وإما جماعات وظيفية ضمن مشاريع العد، مما أدى إلى تمزق شمل الأمة وذهاب ريحها، وصدق في وصف حالها (الشاعر عبد الله البردوني رحمه الله) حينما سأل وأجاب في بيت واحد:

لماذا العدو البعيد اقترب لأن الصديق القريب ابتعد.

المسلم الحزين يرى المؤامرات (الواضحة للعيان) تحاك ضد وجود أمته ومستقبلها، ويجد أن حكام أمته ونخبها وأحزابها السياسية، والجماعات التي تدعي الانتماء إليها، هي من ينفذ هذه المؤامرات بحذافيرها، ويسهل لتلك الأجندات عملها.

المسلم الحزين يشاهد ويسمع إعلاميي أمته وقنواتها وإذاعاتها وكل منابرها الإعلامية لا هدف لها إلا بلبلة الرأي العام المسلم، وزعزعة ثقة الجماهير بدينها، وتشكيك العامة في قيمها ومبادئها، من خلال أخبارها وتقاريرها المفبركة، أو من خلال برامجها ومسلسلاتها الموجَّهة لهذا الغرض فهم كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢

المسلم الحزين. ... مسلم يشعر إزاء ما يجري حوله بالقهر، أو قل هو مقهور يلتمس ويأمل في نفسه الإسلام.

ملاحظة: ليس فيما كتبت دعوة لليأس بل هو تقرير لما يجري في الواقع.

قصة المساعدات... نسمع جعجعة ولا نرى طحيناً

تابعنا ما سمي بمؤتمر جنيف للمانحين لإغاثة اليمن، وأن الدول تعهدت بدفع (مليار ومائة مليون دولار) كدعم إغاثة لليمن. وبحسبة بسيطة لو أن هذا المبلغ تم توزيعه على سكان الجمهورية اليمنية ابتداء من (هادي) وانتهاء بآخر مواطن في جزيرة سقطرة لجاء نصيب الفرد (44 دولارا) أي مبلغ (16000 ريال يمني) ستة عشر ألف، بمعنى أن الأسرة المكونة من خمسة أفراد سيستلمون مبلغ (80000 ريال يمني). ثمانون ألف، وهذا نصيبهم من المساعدات، على اعتبار أن سكان اليمن خمسة وعشرون مليون إنسان.

ولكن الذي يتم في شأن المساعدات هو التالي:

1-40% من المساعدات تصرف للقائمين على إدارة المنظمات الدولية من الأجانب كمستشارين ومنسقين وغيرهم.

2-40% من المساعدات تصرف كنفقات تشغيلية ومرتبات للعاملين في هذه المنظمات في الداخل، وما أكثرهم.

3-20% الباقية يتم جلب مساعدات يتم التصرف بها وفق توجهات من يديرون هذه المنظمات في الداخل والخارج، وتصل إلى الأغنياء والمسؤولين قبل أن تصل لمستحقيها، وإذا وصل شيء منها لمستحقيها فهو شيء لا يسمن ولا يغني من جوع، ولذر الرماد في العيون ليس إلا.

ملاحظة: لو تم العمل بمقترح التوزيع (نقدا) على جميع المواطنين فسوف يرتفع عدد سكان اليمن إلى (مائة مليون) إنسان لأن الكشوفات الوهمية تسبق الكشوفات الحقيقية، وهذا ما اعتدنا عليه في أي كشوفات ترفع للمدنيين والعسكريين، ولذلك فحمران العيون سيأخذونها مواد غذائية أو نقد، ولا عزاء للفقراء والمحتاجين في هذا البلد.

خياران أحلاهما مُر...

عندما قال النبي عليه الصلاة والسلام أن: (المؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين)، ولأننا كمسلمين قد لدغنا من نفس الجُحر مرات ومرات، فإن هذا يضعنا أمام خيارين مُرَّين هما:

1-إمَّا أننا غير مؤمنين حقاً.

2-وإمَّا أننا لم نعد نحسُّ بألم اللَّدغ.

وإمَّا وهو الأشدُ مرارة أننا فقدنا الإيمان والإحساس معاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إدراك الفرق بين الابتلاء والعقوبة...تصحيح للحاضر والمستقبل

كثيراً ما يخلط الناس بين معنيين متباينين هما: (الابتلاء) و(العقوبة)، فيظنون أن المصائب التي تنزل بهم نتيجة أخطاء يرتكبونها، أو نتيجة مخالفة لسنة معروفة من سنن الله، التي فطر الله عليها أمور الخلق. يظنون ذلك نوعاً من (الابتلاء) يكرمهم الله به، فنراهم يستبشرون بما ينزل بهم، لاعتقادهم بأن الله اختارهم للابتلاء كرامة لهم، حتى يجزل لهم الجزاء!! وهذا في حد ذاته عقوبة ومصيبة أخرى تضاف إلى المصيبة التي وقعت لهم.

وكان حرياً بمثل هؤلاء أن يحسّوا بالندامة على ما بدر منهم، وكان الأجدر بهم أن يراجعوا أنفسهم ويُرجِعوا ذلك إلى ذواتهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ آل عمران: ١٦٥ لكي يعرفوا الخلل، ويشمروا عن ساعد الجد، ويبدأوا عملية التقويم، وجبر ما انكسر، والنهوض من السقطة. وهذا ما يجب علينا أن نفعله عند كل شدة ... أن نعرف إن كنا في موقف (ابتلاء) أم في موقف (عقوبة)؟

هناك حالتان أو موقفان يقفهما الإنسان (فرداً كان أو جماعة أو دولة) يتمثلان في هذين الموقفين.

فالموقف الأول: حين تصيب الإنسان (فرداً كان أو جماعة أو دولة) شدة من غير قصد منه أو منهم، ولا إرادة، ولا تدبير، فهذا الموقف هو ما يصح أن نطلق عليه اسم (الابتلاء)، والمؤمن مأمور حين يبتلى على هذه الشاكلة أن يصبر على الشدة، وألا يقنط من رحمة الله، وأن يسأل الله تفريج الكروب وهو مأجور بإذن الله على ذلك كله.

أما الموقف الثاني: فهو حين تصيب الإنسان (فرداً كان أو جماعة أو دولة) شدة نتيجة تدبير منه أو منهم، واختيار، أو ممارسة فعلية خاطئة، فهذا النوع يصح أن نسميه (عقوبة)، حلت به أو بهم نتيجة ما قدمت أيديهم.

وبناءً عليه فعندما ندرك الفرق بين معنى (الابتلاء) ومعنى (العقوبة) يصبح حالنا مع (الابتلاء) أننا أكثر ثقة بربنا وأنه يريد لنا الخير الذي قد لا ندرك أبعاده وخفاياه، كما نثق في كرم الله وفضله في رفعة الدرجات وعظمة الأجور إن صبرنا واحتسبنا، أما مع (العقوبة) فلا بد أن ندرك أن هذا حصاد ما زرعناه ونتيجة ما اقترفناه وعاقبة ما جنيناه، أما اعتقادنا أن هذا لأسباب يعلمها الله (رغم علمنا بها وإدراكنا لها ومخالفتنا لها) فهذه معصية وعقوبة ثانية نجنيها على أنفسنا.

الشجاعة كل الشجاعة هي أن نعترف بأخطائنا ونصححها، ونعترف بقصورنا ونعمل على إصلاحه، ونعترف أيضا بأننا نصادم سنن الله في خلقه ونتوب عن ذلك ونعمل وفقاً لهذه السنن .... عندها يمكننا القول أننا استفدنا من هذا التأديب الرباني (العقوبة) لتصحيح حاضرنا ومستقبلنا، وإن استمرينا على اعتبار كل أخطائنا وقصورنا ومصادمتنا لسنن الله هي (ابتلاء) من الله ونحن مأجورون عليه فستتواصل علينا (العقوبات والنكبات) حتى نفيق من غيِّنا.

وفقنا الله للتفريق بين معنى (الابتلاء) والصبر عليه والتماس الأجر فيه، ومعنى (العقوبة) وإدراك أننا سبب فيها وطلب العون من الله على تصحيحها والتوبة منها.

بذور الماضي .....ثمار الحاضر والمستقبل

بذور (الخير) التي زُرعت في الإنسان في بداية حياته، ستظهر حتماً في مستقبل حياته القريب أو البعيد، حتى وإن انحرف عن طريق الخير وتنكَّب جادة الصواب فبذور الخير ستزهر في حياته كالزهرة الجميلة في المستنقع الآسن، وكالجوهرة الفريدة في الوحل، وربما وفّق للرجوع إلى الحق بصدق وثبات.

وبالمقابل فإن بذور (الشر) التي زُرعت في الإنسان في بداية حياته، ستظهر حتماً في مستقبل حياته القريب أو البعيد، حتى وإن استقام وسلك طريق الخير، فبذور (الشر) ستورق كالحنظل في الحديقة المملوءة بالطيبات، وكقطرة السم في الوعاء المملوء عسلاً، وربما انتكس وعاد إلى طريق الظلال من جديد (نعوذ بالله من الخذلان).

كم نشاهد في الحياة من أناس (أشرار) يصنعون خيراً فنستغرب ولم ندرك أنها بذور (خيرٍ) أثمرت الآن. وكم نشاهد في الحياة من أناس (أخيار) يرتكبون منكرات فنستغرب ولم ندرك أنها بذور (شرٍ) أثمرت الآن.

البدايات لها نهايات، والمقدمات لها نتائج، وبقدر كمية وطبيعة البدايات والمقدمات تكون النهايات والنتائج. وجزء من التوفيق في حسن الخاتمة هو التوفيق في بداية الحياة.

البكاء على الأطلال .... والصنمية القاتلة.

هناك سمة بارزة في العربي أنه كثير البكاء على الأطلال، وكلما جاء زمان بكى وتباكى على الذي قبله.

رب يومٍ بكيت منه فلما صِرت في غيره بكيت عليه

ليس عند العربي استعداد ليعيش حاضره ويخطط لمستقبله، ديدنه اجترار الماضي والعيش فيه وتذكر محاسنه والتغني بها وتذكر مساوئه والبكاء عليها. لا أدري متى يمكننا تجاوز الماضي الذي يكبلنا عقولا وأجسادا !؟

أما السمة الأخرى فهي التعصب للأشخاص أمواتا وأحياء (واتخاذهم أصناما) وليس عندنا استعداد لتقبل أي نقد موجه إليهم، فنحورنا دون نحورهم، وحياتنا دون حياتهم، ونحن مستعدون أن نموت عن طيب خاطر ولا يمسهم أحد بنقد أو جرح.

لقد صرنا نمثل جدران عازلة بينهم وبين من ينقدهم، فالسهام نستقبلها بصدورنا ونرد الصاع صاعين لمن يرسلها.

يا ناس اعتبروا من تتعصبون لهم بشرا وأقبلوا منهم الحسن وأرفضوا السيء، واقبلوا من الآخرين فيهم ما كان حقا، وردوا ما كان باطلا.

ما لنا لا نرى الأخطار التي تحدق بنا من كل جانب فيها هي الأمراض (وآخرها الكوليرا) وكذا الجوع تفتك بالمواطن، ونحن نرفع جدران التعصب لمن اتخذناهم أصناما، وكلهم أجرم في حق الوطن بلا استثناء وإن تفاوتت النسب من طرف إلى آخر. إلى متى يستمر هذا العمى الذي لا نرى له آخر!؟ اللهم أرنا الحق حقا وأرزاقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

كن لها رجلاً .... تكن لك كل النساء

كن لها رجلاً تكن لك كل النساء، ما أجملها من عبارة وما أقواها من تحدٍ.

سمعتها تقول له:

لماذا أراك على كل شئ كأنك في الأرض كل البشر

كأنك درب بغير انتهاء وإني خُلقت لهذا السفر

إذا كنت أهرب منك إليك فقل لي بربك أين المفر

يحلم الرجل بامرأة كاملة وتحلم المرأة برجل كامل، ولا يعلمون أن الله خلقهما ليكملا بعضهما البعض.

لا بد أن يعرف الرجل والمرأة أن للسعادة خمسة قوانين:

لا تكره، لا تقلق، كن بسيطاً، أعطِ أكثر، توقع أقل.

وأن يتذكرا دائماً أن من يسكن الروح كيف للقلب أن ينساه.

نكافح من أجل اقتناء أجمل وأغلى الملابس، ونُغفِل الكفاح من أجل تغيير عاداتنا وسلوكياتنا الخاطئة.

إن الإناء الباهظ الثمن لا يصنع طبقاً شهيا.

هذه هي الحياة، سواءً كُنت ترغب في ذلك أم لا:

لن تنمو مِنْ دُون أن تخطيء.

ولن تنجح من دُون أن تفشل.

ولَنْ تُحب من دُون أن تفقد.

أيها الرجل: تنازل لها عن بعض كبريائك وجبروتك تكسب رضاها، سننسى وسنغفر حين نصبح مؤهلين للمغفرة وللنسيان، فالنسيان هو نعمة المنتصر، والغفران هو رحمة المقتدر.

الرجل إذَا أحبَ امرأة يُخفيهَا فِي نفسه خوفاً من أن يسرقهَا عليه الأَخرون، والمَرأة إذا أحبت رجلاً جاهرت بحبها له لِكي لا يحَاول أحدٌ الاقتراب منهْ.

قل لها أريدِ أن أطوي أصابع يديك وأخبرك بأني لا أتحمّل بعدي عنك. أخبرها أن الحديث معها هو ثاني أجمل شعور بالعالم أما الأول فهو النظر إليها.

ليس عيباً أيها الرجل إن احترمت امرأتك وقدرتها.

ليس عيباً إن أظهرت لها غيرتك بشيء من العتب.

ليس عيباً إن أرضيتها بكلمة عفوية تخرج من قلبك لا تكلفك الكثير.

ليس عيباً أن تظهر لها غضبك بدون ألفاظ جارحة ومميتة.

ليس عيباً أن تصحح لها أخطاءها بعقلانية رجل ناضج.

ليس عيباً أن تكون لها رجلاً

أخبرها بلطف إن غَضِبتَ منها أو هي فعلت مايثير عصبيتك، لاتُشعرها بالإستغناء عنها، عندها ربما تصبح هي جسداً بلا روح.

لا تجعل كل مسئوليات البيت فوق كاهلها، احمل عنها ولو بالكلام، أعرض مساعدتك لها في أمور البيت فهي لن تقبلها بطبيعة الحال لكنه يعني لها الكثير.

إن رأيتها أحبت الحياة يوماً ما وتمسكت بها فاعلم أنه من أجلك ولأجلك فقط، ربما يكون صعباً عليها إظهار مشاعرها فترفّق بها وقدّر صمتها. حياؤها لا يعني أنها لا تحبك ولا يعني أنها لا تريدك كل ما في الأمر أنها أنثى وخلقت بخجل.

كيف يمكن للمرأة أن تعيش من دون عطفك واهتمامك وأمانك، لا تخيب في يومٍ ما أملها، كن لها كالأب في حنانه وكالأخ في اهتمامه وكالأم في خوفها.

هل تعلم بأن أقصى ما تتمناه المرأة هو قلب رجل صادق، قلباً ليس مزيفاً أو مخادعاً. فكن لها رجلاً بكل ما تعنيه الكلمة حتى تكون لك امرأة بكل ما حباها الله من صفات لتسعدا معاً.

إنها المرأة التي لا يكرمها إلا الكريم ولا يهينها إلا اللئيم.

ملاحظة: أفردت الرجل بالخطاب هنا لأنه الطرف الأقوى والمرأة هي الطرف الأضعف في شبكة علاقاتنا، وقد سمعنا الكثير عن واجبات المرأة ونحتاج أن نسمع الكثير عن واجبات الرجل لتدوم الألفة بينهما.

ألغام في طريق عودة الأمة

يشعر الإنسان بالأسى وهو يشاهد ما صارت إليه أمة الإسلام من ضياع وذهاب ريح، ولكنه بالمقابل يرى أن ما يجري عليها من نكبات هو من داخلها ومن أبنائها بالذات، وهي كالأحمق الذي يقطع يده لأنه يرى أنه لم يعد محتاجاً إليها.

لقد صنع أعداء الأمة آلاف إن لم تكن ملايين الألغام داخل جسد الأمة بتواطئ الكثير من أبنائها، ألغام متعددة الأحجام متعددة الاستخدام (فردية، جماعية، دروع)، هذه الألغام تحمل مسميات كثيرة، فمنها الألغام الطائفية والألغام الحزبية والألغام المناطقية، إضافة إلى الألغام التي تتستر بعباءة (الدين، والعلمانية، والليبرالية، واليسارية،

والقومية، والتحررية، ...)، مع عدم إغفال للمصانع التي تنتج الألغام الجديدة كالتنظيمات والأحزاب والجماعات والمنظمات والهيئات المحلية والدولية وغيرها بالطبع.

وكلما حاولت أمة الإسلام أن ترفع رجلها لتخطو خطوة إلى الأمام انفجر من تحت قدمها لغم، فتتوقف وتنكفئ على نفسها لتضمّد جراحها، وكل لغم ينفجر فيها يجعلها تنزف كثيراً مما يضعف قوتها ويشوه صورتها وربما بتر جزءاً من أعضائها.

هذه الألغام منها ما هو ظاهر وانفجاراته واضحة، وهو ما تمثله القاعدة وداعش ومن على شاكلتهما، وهناك ألغام ليست بهذا الوضوح ولكنها قد تكون أشد ضرراً وفتكاً في جسد الأمة وهي الألغام التي تتستر بالوطنية والدينية والحقوقية وغير ذلك من المسميات ولكنها عنوان للعمالة والخيانة، وعلى أتم الاستعداد لتفجير جسد الأمة في اللحظة والزمان والمكان الذي يريده منها سيدها من وراء البحار.

إن أمة الإسلام في أمسّ الحاجة إلى تنظيف ساحتها من الألغام المزروعة بواسطة (كاسحات الألغام) حتى لا تستنزف قواها هذه الانفجارات: إنها مطالبة بكاسحة ألغام (شرعية) تعيد للإسلام نقاءه وصفاءه وتزيل عنه ما عَلِق به من غبار التخلف على مدى قرون، مع توضيحها إن الإسلام جاء ليكون حياة للبشرية لا لموتها.

هي مطالبة بكاسحة ألغام (فكرية) تغرس في أذهان أبنائها المفاهيم التي تبني، وتزيل من أذهانهم المفاهيم التي تهدم، تستفيد من الماضي وتواكب الحاضر وتتطلع للمستقبل.
ومطالبة أيضاً بكاسحة ألغام (وطنية قومية إنسانية) ترفع من مستوى انتماء الإنسان لوطنه والسعي لبنائه والمحافظة عليه، في إطار قوميته العربية والإسلامية التي يعتز ويفتخر بها، ومكملاً ذلك بالإطار الإنساني الذي يرفع من مستواه كإنسان في تعامله مع غيره في هذا الكون الواسع.

إن لم تتدارك الأمة نفسها وتحزم أمرها فإن ألغاماً كثيرة ستنفجر، و أنهاراً من الدماء ستسيل، وملايين من الأرواح ستزهق، وعشرات من الأوطان ستدمر، وملايين من التشوهات والإعاقات ستتوالد، فالأرض العربية الإسلامية مليئة بالألغام وتكفي بعض

الهزات أو عوامل التعرية لتظهرها على السطح، وحسب ما يريد خصوم الأمة زماناً ومكاناً وحالاً.

لقد قالها الشاعر الكبير عمر أبو ريشة مخاطباً الشعب، ونحن من خلال أبياته نخاطب الأمة:

يا شعبُ لا تشكُ الشقاءَ ولا تُطِلْ فيهِ نُواحَكْ ... لو لم تكنْ بيديْكَ مجروحاً لضمّدنا جراحَكْ

أنتَ انتقيتَ رجالَ أمرِكَ وارتقبْتَ بهم صَلاحَك ... فإذا بهم يُرخون فوقَ خسيسِ دُنياهم وِشاحَكْ

كم مرةٍ خَفَروا عُهودَكَ واسْتَقَوا بِرِضاكَ راحَكْ ... أيَسيلُ صدرُكَ من جِراحتِهم وتعطيهِم سلاحَكْ

لَهْفي عليكَ أهكذا تَطوي على ذلٍّ جناحَكْ ... لو لم تُبِحْ لهواكَ علياءَ الحياةِ لما اسْتباحَكْ

النحت على الورق.... الكاتب الحر في زمن الزيف

يعتقد الكثير من الناس أن الكتابة أمرٌ سهل، ويستطيعه أي إنسان، وقد يكون كلامهم صائباً إذا كان ما يُكتب سطحياً أو مكرراً أو هامشياً، ولكن الكتابة الجادة المبنية على أفكارٍ ملهمة ليست بالسهولة التي يستطيع أي إنسان أن يقوم بها.

فالكاتب الحر يعاني كثيراً حتى يخلق فكرة جديدة، أو ينحت مجسماً جمالياً لفكرته، أو يصورها بعدسة عقله، إنه يعاني وضعاً كوضع الولادة المتعسرة، ويتصبب عقله قبل جسمه عرقاً، وتنهك عضلات عقله قبل عضلات جسمه، إنها حالة التماهي مع الفكرة التي تأتي في لحظة إلهام واعٍ لتلد فكرة رائعة خلّاقة.

الكاتب الحر يغوص كصياد اللؤلؤ في أعماق البحار، يتحمل برودة الماء وضغطه، وظلمة الأعماق، والمخاطر المحيطة به، في سبيل الحصول على اللؤلؤ (الأفكار) الثمينة.

الكاتب الحر كالنّحات الذي يصنع مجسماً يُلهم العقول والقلوب، فيأخذ عِدَّة نحته ويبدأ في العمل على مجسمه (فكرته)، بيده مطرقته وإزميله، وفي عقله صورة ما يحب الوصول إليه، وأمامه جبل من الصخر (أفكار ومعلومات) تحتاج إلى نحت، فيقوم بقطع هذا الجزء ويزيل ذاك النتوء، ويصقل تلك الزاوية، وينقش هذه الواجهة في إصرارٍ ودأبٍ، حتى يُخرج للعالم هذا المجسم (الفكرة) الرائع المُلهِم.

الكاتب الحر كالرسام الذي يمزج ألوانه ويتنقّل بفرشاته بينها ليبدع صورة تهتز لها المشاعر، والكاتب الحر يجمع ألوانه (أفكاره ومعلوماته) ويمزجها كلها ثم يبدأ برسم لوحته الجميلة المتعددة الألوان والظِلال، فهذا اللون يكمل ذاك، وهذه الظِلال تتناغم مع هذا الجزء، تتداخل الألوان وتتمازج الظِلال لتشكل لوحة (فكرة) بديعة تسرُّ الناظرين.

الكاتب الحر كالعدسة المُجمِّعة التي تركِّز الضوء في نقطة واحدة لتشعل من خلال هذا التركيز ناراً، والكاتب الحر يجمِّع ويركِّز الأفكار التي استقاها من غيره أو استنتجها من بحثه المضني، لا يحده في ذلك زمان ولا يحويه مكان، فالشرق مُلهمه، والغرب مبتغاه، والجنوب هدفه، والشمال مقصده، يأخذ من الماضي ويستفيد من الحاضر ويستلهم المستقبل، ثم يمزج كل ذلك ويجمِّعه ويركزه في بؤرة عدسة عقله ليشعل عقولاً ونفوساً عفا عليها الزمن وتجاوزها التاريخ وخلفتها الحضارة.

الكاتب الحر يتلوى ويعتصر من الداخل ليخرج لبَّ الأفكار والثقافات والمعلومات، لا يرضى لنفسه أن يقدم أفكاره مليئةً بالقشور والشوائب والغبار والأتربة، فهو يحب الصفاء والنقاء، ويعشق القلب واللب.

أي صديقي: أن تستفيد من الآخرين وتأخذ منهم وتنقل عنهم وتتحدث باسمهم لفترة زمنية معينة أو بشكل معيّن محدود فهذا لا بأس به، ولكن هل ستبقى متلقياً وناقلاً وآخذاً ومتحدثاً باسم الآخرين إلى الأبد ؟!!!

قد يقبل منك بدايةً أن تتحدث باسمهم واسمك ولكنك مُطالبٌ في النهاية أن تتحدث باسمك ككاتب حر لا كتابع أو (ناطق رسمي) باسم فلان وفلان من بني البشر.

وكما نلاحظ جميعاً صديقي العزيز عند اطلاعنا على كتابات ومنشورات كثيرين أننا كثيراً ما نجد في نهايتها (منقول) أو (نقلاً عن) وهكذا باستمرار إلا القليل (دعك ممن يأخذون ولا يشيرون)، وقد يكون ذلك مستحسناً إلى حدٍ ما ولفترة ما، هذا إذا كان (المنقول أو الناقل عنه) جيداً ومتميزاً، أما إذا كان (المنقول أو الناقل عنه) سيئاً وهدَّاماً ووضيعاً فلا

يسمى هذا (منقولاً) كما لا يسمى صاحبه (ناقلاً) بل يمكن تسميته (مُنقِّلاً) أي إسكافيا. مع احترامي لأذواق القراء الأفاضل.

عقلية ...حلال في الكُتَن

تعريف الكُتَن لمن لا يعرفها: حشرة صغيرة جدا مؤذية يعرفها الآباء في اليمن تعيش بين الملابس والفراش في البيوت. وإليكم الطرفة والخلاصة عليكم:

ترك الرجل متوسط الحال بيته المتواضع وخرج يبحث عن عمل، وكان في الطريق يحكّ (يهرش) جسمه بشدة ويلعن اليوم الذي عرف فيه هذا البيت المليء (بالكُتَن) المنتشرة في الملابس والفراش وفي كل مكان في البيت.

وجد الرجل عملاً، واشتغل إلى قبل الغروب وقفل عائداً إلى بيته، وعندما أصبح قريباً من بيته سمع صياحاً ودخاناً يتصاعد، ورأى أحد جيرانه يسرع إليه ويقول له في فزع: بيتك يحترق.

فنظر الرجل إليه في سرور بعد أن أخذ نفساً عميقاً، وقال مخاطباً نفسه وجاره: (حلال في الكُتَن !!!) بمعني أن الكُتَن يستاهلين الحريق ونسى إن بيته احترق.

قصة الحاج أحمد...

ذكرت في منشور (مسرحية) مثل لقصة الحاج أحمد فلم يفهمها البعض وإليكم القصة: سافر الحاج (علي) للحج وعندما عاد توافد الناس للسلام عليه، وكان من بين الحاضرين رجل سلم عليه وقال له: حج مبرور وسعي مشكور يا حاج أحمد ، فرد عليه الحاج علي قائلاً: اسمي الحاج علي.

وبدأ الحاج علي يسرد قصته في الحج، وعندما توقف ليأخذ استراحة قال له الرجل: اسلم يا حاج أحمد. فقال له الحاج علي: قلت لك اسمي الحاج علي، وعاد ليكمل قصته، وقبل نهاية القصة توقف قليلا فقال له الرجل: واصل القصة يا حاج أحمد، فالتفت إليه الحاج علي في غضب وقال: أنا قلت لك أكثر من مرة اسمي الحاج علي مش الحاج أحمد فهمت أو ماشي؟ فهزَّ الرجل رأسه دلالة على الفهم.

وأكمل الحاج علي قصته، وبعد إكمال القصة التفت إلى الرجل وقال له: هيا مه أيش رأيك في القصة؟ فرد عليه الرجل بكل برود: (والله إن قصتكم عجيبة يا حاج أحمد).

لا إكراه...

من الجميل ألا نفرض سيطرتنا وأفكارنا على من حولنا... وذلك لأن كل إنسان لديه حدود ومقدرات معينة حباها الله بها ربما لا تتوافق مع قدراتنا وحدودنا.

ولدي قناعة بأن من يريد أن يفهمك سيفهمك وإن كان تعبيرك مشوشاً، ومن لا يريد أن يفهمك لن يفهمك مهما أجدت التعبير.

بعض الأحيان عليك أن تتوقف عن العتاب لشخص لا يهتم لما تقوله، وهناك من الناس من سيتركونك ولكن هذه ليست نهاية القصة بل تلك هي نهاية دورهم في قصتك.

في بعض الأحيان هناك نوايا تكون أنقي من قطرات المطر لكنها تتلوث باعتقادات الآخرين.

أكبر هدية يمكنك أن تقدمها لنفسك هو أن تتوقف عن خداع نفسك وتفتح عينيك على الحقيقة مهما كان ذلك مؤلماً.

كن دائماً مثيراً للإعجاب بجدارة، ومثيراً للنقاش برقي، ومثيراً للجدل بالحسنى، ولا تكن أبداً مثيراً للشفقة.

لا تحزن حين يمزّقك من لا يحسن قراءتك؛ فأنت من ارتضيت أن تكون له كتاباً مفتوحاً، ولا تكسر قلوب الآخرين بضغطك عليهم وتحميلهم مالا طاقة لهم به، فيجبر الله قلوبهم ويكسر قلبك.

على بصيرة..

تأملات ووقفات نقفها ونتأمل من خلالها في معاني ديننا، وفي معترك حياتنا، علما ووعيا وفهما لديننا وحياتنا وواقعنا الذي نعيش فيه.

على بصيرة..

جمعٌ بين ومضات العقل واشراقات الروح ونور الوحي لتكون نورا على نور.

على بصيرة..

رؤى وتصورات تجعلنا أقرب إلى أن نكون في مستوى ديننا وعصرنا الذي نعيش فيه.

على بصيرة..

فهمٌ لمقاصد الدين، واستيعاب للواقع، ووعيٌ به، على نورٍ من الوحي، واعمال للعقل للخروج إلى فضاءات الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء.

أتركم مع تأملات هنا الكتاب، مستمدا من الله القبول والتسديد ومنكم خالص الدعوات.